

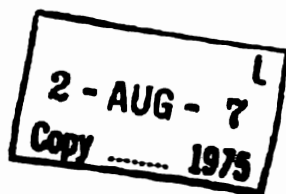
مارکس انجیلس

مختارات

К. МАРКС и Ф. ЭНГЕЛЬС
ИЗБРАННЫЕ ПРОИЗВЕДЕНИЯ

Часть I

На арабском языке



208114*

From 27 May 76

من المار

ان مذهب ماركس والجنس هو من ابرز منجزات الفكر البشري
ان الماركسية انما هي ايدولوجيا البروليتاريا ، والتعبير العلمي من مصالحها ،
وسلاح روحي لجميع الكادحين في النضال من اجل التحرر الوطني والسلام
والاشتراكية

ان مؤسسي الشيوعية العلمية العظمين قد قاما بمؤلفاتهما بالانقلاب
حقيقي في ميدان العلم ، في مذهب الاشتراكية فان ماركس والجنس
قد اكتسفا قوانين التطور الاجتماعي الموضوعية وقدا الميراث العلمي على
حتمية هلاك الرأسمالية وانتصار النظام الاشتراكي القضاء على المجتمع
الرأسمالي ، وتحويل النظام الاجتماعي كله تحويلا ثوريا عميقا ، وبناء
مجتمع جديد قائم على مبادئ الحرية والمساواة والاخوة والسلام والعمل -
هذه الاهداف العظيمة والنبيلة تشكل الرسالة التاريخية العالمية التي
ينبغي للبروليتاريا ان تؤديها لما فيه مصلحة الجماهير الكادحة الواسعة ،
بتأييد الفلاحين وجميع قوى المجتمع التقدمية

ينبغي للثورة الاشتراكية ان تضع حدا نهائيا لجميع اشكال الاضطهاد
الاستعماري والعنقي . ان حركة التحرر الوطني هي ، حسب مذهب ماركس
والجنس ، حليفة الطبقة العاملة وجزء لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية .
وقد تنبأ مؤسسا الماركسية بإمكان تطور البلدان المتأخرة في
الطريق اللارأسمالي بمساعدة الطبقة العاملة المنتصرة في البلدان الاكثر
تطورا .

ورسم ماركس والجنس استراتيجية وتكتيك لفضال البروليتاريا
الثوري ، وصاغ مذهب حزب سياسي مستقل للطبقة العاملة لا يمكن
بدونه اسقاط الرأسمالية

ان تعاليم ماركس والجنس تفتني على الدوام بتعميمات التجربة
التاريخية الجديدة وقد اسهم فلاديمير ايليتش لينين ، التلميذ العبقري
لماركس والجنس والمواصل لفضيتهما بقسط ضخم في كنز الماركسية
ان الماركسية اللينينية تكسب اكثر فاكث عقول وللوب الملايين من الناس .
وكل عهد تاريخي جديد يحمل تأكيدات جديدة وجديدة ابدأ لنظرية
ماركس والجنس ولينين الحية والمتطورة على الدوام

ان هذا المذهب ، كما يبين مثال الاتحاد السوفيتي والبلدان
الاشتراكية الاخرى ومثال لفضال الكادحين التحرري في العالم كله ، وكما تبين
تجربة القمعوب التي خلعت عنها بير الاستعمار ، هو القوى سلاح في
الفضال من اجل التقدم الاجتماعي ، من اجل تحويل العالم على اساس جديدة
وعادلة

والمختارات الحالية تشمل مؤلفات ورسائل لماركس والجنس في
غاية الاهمية تعرض اجزاء لا تتجزأ من مذهبهما الثوري العظيم : الفلسفة
الماركسية ، والاقتصاد السياسي ، ونظرية الشيوعية العلمية ، وكذلك
اسس استراتيجية وتكتيك لفضال البروليتاريا الطبقي
كذلك تتمثل بعض المؤلفات الاساسية (وراس المال) ، وديالكتيك
الطبيعة ، وغيرهما) في المختارات بشكل مقتطفات .

وعلى سبيل المقدمة ، قررت دار التقدم ان تقدم المختارات بجزء
من مقالة لينين وكارل ماركس ، وكذلك بمقالاتي لينين وفريدريك انجلز ،
ومصادر الماركسية الثلاثة والمساهمة المكونة الثلاثة ،

ففي هذه المقالات ، اعطى لينين وصفا كلاسيكيا للماركسية بمجملها
وباجزائها المكونة ، وتتبع تاريخ تكون نظرات ماركس والجنس ، وعرض

بايجاز تاريخ حياة معلمى الطبقة العاملة العظيمين ووصف لسط كل منهما
في انشاء وتطوير الماركسية ، وفي قيادة نضال البروليتاريا العالمية
التحرري

واساسا ، ترد المواد في المختارات حسب التسلسل التاريخي
ولكن مقدمات المؤلفين ترد ، بصرف النظر من وقت كتابتها ، مع المؤلفات
التي تتعلق بها . اما رسائل ماركس والجلوس ، فقد خصص لها باب خاص .
وتسهيلا للقراء ، جرى تقسيم المجلد الى اربعة اجزاء . وكل جزء
مرفق بالملاحظات وبدليل الاسماء اما دليل المواضيع فهاتي في الجزء
الرابع

لينين كارل ماركس

(موجز من تاريخ حياة كارل ماركس ، يتضمن عرفا للماركسية)
(مقتطف)

ولد كارل ماركس في الخامس من ايار (مايو) سنة ١٨١٨ في مدينة ترير (بروسيا الريفانية) وكان ابوه محاميا وكان يهوديا ، ثم اعتنق البروتستانتية في سنة ١٨٢٤ . ولم تكن عائلة ماركس الميسورة والمثقفة عائلة ثورية . وبعد ان اتم دراسته الثانوية في مدينة ترير ، دخل جامعة بون ، ثم جامعة برلين ، فدرس الحقوق ، وبنوع خاص التاريخ والفلسفة . وفي سنة ١٨٤١ انجز دراسته بتقديم اطروحته الجامعية حول فلسفة ابيقور . اما مفاهيمه ، فكانت حتى ذلك الوقت ، ما تزال مفاهيم هيغلي (نسبة الى هيغل) مثالي . وفي برلين انضم الى حلقة «الهيفيليين اليساريين» (برونو باور وغيره) الذين كانوا يحاولون ان يستخلصوا من فلسفة هيغل استنتاجات الحادية والثورية .

وعندما تخرج ماركس من الجامعة اقام في مدينة بون حيث كان يامل بالحصول على منصب استاذ في الجامعة . ولكن السياسة الرجعية التي كانت تملكها حكومة كانت قد اقصت ، عام ١٨٢٢ ، لودفيغ فورباخ عن منصبه كاستاذ ، وعادت في سنة ١٨٢٦ ، فرفضت من جديد السماح له بدخول الجامعة ، ومنعت ، في سنة ١٨٤١ ، الاستاذ الشاب برونو باور منلقاء محاضرات في بون ؛ هذه السياسة الرجعية اضطرت ماركس الى العدول عن الحياة

الجامعية في ذلك الوقت ، كانت افكار الهيغلية اليسارية تتقدم تقدماً سريعاً جداً في ألمانيا . وكان لودفيغ فورباخ قد اخذ ، منذ سنة ١٨٢٦ على الخصوص ، يوجه النقد الى اللاهوت ويتجه نحو المادية التي احرزت الغلبة نهائياً عنده في سنة ١٨٤١ (كتاب « جوهر المسيحية ») ؛ وفي سنة ١٨٤٣ ظهر كتابه « اساس فلسفة المستقبل » . لقد كتب انجلس فيما بعد حول هذين المؤلفين لفورباخ فقال : « كان يجب ان يكون الانسان قد تحسس بنفسه الامر التحريري لهذين الكتابين فلقد اصبحنا نحن جميعاً » ، (اي الهيغليين اليساريين بمن فيهم ماركس) « دفعة واحدة ، من اتباع فورباخ » . * . وفي ذلك الوقت ، أسس البرجوازيون الراديكاليون في ريناليا ، الذين كان لهم بعض نقاط تماس مع الهيغليين اليساريين ، جريدة معارضة في مدينة كولونيا ، باسم « الجريدة الرينالية » (التي اخذت تصدر ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٢) ، وقد دُعي ماركس ، وبرونو باور الى العمل محررين أساسيين فيها . وفي تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٤٢ ، اصبح ماركس رئيس تحريرها ، فالتقل من مدينة بون الى كولونيا . وتحت ادارة ماركس ، اخذ اتجاه الجريدة الديمقراطي الثوري يزداد وضوحاً . فعمدت الحكومة في اول الامر الى اخضاع الجريدة لرقابة ثنائية بل ثلاثية ثم امرت بتعطيلها تماماً ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٣ . فاضطر ماركس حينئذ للتخلي عن مركزه في تحرير الجريدة ، ولكن ذهب ماركس لم ينقل الجريدة اذ انها منعت من الصدور في آذار (مارس) سنة ١٨٤٣ ومن اهم

* انجلس . « لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية » .
الناشر .

المقالات التي نشرها ماركس في «الجريدة الرينانية» ، فضلا عن المقالات المشار إليها فيما بعد (راجع «مكتبة الماركسية» ١٠) ، يشير انجلس الى مقال حول اوضاع الفلاحين الكرايين في وادي الموزيل . . . وقد ادرك ماركس من نشاطه الصحفي ان معلوماته في الاقتصاد السياسي غير كافية فاندفع بحماسة الى دراسته في سنة ١٨٤٣ تزوج ماركس في كريزلاخ من جيني فون ويستفالن ، صديقة طفولته التي خطبها وهو ما يزال طالبا . كانت زوجته تنحدر من عائلة نبيلة رجعية بروسية . وكان اخو جيني فون ويستفالن الاكبر وزيرا للداخلية في بروسيا في مرحلة كانت من اشد المراحل اغراقا في الرجعية ، وذلك بين ١٨٥٠ و ١٨٥٨ وفي خريف ١٨٤٣ ، انتقل ماركس الى باريس ليصدر في الخارج مجلة راديكالية مع ارنولد روغه (عاش ارنولد روغه من سنة ١٨٠٢ الى سنة ١٨٨٠ . وكان هيغليا يساريا . وسجن من ١٨٢٥ الى ١٨٣٠ ، وهاجر بعد سنة ١٨٤٨ . وبعد ١٨٦٦-١٨٧٠ ، أصبح من انصار بيسمارك) . ولكن لم يصدر من هذه المجلة المسماة «الحولية الالمانية الفرنسية» سوى العدد الاول اذ اضطرت للتوقف بسبب الصعوبات الناجمة عن توزيعها بصورة سرية في ألمانيا وبسبب الخلافات مع روغه . وفي المقالات التي نشرتها هذه المجلة ، يبرز ماركس ثوريا ينادي «بانتقاد لا هوادة فيه لكل ما هو كائن» بما في ذلك «انتقاد الاسلحة» ويتوجه الى الجماهير والبروليتاريا .

• المقصود هنا قائمة للكتب وضعها لينين لمقاله وكارل

ماركس . . التناظر .

• • • يشار الى مقال ماركس «تبرئة المراسل الموزيلي» . التناظر .

في ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٤٤ جاء فريدريك أنجلس الى باريس لقضاء بضعة ايام فيها فاصبح منذ ذلك الحين الصديق الحميم لماركس . وقد أسهم كلاهما بأشد الحماسة في الحياة المحمومة للجماعات الثورية التي كانت آنذاك في باريس ، وكانت تولى هناك اهمية خاصة لمذهب برودون ، وقد صنفى ماركس حساب هذا المذهب تصفية قاطعة في كتابه «بؤس الفلسفة» (الذي صدر عام ١٨٤٧) ، وخاضا نضالا حادا ضد مختلف نظريات الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، وصاغوا نظرية وتكتيك الاشتراكية البروليتارية الثورية ، او الشيوعية (الماركسية) . راجع مؤلفات ماركس في هذه المرحلة الممتدة من ١٨٤٤ الى ١٨٤٨ في مكتبة الماركسية . وفي سنة ١٨٤٥ طرد ماركس من باريس لكونه ثوريا خطرا ، بناء على طلب الحكومة البروسية فجاء الى بروكسل واقام فيها . وفي ربيع ١٨٤٧ انضم ماركس وأنجلس الى جمعية سرية للدهاية هي «عصبة الشيوعيين» وقاما بقسط بارز في المؤتمر الثاني لهذه العصبة المنعقد في لندن ، في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤٧ . وبناء على تكليف المؤتمر وضع ماركس وأنجلس «بيان الحزب الشيوعي» المشهور الذي نشر في شباط (فبراير) سنة ١ٸ٤٨ ان هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقرين المفهوم الجديد للعالم ، يعرض المادية المتמסكة التي تشمل ايضا ميدان الحياة الاجتماعية ، والديالكتيك ، بوصفه العلم الاوسع والاعمق للتطور ، ونظرية النضال الطبقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التاريخ العالمي البروليتاريا ، خالقة المجتمع الجديد ، المجتمع الشيوعي .

وعندما انفجرت ثورة شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، طرد ماركس من بلجيكا فعاد الى باريس ليرتكها بعد ثورة آذار (مارس) ويعود

الى ألمانيا ليقوم في مدينة كولونيا ، حيث صدرت ، من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) سنة ١٨٤٩ والجريدة الرينانية الجديدة ، التي كان ماركس رئيس تحريرها . وقد اثبت مجرى الاحداث الثورية في ١٨٤٨-١٨٤٩ كما اثبتت فيما بعد جميع الحركات البروليتارية والديموقراطية في جميع بلدان العالم صحة النظرية الجديدة على نحو ساطع . في بادى الامر ، اقدمت الحركة الطائفة المعادية للثورة على إحالة ماركس الى القضاء (فبري في ٩ شباط - فبراير - سنة ١٨٤٩) ثم نفته من ألمانيا (في ١٦ ايار - مايو - ١٨٤٩) . فانتقل اولا الى باريس ، حيث طرد منها ايضا بعد تظاهرة ١٣ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ ثم ذهب الى لندن حيث عاش حتى آخر ايامه .

ان ظروف حياة المهاجر هذه كانت مضنية الى اقصى حد كما يتبين بوضوح شديد من مراسلات ماركس وانجلس (المنشورة سنة ١٩١٣) ؛ فقد عاش ماركس وعائلته تحت وطأة الفقر المدقع ، ولولا المساعدة المالية الدائمة المخصصة التي كان يقدمها له انجلس ، لما استحال على ماركس انجاز كتاب «رأس المال» وحسب ، بل لكان هلك ختماً من البؤس . ومن جهة اخرى كانت المذاهب والتيارات السائدة في الاشتراكية البرجوازية الصغيرة والاشتراكية غير البروليتارية بوجه عام تضطر ماركس الى خوض نضال دائم لا هوادة فيه ، كما كانت تضطره احيانا للرد على اكثر التهجمات الشخصية جنوناً وقبادةً ("Herr Vogt") . وقد تحاشى ماركس حلقات المهاجرين وصاغ ، في جملة من المؤلفات التاريخية ، (راجع مكتبة الهاوكسمية) نظريته المادية باذلاً جهده بصورة رئيسية على دراسة الاقتصاد السياسي وقد نفخ ماركس في هذا العلم روحاً ثورية (راجع مذهب ماركس فيما بعد) في

مؤلفيه ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» (١٨٥٩) ، ووراس المال» (المجلد الاول ، ١٨٦٧) .

ثم جاءت مرحلة انتعاش النشاط في الحركات الديمقراطية ، في اواخر العقد السادس وفي العقد السابع فدفعت ماركس من جديد الى النشاط العملي ففي سنة ١٨٦٤ (٢٨ ايلول - سبتمبر) تأسست في لندن الاممية الاولى المشهورة ، وجمعية الشغيلة العالمية . وكان ماركس روحها ، كما كان ايضا واضع ورسالتها . الاولى وعدد كبير من المقررات والتوصيات والبيانات . ان ماركس ، بجمعه شمل الحركة العمالية في مختلف البلدان ، وسعيه الى توجيه شق اشكال الاشتراكية غير البروليتارية السابقة للماركسية (مازيني ، بروودون ، باكونين ، التريديونيوية الليبيرالية الانجليزية ، الانحرافات اللاسالية اليمينية في المانيا ، الخ .) في طريق النشاط المشترك ، وكفاحه نظريات جميع هذه الشيع والمدارس الصغيرة ، قد صاغ تكتيكا وحيدا لنضال الطبقة العاملة البروليتاري في مختلف البلدان . وبعد سقوط كومونة باريس (١٨٧١) التي قدّرها ماركس تقديراً عميقاً ، اخذاً ، باهراً ، فتحاً ، ثوريا (والحرب الاهلية في فرنسا ، ١٨٧١) ، وبعد الانشقاق الذي احده الباكوليون في الاممية ، لم يعد باستطاعة هذه الاممية ان تعيش في اوروبا ، وعقب مؤتمر ١٨٧٢ في لاهاي ، انتقل المجلس العام للاممية الى نيويورك بناء على رأي ماركس وهكذا انجزت الاممية الاولى مهمتها التاريخية مفسحة المجال لمرحلة من النمو في الحركة العمالية في جميع البلدان نمواً اقوى واشد مما مضى الى ما لا حد له - ، مرحلة

• ماركس وبيان حول تأسيس جمعية الشغيلة العالمية . . التاليف .

تطور هذه الحركة من حيث الاتساع ، مرحلة تأليف احزاب عمالية اشتراكية جماهيرية ، على اساس فتح الدول القومية .
وما بدله ماركس من نشاط شديد في الاممية ، وما قام به من اعمال نظرية بمزيد من الشدة ايضا ، قد اضرأ صحته نهائيا . وقد واصل وضع الاقتصاد السياسي على اساس جديدة ، واتمام كتاب «رأس المال» جامعا عددا ضخما من المواد الجديدة ، ودارسا عدة لغات (اللغة الروسية مثلاً) ، ولكن المرض اقصاه من انجاز كتاب «رأس المال» .

وفي الثاني من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٨١ ماتت زوجته وفي ١٤ آذار (مارس) سنة ١٨٨٢ رقد ماركس في كرسيه رقاداً اخيراً هادلاً ، ودفن مع زوجته في مقبرة هايغات في لندن . وقد مات لماركس عدة اولاد وما يزالون اطفالاً ، في لندن حين كانت عائلته تعاني بؤساً مدقماً . وكانت بناته الثلاث متزوجات من اشتراكيين من انجلترا وفرنسا ، وهن : ايلينور ايغلينغ ولورا لافارغ وجيني لونفي ، وابن هذه الاجرة عضو في الحزب الاشتراكي الفرنسي .

كتب في حزيران - تشرين الثاني

(يوليو - نوفمبر) ١٩١٤

نشر باختصار عام ١٩١٥

في موسوعة غرانات ،

الطبعة السابعة ، المجلد ٢٨

لينين

فريدريك انجلس

اي مشعل للفكر قد انطفأ ،
اي قلب توقف من الخفقان ؟

في ٥ آب (اغسطس) ١٨٩٥ توفي فريدريك انجلس في لندن لقد كان انجلس ، بعد صديقه كارل ماركس (المتوفى في ١٨٨٢) ابرز عالم ومربّ للبروليتاريا المعاصرة في العالم المتمدن بأمره . ومنذ ان جمع المصير كارل ماركس وفريدريك انجلس ، أصبح عمل حياة الصديقين عملاً مشتركاً . ولذا ، لاجل ادراك ما صنعه فريدريك انجلس في سبيل البروليتاريا ، ينبغي ان نفهم بوضوح الدور الذي اضطلع به مذهب ماركس ونشاطه في تطوير الحركة العمالية المعاصرة لقد كان ماركس وانجلس اولي من بينا ان الطبقة العاملة تولد بالضرورة ، مع مطالبتها ، من النظام الاقتصادي الحالي الذي ، مع البرجوازية ، يخلق وينظم البروليتاريا بصورة حتمية وبيننا ايضا ان ليست المعاولات الطيبة التي يقوم بها هؤلاء او اولئك الاشخاص الكرماء هي التي ستحرر الجنس البشري من البلايا التي تضغط عليه في الوقت

* نيكرا سوف . وذكرى دوبروليووف ، . القلندر .

الحاضر ، بل النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا المنظمة وقد كان ماركس وانجلس اولي من برهنا ، في مؤلفاتهما العلمية ، على ان الاشتراكية ليست ضرباً من تخیلات الحالمين ، بل هي الهدف النهائي والنتيجة الضرورية لتطور القوى المنتجة في المجتمع المعاصر ان كل التاريخ المكتوب حتى ايامنا هذه قد كان تاريخ نضال الطبقات ، وتعاقب سيطرة وانتصارات طبقات اجتماعية على طبقات اخرى . وهذه الحالة ستدوم ما دامت اسس نضال الطبقات والسيطرة الطبقيّة قائمة - اي ما دامت الملكية الخاصة والانتاج الاجتماعي الفوضوي قائمين . ان مصالح البروليتاريا تتطلب تدمير هذه الاسس ؛ فينبغي ، اذن ، ان يُوجّه ضدها نضال العمال المنظمين ، الواعي الطبقي . والحال ، ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي .

ان كل البروليتاريا المناضلة في سبيل انتاتها قد استوعبت ، الآن ، آراء ماركس وانجلس هذه . ولكن عندما ساهم الصديقان ، في السنوات الاربعين ، بالمنشورات الاشتراكية والحركات الاجتماعية في عصرهما ، بدت هذه المفاهيم جديدة تماماً فعدد من حينذاك كان الناس الموهوبون او غير الموهوبين ، الشرفاء او غير الشرفاء ، الذين كانوا لا يرون تضاد مصالح البرجوازية والبروليتاريا ، نظراً لانسياهم في غمرة النضال في سبيل الحرية السياسية ضد استبداد الملوك والبوليس ورجال الدين بل ان هؤلاء الناس كانوا لا يقرون بالفكرة القائلة ان في وسع العمال ان يعملوا كقوة اجتماعية مستقلة ومن جهة اخرى ، كان عدد كبير من الحالمين ، ومن الحالمين ذوي العبقرية احياناً ، يعتقدون بانه يكفي اقناع الحكام والطبقات السائدة بجور النظام الاجتماعي القائم ، من اجل اقامة السلام والرفاه

الشاملين على الارض وكانوا يحلمون باشتراكية لا صراع من اجلها . واخيراً ، كان جميع اشتراكيي ذلك الحين تقريباً ، واصدقاء الطبقة العاملة بوجه عام ، لا يرون في البروليتاريا سوى قوحة ، وكانوا يرون ، في رعب ، ان هذه القوحة تكبر بقدر ما كانت الصناعة تتطور . ولذا كانوا يسعون جميعاً وراء الوسائل لأجل وقف تطور الصناعة والبروليتاريا ، لأجل وقف ودولاب التاريخ . وعلى نقىض الخوف العام الذي كان يستثيره تطور البروليتاريا ، كان ماركس وانجلس يضعان كل املهما في نموها المتواصل . فكلما ازداد عدد البروليتاريين ، تعاظمت قوتهم بوصفهم طبقة ثورية ، واقتربت الاشتراكية واصبحت ممكنة على هذا النحو يمكن التعبير ، بوضع كلمات ، من مآثر ماركس وانجلس ازاء الطبقة العاملة : لقد علمنا ان تعرف نفسها ، ان تدرك نفسها ، واحلاً العلم محل الاوهام .

لهذا ينبغي ان يعرف كل عامل من العمال اسم انجلس وحياته . ولهذا يترتب علينا ، في كتابنا هذا ، - الذي يهدف ، كما تهدف جميع منشوراتنا ، الى ايقاظ الوعي الطبقي لدى العمال الروس ، - ان نرسم حياة ونشاط فريدريك انجلس ، احد مربيي البروليتاريا المعاصرة العظيمين .

ولد انجلس عام ١٨٢٠ في بارمن ، وهي مدينة من القليل ريناني تابع لمملكة بروسيا . وكان والده صاحب مصنع . وفي عام ١٨٢٨ ، اضطر انجلس ، لاسباب عائلية ، وقبل ان ينهي دراسته الثانوية ، لأن يعمل مستخدماً في مؤسسة تجارية في مدينة بريمن . ولكن الاعمال التجارية لم تمنع انجلس قط من العمل على تثقيف نفسه علمياً وسياسياً . فمئذ ما كان في المدرسة الثانوية ، حقد على الاوتوقراطية ، وعلى تعسف الدواوينية

(البيروقراطية) . وقد دفعته دراساته الفلسفية الى ابعد من ذلك . فقد كان مذهب هيغل ، في ذلك الحين ، مسيطرأ في الفلسفة الالمانية ؛ واصبح انجلس من اتباعه . ومع ان هيغل نفسه كان معجبا بالدولة البروسية الاوتوقراطية التي كان يخدمها بوصفه استاذأ في جامعة برلين ، فقد كان ملهجه مع ذلك ثوريا . ان ايمان هيغل بالعقل البشري وحقوقه ، ومبدأ الفلسفة الهيغلية الاساسي الذي يعتبر العالم في حركة تفاعل دائمة من التحول والتطور ، قد قادا تلامذة الفيلسوف البرليني الذين كانوا لا يريدون ان يقرروا قبول الواقع ، الى التفكير بان النضال نفسه ضد هذا الواقع ، وضد الظلم القائم والشر السائد ، هو من صلب القانون العام للتطور الدائم . فاذا كان كل شيء يتطور ، واذا كانت مؤسسات تقوم مقام اخرى ، فلماذا تدوم الى الابد لوتوقراطية ملك بروسيا او قيصر روسيا ، ولماذا يدوم ثراء اقلية ضئيلة جداً على حساب الاكثرية الساحقة ، ولماذا تدوم سيطرة البرجوازية على الشعب ؟ كانت فلسفة هيغل تعالج تطور العقل والافكار . لقد كانت مثالية تجعل تطور الطبيعة والانسان وعلاقات الناس الاجتماعية ناجما من تطور العقل . وقد احتفظ ماركس وانجلس بفكرة هيغل حول حركة التطور الدائم * ، ولكنهما طرحا وجهة النظر المثالية المفروضة سلفا . فبالاستناد الى الحياة ، لاحظا ان ليس تطور العقل هو الذي يفسر تطور الطبيعة ، بل ان الامر

* لاحظ ماركس وانجلس اكثر من مرة انهما مدينان ، الى حد

كبير ، بتطورهما الفكري ، لكبار الفلاسفة الالمان ، ولا سيما لهيغل . وقد قال انجلس ولولا الفلسفة الالمانية ، لما كانت هناك اشتراكية علمية (انجلس . مقدمة كتاب وحرب الفلاحين في المانيا . للتأليف) .

على العكس. تماماً ، فيجب ان نعيد منشأ العقل الى الطبيعة ، الى المادة ، وخلافا لهيغل ، والهيغلين الآخرين ، كان ماركس وانجلس ماديين . وفي اتخاذهما عن العالم والانسانية مفهوماً مادياً ، لاحظا انه كما ان الاسباب المادية هي في اساس جميع ظاهرات الطبيعة ، كذلك تطور المجتمع البشري مشروط بتطور القوى المادية ، المنتجة ان علاقات الناس فيما بينهم ، خلال انتاج الاشياء الضرورية لسد حاجات الانسان ، ترتبط بتطور القوى المنتجة . وفي هذه العلاقات ، نجد التفسير لجميع ظاهرات الحياة الاجتماعية ، والمطامح ، والافكار ، والقوانين البشرية . ان تطور القوى المنتجة يخلق علاقات اجتماعية تركز على الملكية الخاصة ؛ ولكننا نرى اليوم كيف ان تطور القوى المنتجة نفسه ينتزع الملكية من الاكثرية ليحصرها في ايدي اقلية ضئيلة انه يلغي الملكية ، اساس النظام الاجتماعي المعاصر ، ويسر من نفسه نحو الهدف الذي وضعه الاشتراكيون نصب عيونهم اما الامر الهام فهو ان يدرك هؤلاء الاشتراكيون اية قوة اجتماعية ، لها ، بحكم وضعها في المجتمع المعاصر ، مصلحة في تحقيق الاشتراكية ، حتى يبتثوا في هذه القوة وهي مصالحها ورسالتها التاريخية . هذه القوة انما هي البروليتاريا لقد تعرف انجلس على البروليتاريا ، في انجلترا ، في مركز الصناعة الانجليزية ، في منشيستر ، حيث اقام سنة ١٨٤٢ ، مستخدماً في مؤسسة تجارية كان ابوه مسهما فيها . فان انجلس لم يكتف بعمل بسيط في مكتب المصنع ، بل زار الاحياء القذرة حيث كان يقطن العمال ، وحيث استطاع ان يرى ، بام عينه ، كل بؤسهم ، وبلاياهم . ولم يكتف بملاحظاته الشخصية ، بل قرأ ايضاً كل ما سجله الغير من قبله عن حالة الطبقة العاملة الانجليزية ، ودرس درساً دقيقاً جميع الوثائق

الرسمية التي تمكن من الرجوع اليها ان كتابه وحالة الطبقة العاملة في إنجلترا ، الذي صدر في سنة ١٨٤٥ ، كان ثمرة تلك الدراسات وتلك الملاحظات . ولقد ذكرنا آنفا المائدة الرئيسية التي حققها انجلس في مؤلفه وحالة الطبقة العاملة في إنجلترا . كثيراً كان عدد الذين تحدثوا ، حتى قبل انجلس ، عن الام البروليتاريا وأكدوا ضرورة مساعدتها اما انجلس ، فكان اول من اثبت ان البروليتاريا ليست فقط الطبقة التي تتالم ، بل ان الحالة الاقتصادية المخزية التي تعانيها البروليتاريا هي التي تدفع بها الى امام دفعا لا يرد ، وتحفزها الى النضال في سبيل تحريرها النهائي . والحال ، ان البروليتاريا المناضلة ستساعد نفسها بنفسها . ان الحركة السياسية للطبقة العاملة ستقود حتما العمال الى ان يدركوا ان ليس ابدأ من مخرج امامهم غير طريق الاشتراكية . والاشتراكية ، من جهة اخرى ، لن تصبح قوة ، الا عندما تصبح الهدف لنضال الطبقة العاملة السياسي . هذه هي الافكار الاساسية في كتاب انجلس عن حالة الطبقة العاملة في إنجلترا ، وهي افكار مقبولة اليوم لدى مجموع البروليتاريا التي تفكر وتناضل ، ولكنها كانت جديدة كل الجدة في ذلك الحين . ان هذه الافكار قد عرضت في هذا الكتاب المصوغ بأسلوب أخاذ والحافل باصدق المشاهد ، وافندها اشارة للرب ، من بؤس البروليتاريا الانجليزية . لقد كان هذا الكتاب صك اهتمام رهيب ضد الرأسمالية والبرجوازية . وكان الاثر الذي احدثه عظيماً ففي كل مكان كانوا يستفهمون بكتاب انجلس بوصفه غير صورة عن حالة البروليتاريا المعاصرة . وفعلًا ، لم يظهر ، لا قبل سنة ١٨٤٥ ، ولا بعدها ، عرض صادق ساطع ، الى هذا الحد ، لشقاء الطبقة العاملة .

لم يصبح انجلس اشتراكيا الا في انجلترا . ففي منشستر اقام علاقات مع اعضاء حركة العمال الانجليزية في ذلك الوقت ، واخذ يكتب في المنشورات الاشتراكية الانجليزية وعند عودته الى المانيا في ١٨٤٤ واثناء مروره في باريس تعرف على ماركس . وكان يرأسه منذ بعض الحين . ففي باريس ، وبتأثير الاشتراكيين الفرنسيين ، والحياة الفرنسية ، كان ماركس قد غدا ايضا اشتراكيا . وهناك كتب الصديقان معا «العائلة المقدسة» ، او انتقاد الانتقاد النقاد . وهذا الكتاب الذي كتب ماركس القمم الاكبر منه ، والذي صدر قبل سنة من صدور كتاب «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» ، يضع الاسس لهذه الاشتراكية المادية الثورية التي عرضنا آفها افكارها الرئيسية . و«العائلة المقدسة» هي تسمية هزلية للاخوين الفيلسوفين باور واباهاهما فهؤلاء السادة كانوا يبشرون بالانتقاد الذي يضع نفسه فوق كل واقع ، فوق الاحزاب ، وفوق السياسة ، والذي ينكر كل نشاط عملي ويكتفي بالتأمل ، ومن وجهة نظر انتقادية ، في العالم الذي يحيط به ، وفي الحوادث التي تتطور فيه ان هذين السيدين باور كانا ينظران الى البروليتاريا «من على» معتبرينها جماعة مجردة من كل تفكير انتقادي . لقد وقف ماركس وانجلس موقفًا حازمًا ضد هذا الاتجاه الضار والآخرق . وباسم الشخصية الانسانية الفعلية ، اي العامل الذي تظلمه الطبقات الحاكمة والدولة ، طالبوا لا بالتأمل ، بل بالنضال في سبيل تنظيم افضل للمجتمع . وهما ، بالطبع ، لا يريدان الا في البروليتاريا القوة التي لها مصلحة في خوض هذا النضال والتي هي قادرة على خوضه . وقبل نشر كتاب «العائلة المقدسة» ، نشر انجلس ، في مجلة ماركس وروغه «الحولية الالمانية الفرنسية» ، ودراسات انتقادية حول

الاقتصاد السياسي، حل فيها ، من وجهة نظر الاشتراكية ،
الوقائع الأساسية في النظام الاقتصادي المعاصر ، الناجمة ، حتما ،
من سيطرة الملكية الخاصة . ان صلات ماركس بالجلس قد دفعت
الاول ، بدون جدال ، الى الاهتمام بالاقتصاد السياسي ، هذا
العلم الذي قامت مؤلفاته بثورة كاملة فيه

ومن سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٧ ، عاش المجلس في بروكسل
وباريس رابطا دراساته العلمية بالنشاط العملي بين العمال الالمان
في هاتين المدينتين وفي تلك الفترة ، اقام ماركس والمجلس
علاقات مع المنظمة الالمانية السرية المسماة «عصبة الشيوعيين» ،
التي عهدت اليهما بعرض المبادئ الأساسية للاشتراكية التي
صاغها . وهكذا نشأ بينهما المشهور : «بيان الحزب الشيوعي»
الصادر في سنة ١٨٤٨ ان هذا الكتيب يساوي المجلدات
الضخمة : فروحه ما تزال ، حتى ايامنا ، تنفذ الى مجموع
البروليتاريا المنظمة ، المناهضة ، في العالم المتقدم وتحركها

اما ثورة ١٨٤٨ ، التي اندلعت اولا في فرنسا ، ثم امتدت
الى البلدان الاخرى من لوروا الغربية ، فقد جعلت ماركس والمجلس
يقوران العودة الى بلادهما . وهناك ، في بروسيا الرينانية ، قاما
على رأس الجريدة الديموقراطية «الجريدة الرينانية الجديدة»
التي كانت تصدر في مدينة كولونيا . وكان الصديقان روح جميع
المساعي الثورية الديموقراطية في بروسيا الرينانية . وقد دافعا
بالقوة والعزم ، عن مصالح الشعب والحرية ضد القوى
الرجعية غير ان الغلبة كانت لهذه القوى الرجعية ، كما هو
معلوم . فعملت «الجريدة الرينانية الجديدة» . ولما كان ماركس
قد فقد جنسيته البروسية اثناء هجرته ، فقد طرد . اما المجلس
فقد اشترك في انتفاضة الشعب المسلحة ، واشترك في ثلاث معارك

من اجل الحرية ، وبعد هزيمة الثوار ، هرب الى لندن بطريق سويسرا .

كذلك جاء ماركس واقام في لندن ، اما انجلس فقد عاد بعد حين مستخدما من جديد ، ثم هربا في المؤسسة التجارية نفسها ، في منشستر ، حيث كان قد اشتغل في السنوات الاربعين . وحتى سنة ١٨٧٠ عاشا ، انجلس في منشستر ، وماركس في لندن ولكن هذا لم يكن يمنعهما من ان تكون وحدة افكارهما وثيقة اشد الوثوق . فكانا يتراسلان في كل يوم تقريبا . وفي هذه المراسلات كان يطالع الصديق صديقه بآرائه ومعلوماته وكانا يتابعان معا صياغة الاشتراكية العلمية وفي سنة ١٨٧٠ اقام انجلس في لندن مواصلا مع ماركس حياتهما الفكرية المشتركة اللاحقة بنشاط شديد ، حتى عام ١٨٨٢ ، عام وفاة ماركس وقد كانت ثمرة هذا العمل ، بالنسبة لماركس - كتابه "رأس المال" ، اعظم مؤلف في الاقتصاد السياسي في عصرنا . وكانت ، بالنسبة لانجلس ، عددا من المؤلفات الكبيرة والصغيرة . كان ماركس يعمل في تحليل الظواهر المعقدة في الاقتصاد الرأسمالي . وكان انجلس يعرض في مؤلفاته المكتوبة بأسلوب واضح وجدلي في كثير من الاحيان ، اهم القضايا العلمية ومختلف وقائع الماضي والحاضر ، بروح المفهوم المادي للتاريخ لدى ماركس ونظريته الاقتصادية . وبين مؤلفات انجلس هذه نذكر كتابه الجدلي ضد دوهرينغ (الذي حلل فيه اهم قضايا الفلسفة ، والعلوم الطبيعية والاجتماعية) ، وكتابه "اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة"

* انه كتاب رائع ، تثقيفي وغني المحتوى ومن المؤسف انه لم يترجم منه الى الروسية سوى جزء صغير يتعلق باللمحة التاريخية من

(الترجمة الروسية الصادرة في سانت-بطرسبورغ ، الطبعة الثالثة ، ١٨٩٥) ، وولودفيغ فورباخ (الترجمة الروسية مع ملاحظات بقلم بليخانوف ، جينيف ، ١٨٩١) ، ومقالا حول السياسة الخارجية للحكومة الروسية (صدرت ترجمته بالروسية في جريدة «سوسالديموقراط» ، المديدين الاول والثاني ، في جينيف) ، والمقالات الرائعة حول مسألة السكن ، واخيراً ، مقالين موجزين عن التطور الاقتصادي في روسيا ، ولكنهما ذات قيمة كبيرة (وفريدريك انجلس يكتب عن روسيا) ، الترجمة الروسية بقلم زاسوليتش ، جينيف ، ١٨٩٤) . وقد توفي ماركس قبل ان يتمكن من اكمال مؤلفه العظيم عن رأس المال اما مسودة المخطوطة فكانت جاهزة . وهكذا قام انجلس بالصبء الثقيل بعد وفاة صديقه ، فتقح واصدر المجلدين الثاني والثالث من «رأس المال» : فقد نشر المجلد الثاني في ١٨٨٥ ، والثالث في ١٨٩٤ (ولم يتوافر له الوقت لتحضير المجلد الرابع) ولقد اضطر لبدل مجهود كبير جداً لتحضير واصدار المجلدين المذكورين .

ولقد لاحظ الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي أدلر ، بحق ، ان انجلس ، باصداره المجلدين الثاني والثالث من «رأس المال» ، قد نصب لصديقه المبقرى أثراً جليلاً كتب عليه ، دونما قصد ، باحرف لا تحصى ، اسمه الخاص الى جانب اسم ماركس . فان هذين المجلدين من «رأس المال» هما ، بالفعل ، عمل ماركس وانجلس المشترك . ان الاساطير القديمة تروي امثلة مؤثرة من

طور الاشتراكية (وتطور الاشتراكية العلمية ، الطبعة الثانية ، جينيف ، ١٨٩٢) (المقصود هنا كتابي انجلس «عد دهرينغ» و«الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية» . (تأليف) .

الصداقة . وبوسع البروليتاريا الأوروبية ان تقول ان علمها قد خلقه عالمان ومناضلان ، تفوق علاقتهما الشخصية ما ترويه جميع اساطير الاقدمين البالغة الاثر عن الصداقة بين الناس ان انجلس قد وضع نفسه ، دائما - وحقا من حيث الاساس - بعد مرتبة ماركس . وقد كتب لأحد اصدقائه القداماء يقول : ولقد كنت دائما ثاني عازف على الكمان بجانب ماركس* . لقد كان حبه لماركس ، حيا ، وتكريمه للذكراه ، ميتا ، لا حد لهما . لهذا المناضل الصارم ، والمفكر الشديد ، كانت له روح محبة ، على نحو عميق .

بعد حركة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، لم يتجمل نشاط ماركس وانجلس في المنفى ، في ميدان العلم فقط . فقد أسس ماركس في سنة ١٨٦٤ «جمعية الشغيلة العالمية» التي قام بقيادتها مدة عشر سنوات وكذلك ، اسهم انجلس بنشاط في شؤونها اما «الجمعية العالمية» التي كانت ، حسب فكرة ماركس ، توحد البروليتاريين من جميع البلدان ، فقد كان نشاطها ذا أهمية كبرى في تطور الحركة العمالية . ومع ان هذه الجمعية قد حلت ، في السنوات السبعين ، فان الدور التوحيدي الذي قام به ماركس وانجلس لم يتوقف ، بل خلافا لذلك ، نستطيع القول بان دورهما كمرشدين فكريين للحركة العمالية ، كان يتعاظم دائما ، لأن الحركة نفسها كانت تتطور دولما توقف . وبعد وفاة ماركس ، أصبح انجلس ، وحده ، المستشار والمرشد للاشتراكيين الأوروبيين . واليه كان يأتي ، لطلب النصائح والارشادات ،

* راجع رسالة انجلس الى بيكر في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٨٤ . المجلد ٣٠ .

الاشتراكيون الالمان ، الذين لم تنفك قوتهم تنمو نمواً سريعاً رغم الاضطهادات الحكومية ، وكذلك ممثلو البلدان المتأخرة الاسبانيون ، والروماليون ، والروس ، الذين كان عليهم ان يتبصروا ويؤنوا خطاهم الاولى لقد كالوا جميعاً ينهلون من ينبوع الدفاق ، ينبوع معارف الشيخ انجلس وتجربته

ان ماركس وانجلس ، اللذين كانا يعرفان الروسية ، ويقرآن الأدب بهذه اللغة ، كانا يهتمان بروسيا اهتماماً شديداً ، ويتتبعان بعطف الحركة الثورية في هذه البلاد ، ويقيمان العلاقات مع الثوريين الروس . لقد كانا ديموقراطيين قبل ان يصبحا اشتراكيين . وكان شعورهما الديموقراطي ، الذي يدفعهما الى العطف على التصنف السياسي ، قوياً الى الحد الاقصى ان هذا الشعور السياسي القطري ، بالإضافة الى فهم نظري عميق للعلاقة بين التصنف السياسي والظفيان الاقتصادي ، والى تجربة غنية في الحياة ، كل هذا جعل ماركس وانجلس يتمتعان بحس مرهف في الميدان السياسي بالذات ولذا ، فان النضال البطولي الذي كانت تقوم به حفنة قليلة من الثوريين الروس ضد الحكومة القيصرية الكلية الجبروت قد لاقى اشد ما يكون من العطف في قلب كل من هذين الثوريين المجريين وعكساً لذلك ، فمحاولة الامراض باسم منافع اقتصادية مزعومة ، من اهم المهمات واكثرها الحاحاً الموضوعية امام الثوريين الروس ، وتعني بها الظفر بالحرية السياسية ، ان هذه المحاولة كانت تبدو لهما بطبيعة الحال ، شيئاً مشتبهاً فيه ، بل كانا يعتبرانها ، بكل بساطة ، حياة لقضية الثورة الاجتماعية الجلييلة وان تحرير البروليتاريا يجب ان يكون من عمل البروليتاريا نفسها هذا ما علمه دائماً ماركس وانجلس . ولكن ، لكي تناضل البروليتاريا في سبيل

تحررها الاقتصادي ، يجب عليها ان تظهر ببعض الحقوق السياسية . ومن جهة اخرى ، كان ماركس وانجلس يريان بوضوح ان الثورة السياسية في روسيا ستكون لها اهمية عظيمة بالنسبة للحركة العمالية في اوروبا الغربية ايضا . فان روسيا الاوتوقراطية كانت دائما حصن الرجعية الأوروبية كلها . ان وضع روسيا الدولي الملائم الى أقصى حد ، والناهي عن حرب سنة ١٨٧٠ التي بذرت الخلاف بين المانيا وفرنسا مدة طويلة ، قد زاد زيادة لا تقبل الجدل ، من اهمية روسيا الاوتوقراطية ، بوصفها قوة رجعية فقط روسيا حرة ، لا تعود في حاجة ، لا الى اضطهاد البولونيين والفنلنديين والالمان والارمن وغيرهم من الشعوب الصغيرة ، ولا الى العمل دائما على تحريض المانيا وفرنسا احدهما على الاخرى ، مستتيح لأوروبا المعاصرة ان تتنفس الصعداء اخيراً من اعباء الحرب ، وستضعف جميع العناصر الرجعية في اوروبا ، وتزيد قوى الطبقة العاملة الأوروبية ولهذا السبب ، وفي سبيل نجاح الحركة العمالية في الغرب ايضا ، كان انجلس يرغب رغبة حارة في ان تقوم الحرية السياسية في روسيا لقد فقد الثوريون الروس في شخصه خير صديق لهم .

الذكرى الخالدة للمناضل العظيم ، وللمربي البروليتاريا

الكبير فريدريك انجلس !

كتب في خريف ١٨٩٥

نشر لأول مرة في ١٨٩٦

في مجموعة درابوتيك ،

العدد ٢-١

لينين مصادر الماركسية الثلاثة والسامها الهكونة الثلاثة

يشير مذهب ماركس ، في مجمل العالم المتمدن ، اشد العداء والحقده لدى العلم البرجوازي كله (سواء الرسمي ام الليبرالي) ، اذ يرى في الماركسية ضرباً من « بدعة ضارة » ليس بالامكان توقع مواقف آخر ، اذ لا يمكن ان يكون ثمة علم اجتماعي « غير متحيز » في مجتمع قائم على النضال الطبقي . فكل العلم الرسمي والليبرالي « فادح » ، بصورة او باخرى ، عن العبودية المأجورة ، بينما الماركسية اعلنتها حرباً لا هوادة فيها ضد هذه العبودية « ان » تطلب علماً غير متحيز في مجتمع قائم على العبودية المأجورة ، لمن السداجة الصبيانية كان تطلب من الصناعيين عدم التحيز في مسألة ما اذا كان يجدر تخفيض ارباح الراسمال من اجل زيادة اجرة العمال .

ولكن ليس ذلك كل ما في الامر . فان تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم الاجتماعي يبينان بكل وضوح ان الماركسية لا تشبه « الانزالية » بشيء بمعنى انها مذهب متحجر ومنطو على نفسه ، قام بمحو من الطريق الرئيسي لتطور المدنية العالمية . بل بالعكس فان عبقرية ماركس كلها تتقوم بالضبط في كونه اجاب على الاسئلة التي طرحها الفكر الانساني التقدمي . ولقد ولد

مذهبه بوصفه التنتية المباشرة الفورية لمذاهب اعظم ممثلي الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية

ان مذهب ماركس لكلي الجبروت ، لانه صحيح . وهو متناسق وكامل ؛ ويعطي الناس مفهوما منسجما عن العالم ، لا يتفق مع اي ضرب من الاوهام ، ومع اية رجعية ، ومع اي دفاع من الطفيلان البرجوازي وهو الوريث الشرعي لخير ما ابدعته الانسانية في القرن التاسع عشر : الفلسفة الالمانية ، والاقتصاد السياسي الانجليزي ، والاشتراكية الفرنسية

واننا سنتناول بايجاز مصادر الماركسية الثلاثة هذه ، التي هي في الوقت نفسه القسمها المكونة الثلاثة .

١

ان المادية هي فلسفة الماركسية ففي غضون كل تاريخ اوروبا الحديث ، ولا سيما في اواخر القرن الثامن عشر ، في فرنسا ، حيث كان يجري نضال حاسم ضد كل نفايات القرون الوسطى ، ضد الاقطاعية في المؤسسات وفي الافكار ، كانت المادية الفلسفة الوحيدة المنسجمة الى النهاية ، والامينة لجميع تعاليم العلوم الطبيعية ، والمعادية للاوهام ولتصنع التقوى ، الخ .. ولذا بذل اعداء الديموقراطية كل قواهم «لدحض» المادية ، لتقويضها ، للافتاء عليها ؛ ودافعوا من شتى اشكال المثالية الفلسفية التي تؤول ابداً ، على نحو او آخر ، الى الدفاع عن الدين او الى نصرته .

ولقد دافع ماركس وانجلس بكل حزم عن المادية الفلسفية وبيننا مراراً عديدة ما في جميع الانحرافات من هذا الاساس من اخطاء عميقة . ووجهات نظرهما معروضة باكثر ما يكون من

الوضوح والتفاصيل في مؤلفي انجلس و «لودفيغ فوريباخ»
و «دحض دوهرينغ» ، اللذين هما ، على غرار «البيان الشيوعي» ،
الكتابان المفضلان لدى كل عامل واع

ولكن ماركس لم يتوقف عند مادية القرن الثامن عشر ، بل
دفع الفلسفة خطوات الى الامام فاغناها بمكتسبات الفلسفة
الكلاسيكية الالمانية ، ولا سيما بمكتسبات مذهب هيغل ، الذي
قاد بدوره الى مادية فوريباخ . واهم هذه المكتسبات ، «الديالكتيك» ،
اي نظرية التطور باكمل مظاهرها واشدها عمقا ، واكثرها بعدا
عن ضيق الافق ، نظرية نسبية المعارف الانسانية التي تمكس
المادة في طورها الدائم . ان احدث اكتشافات العلوم الطبيعية -
الراديو ، والالكترونات ، وتحول العناصر - قد اثبتت بشكل
رائع صحة مادية ماركس الديالكتيكية ، رغم ان مائة مذهب
الفلاسفة البرجوازيين ورغم ردائهم «الجديدة» نحو المثالية
القديمة المهترئة .

وقد عمق ماركس المادية الفلسفية وطورها ، فانهى بها
الى نهايتها المنطقية ووسع نطاقها من معرفة الطبيعة الى معرفة
المجتمع البشري . ان مادية ماركس التناظرية كانت اكبر انتصار
احرزها الفكر العلمي . فعلى اثر البلبلة والاعتباط اللذين كاسا
سائدين حتى ذلك الحين في مفاهيم السياسة والتاريخ ، جاءت
نظرية علمية روعة في التناقض والتجانس والانسجام ، تبين كيف
ينشأ ويتطور ، من شكل معين من التنظيم الاجتماعي ، ومن جراء
نمو القوى المنتجة ، شكل آخر ، ارفع ، - كيف تولد الرأسمالية
من الاقطاعية ، مثلا .

وكما ان معرفة الانسان تمكس الطبيعة القائمة بصورة
مستقلة عنه ، اي المادة في طريق التطور ، كذلك تمكس معرفة

الإنسان الاجتماعية (أي مختلف الآراء والمذاهب الفلسفية والدينية والسياسية ، الخ .) نظام المجتمع الاقتصادي ان المؤسسات السياسية تقوم كبناء فوقى على اساس اقتصادي ؛ فاننا نرى ، مثلا ، كيف ان مختلف الاشكال السياسية للدول الأوروبية العصرية هي أدوات لتعزيز سيطرة البرجوازية على البروليتاريا ان فلسفة ماركس هي مادية فلسفية كاملة ، اعطت الإنسانية ، والطبقة العاملة بخاصة ، أدوات جبارة للمعرفة

٢

بعدما لاحظ ماركس ان النظام الاقتصادي يشكل الاساس الذي يقوم عليه البناء الفوقى السياسى ، اعار انتباهه اكثر ما اعاره لدراسة هذا النظام (الاقتصادي - ومؤلف ماركس الرئيسى ورأس المال) مكرّس لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الحديث ، اي الرأسمالي

لقد تكون الاقتصاد السياسى الكلاسيكى ما قبل ماركس في انجلترا ، وكانت اكثر البلدان الرأسمالية تطورا . فقد درس آدم سميث ودافيد ريكاردو النظام الاقتصادي فسجلا بداية نظرية القيمة العمل وواصل ماركس عملهما فاعطى هذه النظرية اساسا علميا خالصا وطورها بصورة منسجمة الى النهاية . وبين ان قيمة كل بضاعة مشروطة بوقت العمل الضرورى اجتماعيا لانتاج هذه البضاعة .

وحيث كان الاقتصاديون البرجوازيون يرون علاقات بين الأشياء (مبادلة بضاعة ببضاعة اخرى) ، اكتشف ماركس علاقات بين الناس . ان تبادل البضائع يعبر عن الصلة القائمة ، بواسطة السوق ، بين المنتجين المنفردين . والمال (النقد) يعنى

ان هذه الصلة تزداد وثوقا ، جامعة في كل واحد لا يتجزأ كل حياة المنتجين المنفردين الاقتصادية والراسمال يعني استمرار تطور هذه الصلة : فان قوة عمل الانسان تزدو بضاعة فالاجر يبيع قوة عمله لمالك الارض ولصاحب المصنع وادوات الانتاج والعامل يستخدم لسما من يوم العمل لتغطية نفقات اعالته واعالة أسرته (الاجرة) ؛ ويستخدم القسم الآخر للشغل مجانا ، خالفا للراسمالي القيمة الزائدة ، التي هي مصدر ربح ، مصدر الرء للطبقة الراسمالية

ان نظرية القيمة الزائدة تشكل حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصادية

ان الراسمال الذي يخلقه عمل العامل ينيخ بشقله عل العامل ، ويغرب صفار ارباب العمل ، وينشئ جيشا من العاطلين من العمل وانتصار الانتاج الضخم في الصناعة امر ظاهر من النظرة الاولى ؛ ولكننا لنلاحظ ظاهرة ماعلة في الزراعة ايضا فان تفوق الاستثمار الزراعي الراسمالي الضخم واستخدام الآلات يودادان ، والاستثمارات الفلاحية تقع في ربة الراسمال النقدي وتنحط ويحل بها الخراب تحت وطاة تكتيكها المتأخر ان اشكال هذا الانحطاط في الانتاج الصغير تختلف في الزراعة عنها في الصناعة ، ولكن الانحطاط نفسه واقع لا جدال فيه .

ان الراسمال ، اذ يتغلب على الانتاج الصغير ، يؤدي الى زيادة انتاجية العمل والى خلق وضع احتكاري في صالح جمعيات الراسماليين الكبار . وصفة الانتاج الاجتماعية تزداد بروزا يوما بعد يوم مئات الآلاف والملايين من العمال يجمعون في هيئة اقتصادية متناسقة ، بينما قبضة من الراسماليين تستملك نتاج العمل المشترك . وتفتد فوضى الانتاج ، والازمات والركض المجنون وراء الاسواق ، وعدم ضمان العيش لسواد السكان .

ان النظام الرأسمالي يزيد من تبعية العمال ازاء الرأسمال ويطلق في الوقت نفسه قدرة العمل الموحد الكبيرة .
لقد تتبع ماركس تطور الرأسمالية منذ عناصر الاقتصاد البضائي الاولى ، التبادل البسيط ، حتى اشكالها العليا ، الانتاج الكبير .

وان تجربة جميع البلدان الرأسمالية ، القديمة منها والجديدة ، تبين بوضوح ، وسنة بعد سنة ، صحة مذهب ماركس هذا لعدد متزايد ابدأ من العمال .
لقد انتصرت الرأسمالية في العالم بأسره ، ولكن هذا الانتصار ليس سوى المقدمة لانتصار العمل على الرأسمال .

٣

عندما دُك النظام الاقطاعي ، ورأى المجتمع الرأسمالي «النور» ، تبين فوراً ان هذه الحرية تعني نظاماً جديداً لاضطهاد الشغيلة واستثمارهم . وفوراً اخذت تنبثق شتى المذاهب الاشتراكية ، انعكاساً لهذا الاضطهاد واحتجاجاً عليه . ولكن الاشتراكية البدائية كانت اشتراكية طوبوية . فقد كانت تنتقد المجتمع الرأسمالي ، وتفسجه ، وتلعنه ، وتحلم بازالته ، وتغفل نظاماً افضل ؛ وتسمى الى اقناع الاغنياء بان الاستثمار مناف للاخلاق .

ولكن الاشتراكية الطوبوية لم تكن بقادرة على الاشارة الى مخرج حقيقي . ولم تكن لتعرف كيف تفسر طبيعة العبودية الماجورة في ظل النظام الرأسمالي ، ولا كيف تكتشف القوانين تطور الرأسمالية ، ولا كيف تجد القوة الاجتماعية القادرة على ان تصير خالقة المجتمع الجديد .

غير ان الثورات العاصفة التي رافقت سقوط الاقطاعية ،
القنانة ، في كل مكان من اوروبا وخاصة في فرنسا ، بينت بوضوح
متزايد على الدوام ان **الانفصال الطبقي** هو اساس كل التطور
ولقوة المحركة .

فما من حرية سياسية تم انتزاعها من طبقة الاقطاعيين
دون مقاومة يائسة . وما من بلد رأسمالي قام على
اساس حر ، ديموقراطي ، الى هذا الحد او ذاك ، دون قيام نضال
حتى الموت بين مختلف طبقات المجتمع الرأسمالي
ومن عبقرية ماركس ، انه كان اول من استخلص هذا
الاستنتاج الذي ينطوي عليه التاريخ العالمي وطبقه بصورة
منسجمة الى النهاية . وهذا الاستنتاج هو مذهب **الانفصال الطبقي** .
لقد كان الناس وسيظلون ابداً ، في حقل السياسة ، اناسا
سدجا يخدعهم الآخرون ويخدعون انفسهم ، ما لم يتعلموا
استشفاف مصالح هذه الطبقات او تلك وراء التعابير والبيانات
والوعود الاخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية فان انصار
الاصلاحات والتحسينات سيكونون ابداً عرضة لخداع المدافعين
عن الاوضاع القديمة طالما لم يدركوا ان قوى هذه الطبقات
المساندة او تلك تدعم كل مؤسسة قديمة مهما ظهر فيها من
بربرية واعتراء فلكي نسحق مقاومة هذه الطبقات ليس ثمة
سوى وسيلة واحدة هي ان نجد في نفس المجتمع الذي يحيط
بنا القوى التي تستطيع - **ونبغي** عليها بحكم وضعها الاجتماعي -
ان تغدو لقوة القادرة على تكتيس القديم وخلق الجديد ، وان
نشقف هذه القوى وننظمها للنضال .

فقط مادية ماركس الفلسفية بينت للبروليتاريا الطريق
الواجب سلوكه للخروج من العبودية الفكرية التي كانت تعبط

فيها حق ذلك جميع الطبقات المظلومة فقط نظرية ماركس الاقتصادية اوضحت وضع البروليتاريا الحقيقي في مجمل النظام الرأسمالي .

ان المنظمات البروليتارية المستقلة تتكاثر في العالم بأسره من اميركا الى اليابان ومن اسوج الى افريقيا الجنوبية . والبروليتاريا تتعلم وتترى في غمرة نضالها الطبقي وتتحور من اوهام المجتمع البرجوازي وتزداد تلاحماً على الدوام وتتعلم كيف تقدر نجاحاتها حق قدرها وتوطد قواها وتنمو بشكل لا مرد له .

بروسفيشيه ، العدد ٣ ،

آذار (مارس) ١٩١٣

ملوكس

موضوعات من فوردباخ (١)

١

ان النقيصة الرئيسية في المادية السابقة بامرها - بما فيها مادية فوردباخ - هي ان الشيء (Gegenstand) ، الواقع ، الحساسة ، لم تعرض فيها الا بشكل موضوع (Objekt) او بشكل تأمل (Anschauung) ، لا بشكل نشاط انساني حسي ، لا بشكل تجرية ، لا من وجهة النظر الذاتية . ولجم عن ذلك ان الجانب العملي ، بخلاف المادية ، اما طورته المثالية ، ولكن فقط بشكل تجريدي ، لان المثالية لا تعرف ، بطبيعة الحال ، النشاط الواقعي الحسي كما هو وفوردباخ يريد الموضوعات الحسية التي تتميز في الحقيقة من الموضوعات الفكرية ، ولكنه لا ينظر الى النشاط الانساني نفسه بوصفه نشاطا واقعي (gegenständliche) . ولهذا لم يعتبر في كتابه «جوهر المسيحية» هينا انسانيا حقا الا النشاط النظري ، في حين انه لم ينظر الى النشاط العملي ولم يحدده الا من حيث شكله التجاري الوسخ . ولهذا ، لا يدرك اهمية النشاط «الثوري» ، «النقدي-العملي»

٢

ان معرفة ما اذا كان التفكير الانساني له حقيقة واقعية (gegenständliche) ليست مطلقا قضية نظرية ، اما هي قضية

هملية ؛ ففي النشاط العملي ينبغي على الإنسان ان يثبت الحقيقة ،
اي واقعية وقوة تفكيره ووجود (Diesseltigkeit) هذا التفكير في
عالمنا هذا . والنقاش حول واقعية او عدم واقعية التفكير المنزل
عن النشاط العملي اما هو قضية كلامية بحثة

٢

ان النظرية المادية التي تقر بان الناس هم نتاج الظروف
والتربية ، وبالتالي بان الناس الذين تغيروا هم نتاج ظروف
اخرى وتربية متغيرة ، - هذه النظرية تنمى ان الناس هم الذين
يغيرون الظروف وان المربي هو نفسه بحاجة للتربية ولهذا
فهي تصل بالضرورة الى تقسيم المجتمع لسمين احدهما فوق
المجتمع (عند روبرت اوين مثلا)

ان اتفاق تبدل الظروف والنشاط الانساني لا يمكن بحثه
وفهمه فهما عقليا الا بوصفه ههلا ثوريا

٤

ان فوردباخ ينطلق من واقع ان الدين يعبد الانسان عن
نفسه ، ويشطر العالم الى عالم ديني موهوم وعالم واقعي . وعمله
ينحصر في جر العالم الديني الى قاعدته الأرضية . وهو لا يرى
انه متى انتهى هذا العمل ، يبقى الشيء الرئيسي غير منجز . والواقع
ان القاعدة الأرضية تفصل نفسها عن نفسها وتنقل نفسها الى
السحاب بوصفها ملكوتا مستقلا لا يمكن تفسيره الا بالتزايدات
والتناقضات الداخلية الملازمة لهذه القاعدة الأرضية . يجب اذن ،
اولا ، فهم هذه الاخيرة في تناقضها ، وبعد ذلك يجب تعديلها

بشكل ثوري من طريق ازالة هذا التناقض . وعليه ، حين يكتشف ،
مثلا ، سر العائلة المقدسة في العائلة الارضية ، يجب انتقاد العائلة
الارضية نفسها نظريا وتحويلها ثوريا بشكل عملي

٥

ان فورباخ الذي لا يرضيه التفكير المجرد يستنجد بالتأمل
الحسي ؛ ولكنه لا يعتبر الحساسية نشاطا هليا للحواس الانسانية .

٦

ان فورباخ يذيب الجوهر الديني في الجوهر الانساني . ولكن
الجوهر الانساني ليس تجريدا ملازما للفرد المنعزل فهو في
حقيقته مجموع العلاقات الاجتماعية كافة
ان فورباخ الذي لا ينتقد هذا الجوهر الحقيقي مضطر
اذن الى :

١ - ان يتجرد من سير التاريخ وان يعتبر الشعور الديني
(Gemüt) في ذاته ، مفترضا وجود فرد انساني مجرد منعزل ؛
٢ - ان يعتبر ، بالتالي ، الجوهر الانساني فقط بوصفه
«نوعا» ، تعميما داخليا اخرس ، يربط كثرة من الافراد بعري
طبيعية بعته .

٧

ولتيجة لذلك لا يرى فورباخ ان «الشعور الديني» هو نفسه
نتاج اجتماعي وان الفرد المجرد الذي يحلله يرجع في الحقيقة
الى شكل اجتماعي معين .

٨

ان الحياة الاجتماعية هي بالاساس حياة عهلية . وكل الاسرار الخفية التي تجر النظرية نحو الصوفية ، تجد حلولها العقلية في نشاط الانسان العملي وفي فهم هذا النشاط .

٩

ان الدروة التي بلغتها المادية التثملية ، اي المادية التي لا تعتبر الحساسية نشاطا عمليا اما هي تامل افراد منعزلين في «المجتمع المدني»

١٠

ان وجهة نظر المادية القديمة هي المجتمع «الهلثي» ؛ ووجهة نظر المادية الجديدة هي المجتمع الانساني او الانسانية التي تتسم بطابع اجتماعي .

١١

ان الفلاسفة لم يفعلوا غير ان قصروا العالم باشكل مختلفة ولكن المهمة تتقوم في تفهيمه .

يصدر حسب نص طبعة
عام ١٨٨٨ المقارن
بمخطوطة ماركس
تمت للترجمة نقلاً من الالمانية

كتبها كارل ماركس
في ربيع عام ١٨٤٥
لقرها المجلس لأول مرة
في عام ١٨٨٨ في ملحق لطبعة
منفردة لكتابه ولودفيغ فوردباخ
ونهاية الفلسفة الكلاسيكية
الالمانية

ماركس والجنس

بيان الحزب الشيوعي (٢)

مقدمة الطبعة الألمانية عام ١٨٧٢

ان عصبة الشيوعيين (٢) ، وهي جمعية شخيلة عالمية لم يكن من الممكن بحكم الظروف في ذلك العهد الا ان تكون جمعية سرية ، كلفت الموقعين ادناه ، في مؤتمر لندن المتعقد في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٤٧ ، بوضع برنامج مفصل للحزب ، نظري وتطبيقي ، قصد نشره . هذا هو منشأ هذا «البيان» الذي ارسلت نسخته الخطية لتطبع في لندن قبل ثورة شباط (٤) بعدة اسابيع . وقد نشر «البيان» بادی الامر بالالمانية وصدر منه في هذه اللغة ما لا يقل عن اثنتي عشرة طبعة مختلفة في المانيا وانكلترا واميركا ثم نقلته الى الانجليزية المس هيلين ماك فارلن ، ونشر للمرة الاولى عام ١٨٥٠ في لندن بجريدة "Red Republican" (وريد ريبيليكان) (٥) . وفي عام ١٨٧١ ظهر منه في اميركا ما لا يقل عن ثلاث ترجمات مختلفة بالانجليزية . وظهرت الترجمة الفرنسية للمرة الاولى في باريس قبيل انتفاضة حزيران (يونيو) عام ١٨٤٨ (٦) ، ونشرته في الآونة الاخيرة جريدة "Le Socialiste" (والسوسياليست) (٧) في ليونورك . والآن تميا له ترجمة اخرى . وصدرت منه طبعة باللغة البولوية في لندن بعد ظهور الطبعة الالمانية الاولى بمدة وجيزة . ثم صدر

باللغة الروسية في جنيف في العقد السابع ، وترجم كذلك الى اللغة الدانماركية بعيد نشره .

ورغم ان الظروف تبدلت كثيراً خلال السنوات الخمس والعشرين الاخيرة ، فالمبادئ العامة الواردة في هذا «البيان» لا تزال بالاجمال محافظة حتى اليوم على كل صحتها ، وان كان يجب ادخال بعض التعديل على عدد من الفقرات ان «البيان» نفسه يوضح ان تطبيق هذه المبادئ يتعلق دائماً وفي كل مكان بالظروف والاضواح التاريخية في وقت معين ، فلا تعلق اهمية قائمة بذاتها على التقدير الثورية المذكورة في نهاية الفصل الثاني . ونحن لو عدنا الى انشاء هذا المقطع اليوم ، لاختلف في اكثر من نقطة من الاصل . وقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه ، نظراً للرقى العظيم في الصناعة الكبرى خلال السنوات الخمس والعشرين الاخيرة وما رافق هذا الرقى من تقدم الطبقة العاملة في تنظيمها الحزبي ، ونظراً للتجارب الواقعية التي تركتها ثورة شباط (فبراير) لولاً ، ثم على الخصوص كومونة باريس (أ) حين كانت الملطة السياسية لأول مرة بين ايدي البروليتاريا لمدة شهرين . فقد برهنت الكومونة بصورة خاصة ان الطبقة العاملة لا يمكنها ان تكتفي بالاستيلاء على جهاز الدولة للقائم واستخدامه في غاياتها الخاصة (راجع «Der Bürgerkrieg in Frankreich, Adresse des Generalrats der Internationalen Arbeiterassoziation» والحرب الأهلية في فرنسا نداء المجلس العام لجمعية الشبيبة العالمية ، الطبعة الألمانية ، ص ١٩ ، حيث بسطت هذه الفكرة بصورة اكمل (٥) .

ومما لا ريب فيه أيضاً ان لقد الأدب الاشتراكي هو الآن غير كامل ، اذ انه يتوقف عند عام ١٨٤٧ ومن المفهوم كذلك ان الملاحظات بشأن مؤلف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة (الفصل ٤) ، وان كانت صحيحة اليوم أيضاً من حيث مبادئها ، الا انها اصبحت عتيقة من حيث تفاصيلها ، لمجرد كون الحالة السياسية قد تغيرت بتمامها ، والتطور التاريخي قد قضى على معظم الاحزاب المذكورة فيها

و«البيان» ، مع كل هذا ، وثيقة تاريخية لا نعتبر من حقنا تعديلها ، وربما لتوفيق ولرفق احدى طبعاته المقبلة بمقدمة تستطيع ملء الفراغ بين عام ١٨٤٧ وايماننا هذه اما الطبعة الحالية من «البيان» فقد فوجئنا بها مفاجأة ، ولم يكن لدينا الوقت لمثل هذا العمل .

كلول ملوكس
فرينريك المجلس

لندن ، ٢٤ حزيران (يوليو) ١٨٧٢

يصدر حسب نص الكراس
تمت الترجمة نقلاً من الالمانية

نشرت في كراس
„Das Kommunistische Manifest.
Neue Ausgabe mit einem Vorwort der
Verfasser“. Leipzig. 1872

من مقدمة المجلس للطبعة الالمانية عام ١٨٩٠

لقد عاش «البيان» حياة خاصة به ، فاستقبلته عند صدوره طليعة الاشتراكية العلمية ، وكانت اذ ذاك قليلة العدد جداً ، بتحيات العمامة (وتشهد على ذلك الترجمات المذكورة في المقدمة الاولى) ، ثم قلقت به الرجعية الى مركز ثانوي

* راجع الطبعة الحالية ، ص ٤١ . التاليف .

عقيب انكسار العمال الباريسيين في حزيران (يوليو) ١٨٤٨ ، وفي آخر الامر أصبح «البيان» محرماً «بمقتضى القانون» عند صدور الحكم على شيوعي كولونيا في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٥٢ (٩) . ومع زوال حركة العمال التي قامت في ثورة شباط (فبراير) عن مسرح الحياة الاجتماعية ، غاب «البيان» ايضاً .

ولما استعادت الطبقة العاملة الأوروبية قواها لهجوم جديد على سلطة الطبقات الحاكمة ، نشأت جمعية الشغيلة العالمية ، وكان هدفها ان تصهر جميع القوى المناضلة في الطبقة العاملة الأوروبية والأميركية في جيش جرار واحد فلم يكن في استطاعتها ، اذن ، ان تتطلق بصورة مباشرة من المبادئ المعروضة في «البيان» ، اذ كان عليها ان تصح برنامجاً لا يقفل الباب امام النقابات الانكليزية ولا امام البرودونيين الفرنسيين والبلجيكيين والاطاليين والاسبانيين ، ولا امام الالساين الالمان . وهذا البرنامج - الذي هو توطئة النظام الداخلي للاممية - وضعه ماركس بمهارة اعترف بها حتى باكولن والفوضيون وكان ماركس يؤمن الايمان كله بالانتصار النهائي للمبادئ الواردة

• كان لاسال يؤكد دائماً في علاقته معنا انه وتلميذه لماركس ، وجب هذا النحو كان يقف موقف «البيان» ، بالطبع ولكن الامر لم يكن كذلك مع بعض الصار الذين لم يتجاوزوا برنامجه من جمعيات انتاج تعاونية تمددوا الدولة بالامتدادات والذين قسموا كل الطبقة العاملة الى قسمين الصار الاعتماد على الحكومة والصار الاعتماد على النفس (ملاحظة المجلس .)

• راجع كارل ماركس . النظام الداخلي العام ولائحة التنظيم لجمعية الشغيلة العالمية . التافهر .

في «البيان» ، وهو يعتمد في ذلك كلياً وبوجه الحصر على التقدم الفكري للطبقة العاملة ، الذي كان يجب ان ينتج حتماً عن النشاط المشترك والمناقشة . ولم يكن من الممكن ان تمر الحوادث وتتابع الانتصارات والاندحارات في النضال ضد الرأسمال ، والاندحارات اكثر من الانتصارات ، دون ان تشعر المناضلين بان علاجهم الشافية غير كافية ، وجعلهم يدركون ادراكاً عميقاً الشروط الحقيقية الضرورية لتحرير العمال وكان ماركس محقاً فيما يذهب اليه . فان الطبقة العاملة في عام ١٨٧٤ ، بعد خل الاممية كانت تختلف اختلافاً كلياً عن تلك التي كانت في عام ١٨٦٤ عند تأسيس الاممية فالبرودوية في البلاد اللاتينية ، والاسابلية الموصولة في ألمانيا ، كانتا في دور الاحتضار وحق النقابات الانجليزية نفسها المغرقة في الرجعية كانت تقرب شيئاً فشيئاً من اللحظة التي كان يستطيع فيها رئيس « مؤتمرها المنعقد في سوانسي عام ١٨٨٧ ان يصرح باسمها وان الاشتراكية القارية لم تعد تخيفنا » الا ان الاشتراكية في القارة الاوروبية كانت آنذاك ، اي عام ١٨٨٧ ، تنطبق كلها تقريباً على النظرية المشروحة في «البيان» . وهكذا يعكس تاريخ «البيان» ، الى حد ما ، تاريخ حركة العمال الحديثة منذ عام ١٨٤٨ . ولا ريب انه في الوقت الراهن لوسع المطبوعات الاشتراكية انتشاراً واكثرها اممية ، بل هو البرنامج العام للملايين العديدة من العمال في جميع البلدان ، من سيبيريا الى كاليفورنيا .

ومع ذلك لم يكن في استطاعتنا ان نسميه عند صدوره بالبيان الاشتراكي ففي عام ١٨٤٧ كانت كلمة «الاشتراكي»

هذه تضم نوعين من الناس . من جهة اتباع مختلف النظم الطوبوية ،
واخصهم «الاوينيون» في انجلترا ، و«الفورييون» في فرنسا ،
وكانوا جميعا قد اصبحوا حلقات بسيطة في دور الاحتضار . ومن
جهة اخرى المشعوذون الاجتماعيون من كل شاكلة وطراز ،
الذين كانوا يريدون بواسطة اكاداس العلاجات ، وكل انواع
التريقح والترميم ، ان يمحوا البؤس الاجتماعي دون ان يصيبوا
الراسمال والربح بأذى ضرر . وفي كلتا الحالتين ، لم يكن هؤلاء
جميعا سوى اناس يقفون خارج حركة العمال وينتظرون ،
بالاخرى ، العون والتأييد من الطبقات «المثقفة» . وبعكس ذلك ،
كان هناك قسم من العمال مقتنع بعدم كفاية الانقلابات السياسية
الصرف ، ويسمى وراء تفسير المجتمع تفسيرا جوهريا كاملا ، وكان
هذا القسم يسمى نفسه اذ ذاك شيوعيا . وكانت شيوعيتهم هذه
غير مكتملة ، شيوعية غريزية ، فيها احيانا شيء من الخشونة ،
الا انه كان فيها ، مع ذلك ، القوة الكافية لتكوين منهجين من
الشيوعية الطوبوية : في فرنسا «ايكارية» كابه ، وفي المانيا منهج
ويتلينغ . كانت الاشتراكية تدل في عام ١٨٤٧ على حركة
برجوازية ، والشيوعية على حركة عمال . وكانت للاشتراكية ،
في القارة الأوروبية على الاقل ، مداخلها الى المجتمع الراقي ،
اما الشيوعية ، فكان الامر معها على عكس ذلك تماما . ولما كان
راينا الصريح الواضح منذ ذلك الحين ان «تحرير الطبقة العاملة
لا يمكنه الا ان يكون من صنع الطبقة العاملة نفسها» ، لم يكن
في استطاعتنا ان نتردد لحظة في الاسم الذي ينبغي لنا ان نختاره
بين الاسمين . ولم يخطر لنا قط منذ ذلك الوقت ان ننبذ هذه
التسمية

ويا عمال العالم ، اتحدوا ! - حينما القينا هذه الكلمات
في العالم لم تجاوبنا سوى بضعة اصوات فقط . وكان ذلك منذ

الثتين واربعين سنة وكنا اذ ذاك على اعتاب الثورة الباريسية ،
 اول ثورة غاضتها البروليتاريا بمطالبها الخاصة (١٠) ولكن
 لم يحن يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٦٤ حتى كان العمال
 من اكثر اقطار اوربا الغربية يتحدثون ويؤلفون جمعية الشغيلة
 العالمية ذات الذكرى المجيدة ان الاممية نفسها لم تعيش سوى
 تسع سنوات . اما التحالف الابدي الذي انشأه بين عمال جميع
 البلدان ، فليس ادل من يومنا هذا نفسه على انه لا يزال موجودا ،
 وانه الآن اقوى منه في اي وقت مضى ففي اللحظة (١١) التي
 اكتب فيها هذه السطور ، تستعرض البروليتاريا الاوروبية
 والاميركية قواها الكفاحية التي تنتظم لأول مرة في جيش واحد ،
 وتحت علم واحد ، وفي سبيل هدف مباشر واحد - هو تحديد
 يوم العمل العادي بشماني ساعات تحديداً مشروعا ، هذا اليوم
 الذي طالب به مؤتمر الاممية المنعقد في جنيف عام ١٨٦٦ ،
 وطالب به من جديد مؤتمر العمال المنعقد في باريس عام
 ١٨٨٩ ان مرأى هذا اليوم سوف يبين للراسماليين وكبار
 اصحاب الاراضي في كل الاقطار ، ان عمال العالم متحدون الآن
 اتحاداً حقيقياً فعليا

الا ليت ماركس الى جانبي ليرى بعينه كل هذا !

فريديريك انجلس

لندن ، اول ايار (مايو) ١٨٩٠

يصدر حسب نص الكتاب
 تمت الترجمة نقلاً عن الالمانية

نشرت في كتاب
 „Das Kommunistische Manifest“.
 London, 1890

بيان الحزب الشيوعي

هناك شبح يجول في أوروبا - هو شبح الشيوعية . وقد اتحدت كل قوى أوروبا العجوز في حلف مقدس لملاحقته والتضييق عليه من البابا والقيصر الى مترليخ وغيزو ، ومن الراديكاليين في فرنسا الى رجال الشرطة في المانيا اي حزب معارض لم يتهمه خصومه القابضون على زمام السلطة بالشيوعية ؟ واي حزب معارض لم يلصق ، بدوره ، تهمة الشيوعية - الدامغة - سواء باقسام المعارضة التي هي اكثر تقدما منه ، ام باخصامه الرجعيين ؟

ومن كل ذلك نستخلص شيئين :

اولهما ان الشيوعية اصبحت قوة معترفا بها من جميع القوى الأوروبية .

والثاني ان الشيوعيين قد آن لهم ان يعرضوا امام العالم بأسره مفهوماتهم واهدافهم وميولهم ، ويدحضوا خرافة شبح الشيوعية ببيان من الحزب نفسه

ولهذه الغاية اجتمع في لندن شيوعيون من مختلف القوميات وضعوا «البيان» التالي الذي ينشر باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والفلمنكية والدانماركية .

البرجوازيون والبروليتاريون *

ان تاريخ كل مجتمع .. الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ
نضال بين الطبقات .

* نعتي بالبرجوازية طبقة الرأسماليين المعاصرين ، مالكي وسائل
الانتاج الاجتماعي الذين يستخدمون العمل المأجور . ونعتي بالبروليتاريا
طبقة العمال الاجراء المعاصرين الذين لا يملكون اية وسائل انتاج فيضطرون
بالتالي الى بيع قوة عملهم لكي يمشوا . (ملاحقة المجلس للطبعة الانجليزية
عام ١٨٨٨ .)

* * * وحل الاصح للتاريخ المكتوب : ففي عام ١٨٤٧ كان تاريخ النظام
الاجتماعي الذي سبق كل تاريخ مكتوب ، اي عهد ما قبل التاريخ ، مجهولا
تقريبا . وبعدئذ اكتشف هاكستهاوزن في روسيا الملكية المشاعية للارض ،
وبرهن مورير ان هذه الملكية المشاعية كانت الاساس الاجتماعي الذي
انطلق منه تاريخيا تطور جميع القبائل الجرمانية ، ثم تبين فيينا فشيئا
ان المشاعة الريفيه مع التملك الجماعي للارض كانت في الماضي لو تولف
الآن الشكل الابتدائي للمجتمع في كل مكان من الهند الى ارلنده . واخيراً
اتضح تماما التنظيم الداخلي لهذا المجتمع الشيوعي الابتدائي بما فيه من
ميزات اساسية ، عقب اكتشاف مورغان الذي بين الطبيعة الحقيقية للعائلة
الابتدائية الاولى ومكانها من القبيلة . وبالحلال هذه المشاعة الابتدائية
يبدأ انقسام المجتمع الى طبقات متميزة تصبح آخر الامر متعارضة

ولقد حاولت تتبع سير هذا الانحلال في كتابي „Der Ursprung der
Familie, des Privateigentums und des Staats“, 2.Aufl., Stuttgart, 1886
(واصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) ، الطبعة الثانية ، فتوضايات ،
١٨٨٦ .) (ملاحقة المجلس للطبعة الانجليزية سنة ١٨٨٨ .)

فالحرف والعبد ، والنبيل والعامي ، والسيد الاقطاعي والفقير ، والمعلم والصانع ، اي باختصار المضطهدون والمضطهَدون ، كانوا في تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهي دائما اما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره واما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معا وخلال الجهود التاريخية السابقة نجد المجتمع في كل مكان تقريبا ، منظما تنظيميا متسلسلا ، والاضاع الاجتماعية على مراتب ودرجات متفاوتة ففي روما القديمة نجد النبلاء ، ثم الفرسان ، ثم العامة ، ثم الارقاء ؛ في القرون الوسطى نجد الاقطاعيين الاسياد ، ثم الاقطاعيين الاتباع ، ثم المعلمين ، ثم الصناع ، ثم الاكثان ، ونجد تقريبا داخل كل طبقة من هذه الطبقات مراتب ودرجات خاصة .

اما المجتمع البرجوازي الحديث الذي نشأ على انقاض المجتمع الاقطاعي فانه لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات ، بل اقام طبقات جديدة بدلا من القديمة ، واوجد ظروفًا جديدة للاضطهاد واشكالا جديدة للنضال .

الا ان الذي يميز عصرنا الحاضر ، عصر البرجوازية هو انه جعل التناحر الطبقي اكثر بساطة فان المجتمع أخذ في الانقسام اكثر فاكثر الى معسكرين فسيحين متعارضين ، الى طبقتين كبيرتين ، العداء بينهما مباشر - هما البرجوازية والبروليتاريا

* المعلم : عضو كامل الحقوق في الحرفة ، معلم في داخل المشغل لا رئيسه . (ملاحظة المجلس للطبعة الانجليزية سنة ١٨٨٨ .)

لمن اثنان القرون الوسطى نشأت عناصر المدن الاولى ؛ ومن هؤلاء السكان المدنيين خرجت العناصر الاولى للبرجوازية . ثم كان اكتشاف اميركا والطريق البحري حول شواطئ افريقيا الذي قدم للبرجوازية الصاعدة ميدانا جديدا للعمل . فان اسواق الهند والصين واستعمار اميركا والتبادل مع المستعمرات وتعدد وسائل التبادل وتدفق البضائع بوجه عام ، كل هذه الامور دفعت التجارة والملاحة والصناعة الى الامام بقوة لم تكن معروفة الى ذلك الحين وامنت بذلك نموا سريعا للعنصر الثوري في المجتمع الاقطاعي الاخذ في الانحلال .

ولم يعد في استطاعة اسلوب الانتاج الصناعي القديم ، الاقطاعي او الحرثي ، ان يلي الحاجات التي كانت تزداد مع افتتاح الاسواق الجديدة ، فحلت المايفاكتورة محله ، واخذت الفئة الصناعية المتوسطة مكان المعلمين ، واختفى تقسيم العمل بين هيئات الحرف المختلفة امام تقسيم العمل في قلب الورشة نفسها . الا ان الاسواق كانت تتسع وتتعاظم دون انقطاع ، والطلب يزداد باستمرار ، فاصبحت المايفاكتورة نفسها غير وافية بالحاجة وعندئذ احدث البخار والآلة انقلابا ثوريا في الانتاج الصناعي ، وحلت الصناعة الكبرى الحديثة محل المايفاكتورة ، واخذت الفئة الصناعية المتوسطة الميدان لرجال الصناعة اصحاب الملايين ، لقواد الجيوش الصناعية الحقيقية اي لبرجوازي العصر الحاضر

وخلقت الصناعة الكبرى السوق العالمية التي هياها اكتشاف اميركا . وادت السوق العالمية الى توسع التجارة والملاحة وتقدم المواصلات البرية بصورة هائلة ثم عاد هذا التوسع فائز بدوره في مجرى الصناعة ، وكلما كانت الصناعة والتجارة والملاحة

والسكك الحديدية تتقدم وتنمو ، كانت البرجوازية كذلك تنمو وتعاظم وتضاعف رساميلها وتدفع الى الوراء جميع الطبقات التي خلفتها القرون الوسطى .

فالبرجوازية المعاصرة نفسها ، كما نرى ، هي نتيجة تطور طويل وسلسلة من الثورات في اساليب الانتاج والتبادل وكانت كل مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها البرجوازية يقابلها رقي سياسي مناسب تحوزه هذه الطبقة فقد كانت البرجوازية في بادى الامر فئة مضطهدة تحت عسف الاقطاعيين واستبدادهم ، ثم كانت جماعة مسلحة تدير نفسها بنفسها في الكومونة . هنا جمهورية مدنيية مستقلة ، وهناك طبقة ثالثة ضمن المملكة تدفع الجزية للملك ، ثم في عهد المانيفاكتورة كانت البرجوازية قوة توازن رجحان قوة النبلاء في الممالك ذات الحكم المقيد او المطلق وحجر الزاوية للممالك الكبرى بوجه عام ، وأخراً منذ ان توطدت الصناعة الكبرى وتأسست السوق العالمية استولت البرجوازية على كل السلطة السياسية في الدولة التمثيلية الحديثة . فالحكومة الحديثة ليست سوى لجنة ادارية تدير الشؤون العامة للطبقة البرجوازية بأسرها .

• والكومونة - هكذا كانت تسمى في فرنسا المدن الثائرة حق قبل ان تنتزع من مالكيها واسيادها الاقطاعيين الادارة المحلية الذاتية والحقوق السياسية والطبقة الثالثة وبوجه عام ، اخذت إنجلترا هنا نموذجاً لتطور البرجوازية الاقتصادي واخذت فرنسا نموذجاً لتطور البرجوازية السياسي (ملاحظة المجلس للطبعة الانجليزية عام ١٨٨٨ .)
الكومونة - هكذا كان سكان المدن في ايطاليا وفرنسا يسمون مجموعتهم المدنية ، فور التزامهم او فرائهم من سادتهم الاقطاعيين حقوقهم الاولية في ادارة ذاتية . (ملاحظة المجلس للطبعة الالمانية عام ١٨٩٠ .)

لقد لعبت البرجوازية في التاريخ دوراً ثورياً للغاية .
 فحيثما استولت البرجوازية على السلطة سحقت تحت اقدامها
 جميع العلاقات القطاعية والبطيركية والعاطفية ، وحطمت دون
 رافة الصلات المزخرفة التي كانت في عهد القطاعية تربط الانسان
 «بسادته الطبيعيين» ولم تبق على صلة بين الانسان والانسان الا
 صلة المصلحة الجافة والدفع الجاف ونقداً وعداءً ، واغرقت
 الحمية الدينية وحماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة في
 مياه الحساب الجليدية المشبعة بالانانية ، وجعلت من الكرامة
 الشخصية مجرد قيمة تبادل لا اقل ولا اكثر ، وقضت على الحريات
 الجمّة ، المكتسبة والممنوحة ، وأحلت محلها حرية التجارة
 وحدها ، هذه الحرية القاسية التي لا تشفق ولا ترحم . فهي ،
 بالاختصار ، استعاضت عن الاستثمار المقنع بالاوهام الدينية
 والسياسية باستثمار مكشوف فائق مباشر فظيع
 وانتزعت البرجوازية عن المهن والأعمال التي كانت تعتبر
 الى ذلك العهد محترمة مقدسة ، كل بهائها ورونقها وقداستها ،
 وادخلت الطبيب ورجل القانون والكاهن والشاعر والعالم في عداد
 الشغيلة المأجورين في خدمتها
 ومزقت البرجوازية العجائب العاطفي الذي كان مسدلاً على
 العلاقات العائلية واحالتها الى علاقات مالية صرف .

وبينت البرجوازية كيف ان الكسل والخمول في القرون
 الوسطى كانا التتمة الطبيعية لذلك المظهر الفظ للقوة الجسمية
 التي تعجب بها الرجعية ايما اعجاب . والبرجوازية هي اول من
 اظهر ما يستطيع ابداهه النشاط الانساني ، فقد خلقت عجائب
 تختلف كل الاختلاف عن اهرامات مصر والاقنية الرومانية

والكنائس الفوطية ، وقادت حملات لا تشابه في شيء تنقلات
للشعوب والحروب الصليبية (١٢) .

ان البرجوازية لا تعيش الا اذا ادخلت تغييرات ثورية
مستمرة على ادوات الانتاج ، وبالتالي على علاقات الانتاج ، اي
على العلاقات الاجتماعية بأسرها . وبعكس ذلك ، كانت المحافظة
على اسلوب الانتاج القديم ، الشرط الاول لحياء الطبقات الصناعية
السالفة . فهذا الانقلاب المتتابع في الانتاج ، وهذا التزعزع
الدائم في كل العلاقات الاجتماعية ، وهذا التحرك المستمر والعدم
الاطمئنان على الدوام ، كل ذلك يميز عهد البرجوازية عن كل
المهود السالفة ، فان كل العلاقات الاجتماعية التقليدية الجامدة ،
وما يحيط بها من مواكب المعتقدات والافكار ، التي كانت قديما
محترمة مقدسة ، تنحل وتندثر ؛ اما التي تحمل محلها فتشيخ
ويتقادم عهدا قبل ان يصلب عودها . وكل ما كان تقليديا
ثابتا يطر ويبتدد كالذئبان ، وكل ما كان مقدسا يعامل باحتقار
وازدراء ويضطر الناس في النهاية الى النظر لظروف معيشتهم
وعلاقاتهم المتبادلة باعين يقطعة لا تفضاها الاوهام .

وبدافع الحاجة الدائمة الى اسواق جديدة تنطلق البرجوازية
الى جميع انحاء الكرة الأرضية . فينبغي لها ان تدخل وتتغلغل في
كل مكان ، وتوطد دعائمها في كل مكان ، وتقيم الصلات في كل
مكان .

وباستثمار السوق العالمية تصبح البرجوازية الانتاج
والاستهلاك في كل الاقطار بصيغة كوسموبوليتية وتزعزع من
الصناعة اساسها الوطني ، بين ياس الرجعيين وقنوطهم ، لتنفرض
الصناعات الوطنية التقليدية القديمة او تصبح على وشك ان
تنقرض . وتحل محلها صناعات جديدة يصبح ادخالها وتصميمها

مسألة حيوية لكل الأمم المتقدمة ، صناعات لم تعد تستعمل المواد الأولية المحلية بل المواد الأولية الآتية من ابعد مناطق العالم ولا تستهلك منتجاتها في داخل البلاد نفسها فحسب بل في جميع انحاء المعمورة . وتتولد ، بدلا من الحاجات القديمة التي كانت تكفيها المنتجات الوطنية ، حاجات جديدة تتطلب لكفايتها منتجات أقصى الاقطار ومختلف المناخات . ومكان الانزوال المحلي والوطني السابق والاكتفاء الذاتي ، تقوم بين الأمم صلات شاملة وتصبح الأمم متعلقة بعضها ببعض في كل الميادين . وما يقال عن الانتاج المادي ينطبق ايضا على الانتاج الفكري . فثمار النشاط الفكري عند كل امة تصبح ملكا مشتركا لجميع الأمم ويصبح من المستحيل اكثر فاكثرا على اية امة ان تظل محصورة في افقها الضيق ومكتفية به . ويتألف من مجموع الآداب القومية والمحلية ادب عالمي .

وتجر البرجوازية الى تيار المدنية كل الأمم ، حتى اشدها همجية ، تبعا لسرعة تحسين جميع ادوات الانتاج وتسهيل وسائل المواصلات الى ما لا حد له فان رخص منتجاتها هو لي يدها بمثابة مدفعية ضخمة تقتحم وتغرق كل ما هنالك من اسوار صينية ، وتنحني امامها رؤوس اشد البرابرة عداء وكرها للاجانب . وتجبر البرجوازية كل الأمم ، تحت طائلة الموت ، ان تقبل الاسلوب البرجوازي في الانتاج وان تدخل اليها المدنية المزعومة ، اي ان تصبح برجوازية . فهي ، بالاختصار ، تخلق عالما على صورتها ومثالها

واخفضت البرجوازية الريف للمدينة ، فانشات المدن الكبرى وزادت سكان المدن زيادة هائلة بالنسبة لسكان الارياف ، والتزعت بذلك قسما كبيرا من السكان من بلاد الحياة القروية .

وكما انها اخضعت الريف للمدينة ، كذلك اخضعت البلدان
الهمجية ونصف الهمجية للبلدان المتمدنة ، الامم الفلاحية -
للأمم البرجوازية ، الشرق - للغرب

وتقضي البرجوازية اكثر فاكثر على تبعثر وسائل الانتاج
والملكية والسكان . وقد كدست السكان ومركوز وسائل الانتاج
وجمعت الملكية في ايدي افراد قلائل . وكانت النتيجة المحتومة
لهذه التغييرات نشوء التمركز السياسي فالمقاطعات المستقلة
التي كانت العلاقات بينها تكاد تكون علاقات اتحادية ، والتي
كانت لها مصالح وقوانين وحكومات وتعرفات جمركية مختلفة ،
انما جمعت كلها ، دمجت في امة واحدة مع حكومة واحدة ، وقوانين
واحدة ، ومصلحة قومية طبقية واحدة ، وراء حاجز جمركي
واحد .

وخلقت البرجوازية ، منذ تسلطها الذي لم يكد يمضي عليه
قرن واحد ، قوى منتجة تفوق في حدودها وعظمتها كل ما صنعتها
الاجيال السالفة مجتمعة . فان اخضاع قوى الطبيعة ، واستخدام
الالات وتطبيق الكيمياء في الصناعة والزراعة ، ثم الملاحة البخارية
والمسكك الحديدية والتلغراف الكهربائي ، وهذه القارات الكاملة التي
كانت بوراً فاحصبت ، وهذه الانهار والترع التي اصلحت وراحت
البواخر تمخر عبابها ، وهذه الشعوب التي كانما لدفعتها من بطن
الارض قوة سحرية ، - اي عصر سالف واي جيل مضى كان يحلم
بان مثل هذه القوى المنتجة العظيمة كامنة في قلب العمل
الاجتماعي !

وهكذا تبين لنا ان وسائل الانتاج والتبادل التي قامت
البرجوازية على اساسها ، نشأت داخل المجتمع الاقطاعي ، ثم ،
لما بلغت هذه الوسائل حداً معيناً من التقدم والرقى ، لم تعد

الظروف التي كان المجتمع الاقطاعي ينتج ويبادل ضمنها ، لم يعد التنظيم الاقطاعي للزراعة والصناعة ، اي بكلمة واحدة ، لم يعد النظام الاقطاعي للملكية يتفق مع القوى المنتجة في ملء قدمها ، بل اصبح يعرقل الانتاج عوضاً عن تطويره ، ثم تحول الى قيود تكبله ، واصبح من الواجب تحطيم هذه القيود ، فحطمت . وحلت محلها المزاومة الحرة ، يرافقها نظام اجتماعي وسياسي يناسبها ، وقامت معها السيطرة الاقتصادية والسياسية للطبقة البرجوازية .

وتجري الآن امام اميننا حركة مماثلة لهذه فان علاقات الانتاج والتبادل البرجوازية وعلاقات الملكية البرجوازية ، اي كل هذا المجتمع البرجوازي الحديث الذي خلق وسائل الانتاج والتبادل العظيمة الهائلة اصبح يشبه الساحر الذي لا يدري كيف يقمع ويخضع القوى الجهنمية التي اطلقها من عقابها بتساوئده . فليس تاريخ الصناعة والتجارة منذ بضع عشرات السنين سوى تاريخ تمرد القوى المنتجة الحديثة على علاقات الانتاج الحديثة ، على علاقات الملكية التي يقوم عليها وجود البرجوازية وسيطرتها . ويكفي ذكر الازمات التجارية التي تقع بصورة دورية وتهدد اكثر فاكث وجود المجتمع البرجوازي بأسره فكل ازمة من الازمات لا تكتفي باتلاف كمية من المنتجات المصنوعة الجاهزة فقط ، بل تقضي ايضاً على قسم كبير من القوى المنتجة القائمة نفسها . وينقض على المجتمع وباء لم يكن ليعتبر في جميع العهود السابقة سوى خرافة غير معقولة ، - هذا الوباء ، هو فيض الانتاج . فيرتمي المجتمع فجأة في حالة همجية حتى ليطيل للمرء ان هنالك مجاعة او حرباً طاحنة تقطع عن المجتمع وسائل معيشته وموارد رزقه ، وكانما الصناعة والتجارة التي عليهما

الخراب والدمار . ولم ذلك ؟ ذلك لانه اصبح في المجتمع شيء كثير من المدنية ، وكثير من وسائل العيش ، وكثير من الصناعة والتجارة . ولم تعد القوى المنتجة الموجودة تحت تصرف المجتمع تساعد على نمو علاقات الملكية للبرجوازية وتقدمها ، بل بالعكس اصبحت هذه القوى عظيمة جداً بالنسبة لهذه العلاقات البرجوازية التي اضحت عائقاً في سبيل تقدمها وتوسعها . وكلما شرعت القوى المنتجة تتغلب على هذا العائق رمت المجتمع البرجوازي بأسره في الاضطراب والاختلال وهددت وجود الملكية البرجوازية بالانهيار . لقد اصبحت العلاقات البرجوازية اضيق من ان تستوعب الثروات الناشئة في قلبها فكيف تتغلب البرجوازية على هذه الازمات ؟ تتغلب بالتدمير القسري لمقدار من القوى المنتجة من جهة ، وبالإستيلاء على اسواق جديدة وزيادة استثمار الاسواق القديمة من جهة اخرى . بماذا اذن ؟ بتحضير ازمات اهم واهول ، وتقليل الوسائل التي يمكن تلافي هذه الازمات بها

فالاسلحة التي استخدمتها البرجوازية للفصاء على الاقطاعية ترد اليوم الى صدر البرجوازية نفسها .

ولكن البرجوازية لم تصنع فقط الاسلحة التي سوف تقتلها ، بل اخرجت ايضا الرجال الذين سيستعملون هذه الاسلحة : وهم العمال المصريون ، او البروليتاريون .

تبعا لتطور البرجوازية ، اي لتطور الراسمال ، تتطور البروليتاريا ، طبقة العمال المصريين الذين لا يعيشون الا اذا وجدوا عملاً ، ولا يجدونه الا اذا كان عملهم هذا ينمي الراسمال . وهؤلاء العمال المجبرون على بيع انفسهم بالمفرق هم بضاعة ، هم مادة تجارية كغيرها ، يعانون كل تقلبات المرحمة وكل موجات السوق .

ونتيجة لامتداد استعمال الآلات ولتقسيم العمل ، فقد عمل
البروليتاريين كل صبغة شخصية ، واضاع بذلك كل جاذب ،
 واصبح العامل عبارة عن ملحق بسيط للآلة لا يطلب منه الا
القيام بعملية بسيطة رتيبة سهلة التلقين . وبذلك اصبح ما
يكلفه العامل اليوم هو تقريبا ما تكلفه وسائل المعيشة اللازمة
للاحتفاظ بحياته وتخليد نوعه الا ان ثمن العمل (١٢) كثر
كل بضاعة يساوي تكاليف انتاجه اذن كلما اصبح العمل باعثا
على الاستثمار ، هبطت الاجور . وفوق ذلك ينمو ، مع استخدام
الآلة وتقسيم العمل ، مجموع الجهد المصروف في العمل ، اما
بازدياد ساعات العمل ، واما بزيادة الجهد المطلوب في مدة
معينة من الزمن ، او بتعاظم سرعة حركة الآلات ، الخ ..

ان الصناعة الحديثة حولت ورشة المعلم الحرفي البطريكي
الصغيرة الى مصنع كبير للصناعي الرأسمالي ، واخذت جماهير العمال
المتكدسين في هذا المصنع يخضعون لتنظيم اشبه بالتنظيم
العسكري . مهم جنود الصناعة البسيطون الخاضعون لسلسلة كاملة
من كبار الضباط وصغارهم كأنهم في جيش عسكري . وهم ليسوا
عبيد الطبقة البرجوازية والدولة البرجوازية فعسب ، بل هم
في كل يوم وكل ساعة عبيد للآلة وللمناظر وللبرجوازي ،
صاحب العمل نفسه بوجه خاص . وكلما تبين بصراحة ان الربح
هو الهدف الوحيد لكل هذا الاستبداد ، ازداد هذا الاستبداد
بشاعة وقبحا واثارة للسخط والحفيظة

وكلما قل تطلب العمل اليدوي للمهارة والقوة ، اي كلما
تركت الصناعة الحديثة ، استعاض من عمل الرجل بعمل النساء
والاولاد . ولا تبقى للفروق في الجنس او السن اهمية اجتماعية
بالنسبة للطبقة العاملة ، فليس ثمة سوى ادوات للعمل تتغير
كلفتها حسب العمر والجنس .

ومق انتهى العامل من مقاساة استثمار صاحب المعمل ، وحسبت له أجرته ، أصبح فريسة لعناصر أخرى من البرجوازية : مالك البيت والبائع بالمفرق والمرايبي ، الخ

أما صفار الصناعيين والتجار وأصحاب الإيرادات والحرفيون والفلاحون ، أي الدرجات السفلى من الطبقة المتوسطة ، فيتدهورون إلى صفوف البروليتاريا ، وذلك لأن رساميلهم الضعيفة لا تسمح لهم باستعمال أساليب الصناعة الكبرى ، فيندحرون ويهلكون في مزاحمتهم لكبار الرأسماليين ، ولأن مهارتهم الفنية تفقد قيمتها وأهميتها تجاه أساليب الإنتاج الجديدة ، وعلى هذه الصورة تتجند البروليتاريا من كل طبقات السكان .

وتمر البروليتاريا في تطورها بمراحل مختلفة ، ويبدأ نضالها ضد البرجوازية منذ نشأتها

يقوم بالنضال ، بادی الامر ، عمال فرادی منزولون ، ثم يتكاتف عمال معمل واحد ، ثم يضم النضال كل عمال الفرع الصناعي الواحد في محطة واحدة ضد البرجوازي الذي يستثمرهم بصورة مباشرة . ولا يكتفي العمال بتوجيه ضرباتهم إلى علاقات الإنتاج البرجوازية ، بل يوجهونها أيضاً إلى أدوات الإنتاج نفسها ، فيتلغون البضائع الأجنبية التي تراحمهم ، ويعطمون الآلات ويحرقون المصانع ويسعون إلى استعادة الوضع المضاع الذي كان يتمتع به العامل في القرون الوسطى باستعمال القوة .

وفي هذه المرحلة يكون العمال عبارة عن جماهير مبعثرة في البلاد تفتتها المزاومة . وإذا اتفق أن هم العمال صفوفهم في جموع متراسة ، فلا يكون ذلك في هذا الدور نتيجة لوحدهم الخاصة بهم ، بل نتيجة لوحدة البرجوازية التي ينبغي لها ، لكي تبلغ مراميها السياسية ، أن تحرك البروليتاريا بأسرها ،

وهي ما تزال تملك القدرة على ذلك . وفي هذه المرحلة لا يحارب البروليتاريون اعداءهم بل اعداء اعدائهم ، اي بقايا الحكم الملكي المطلق وكبار اصحاب الاراضي والبرجوازيين غير الصناعيين وصغار البرجوازيين وهكذا تكون الحركة التاريخية كلها متمركزة في ايدي البرجوازية ، وكل الانتصار في هذه الظروف ، يكون انتصاراً للبرجوازية

الا ان الصناعة ، عندما تتقدم وتنمو ، لا تضخم عدد البروليتاريين فقط ، بل تركزهم ايضاً وتضمهم في جماهير اوسع واعظم ، فتنمو قدرتهم ويدركون مدى هذه القوة وتتساوى يوماً فيوماً مصالح البروليتاريين وظروف معيشتهم ، تبعاً لما تقوم به الآلة من معو كل فرق في العمل ومن انزال الاجرة في كل مكان تقريباً الى مستوى متماثل في انخفاضه . ونظراً لنمو التضام فيما بين البرجوازيين ، وما ينتج عن ذلك من الازمات التجارية ، تصبح اجور العمال يوماً بعد يوم اكثر ثقلًا واقل استقراراً ؛ ويؤدي استمرار الاتقان في صنع الآلات بسرعة متزايدة على الدوام الى جعل حالة العمال اكثر فاكثراً عديمة الاستقرار ، غير مضمولة ؛ وتصطبغ المصادمات الفردية بين العامل والبرجوازي ، شيئاً فشيئاً ، بصبغة المصادمات بين طبقتين . ويبدأ العمال في تاليف الجمعيات ضد البرجوازيين من اجل الدفاع عن اجورهم ويتقدمون في هذا السبيل ويؤلفون جمعيات دائمة لكي يؤمنوا وسائل العيش لانفسهم في حال وقوع اصطدامات ؛ وهنا وهناك ينفجر النضال بشكل انتفاضة

وقد ينتصر العمال احياناً ، ولكن انتصارهم يكون قصير الابد . والنتيجة الحقيقية لنضالهم هي هذا التضامن المتعاظم بين جميع الغفيلة ، لا ذلك النجاح المباغر الوقتي . والذي يسهل

تقدم هذا التضامن واقتداده هو نمو وسائل المواصلات التي تخلقها الصناعة الكبرى والتي تسمح للعمال ، في مختلف الجهات والمناطق ، باتصال بعضهم ببعض ويكفي هذا الاتصال بين العمال ، لتحويل النضالات المحلية المتعددة ذات الصبغة المتماثلة في كل مكان ، الى نضال طبقي واحد يشمل القطر بأسره غير ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي . والاتحاد الذي كان سكان المدن في القرون الوسطى يقضون قرونا لتحقيقه نظراً لطرقهم الوحرة الابتدائية ، تحققه البروليتاريا الحديثة خلال بضع سنين فقط بفضل السكك الحديدية

الا ان النظام البروليتاريا في طبقة ، وبالتالي- في حزب سياسي ، يحطمه بصورة مستمرة تزامم العمال فيما بينهم ولكن هذا الانتظام لا يختفي حتى يعود فيولد من جديد وهو دائما اشد قوة واكثر صلابة والقوى بأسا ، ويستفيد من انقسامات البرجوازيين فيما بينهم ، فيجبرهم على جعل بعض مصالح الطبقة العاملة مشروعة معترفا بها قانونيا ، مثل قانون جعل مدة العمل اليومي عشر ساعات في إنجلترا .

ان المصادمات التي تقع في المجتمع القديم تساعد بصورة عامة ، وبشق الصور والاشكال ، على تطور البروليتاريا وتقدمها فان البرجوازية تعيش في حالة حرب مستمرة ، في بادى الامر ، ضد الارستقراطية ، ثم ضد تلك الجماعات من البرجوازية نفسها التي تتناقض مصالحها مع رقي الصناعة ، وبصورة دائمة ضد برجوازية الاقطار الاجنبية جميعا وتوى البرجوازية نفسها مضطرة ، في كل ميادين النضال هذه ، الى الالتجاء للبروليتاريا وطلب معونتها ، فتجرها بذلك الى مضمار الحركة السياسية وهكذا تقدم البرجوازية بيديها الى البروليتاريين عناصر ثقافتها ، اي انها تسلمهم السلاح الذي سيحاربونها به .

اضف الى كل ذلك ما رأيناه من ان جماعات كاملة من الطبقة الحاكمة تتدهور ، بنتيجة تطور الصناعة وتقدمها ، الى طبقة البروليتاريا ، او تكون على الاقل مهددة في ظروف معيشتها و ظروف حياتها فهذه الجماعات تحمل كذلك الى البروليتاريا عدداً عديداً من عناصر الثقافة .

واخيراً ، عندما يقترب نضال الطبقات من الساعة الحاسمة الفاصلة ، يتخذ انحلال الطبقة الحاكمة والمجتمع القديم بأسره طابعاً يبلغ من حدته وعنفه ان جزءاً صغيراً من هذه الطبقة الحاكمة نفسها ينفصل عنها وينضم الى الطبقة الثورية ، الى الطبقة التي تحمل في قلبها المستقبل . وكما انتقل فيما مضى قسم من النبلاء الى جانب البرجوازية ، كذلك في ايامنا هذه ينتقل قسم من البرجوازية الى جانب البروليتاريا ، وخصوصاً القسم المؤلف من البرجوازيين المفكرين الذين تمكنوا من الاحاطة بمجموع الحركة التاريخية وفهمها بصورة نظرية

وليس بين جميع الطبقات التي تقف الآن امام البرجوازية وجهاً لوجه الا طبقة واحدة ثورية حقاً ، هي البروليتاريا . فان جميع الطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى ، اما البروليتاريا فهي ، على العكس من ذلك ، اخص منتجات هذه الصناعة .

ان الفئات المتوسطة ، من صغار الصناعيين والباعة بالمفرق والحرفيين والفلاحين ، تحارب البرجوازية من اجل الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة فهي ليست اذن ثورية ، بل محافظة ، واكثر من محافظة ايضاً ، انها رجعية ، فهي تطلب ان يرجع التاريخ القهقري ويسير دولا ب التطور الى الوراء . واذا كنا نراها تقوم باعمال ثورية ، فما ذلك الا لغولها من ان

تدهور الى صفوف البروليتاريا ، وهي اذ ذاك تدافع عن مصالحها المقبلة ، لا عن مصالحها الحالية ، وهي تتخل عن وجهة نظرها الخاصة لتتخذ لنفسها وجهة نظر البروليتاريا .

اما رعايا المدن ، هذه الحشرات الجامدة ، حشالة ادنى جماعات المجتمع القديم ، فقد تجرهم ثورة البروليتاريا الى الحركة ، ولكن ظروف معيشتهم واوضاع حياتهم تجعلهم اكثر استعدادا لبيع انفسهم الى المالك الرجعية

ان ظروف معيشة المجتمع القديم قد اضمحلت ولم يبق لها اثر في ظروف معيشة البروليتاريا فالبروليتاري محروم من الملكية ، وليست هناك اية صفة مشتركة بين علاقاته العائلية وعلاقات العائلة البرجوازية . والعمل الصناعي الحديث الذي يضم في طياته استعباد العامل من قبل الرأسمال ، قد جرد العامل ، سواء في انجلترا او فرنسا او امريكا او المانيا من كل صبغة وطنية . وما القوانين والقواعد الاخلاقية والاديان بالنسبة اليه الا اوهام برجوازية تستتر خلفها مصالح برجوازية

ان كل الطبقات التي كانت تستولي على السلطة فيما مضى ، كانت تحاول تثبيت لوضاعها المكتسبة باخضاع المجتمع بأسره لاسلوب التملك الخاص بها . ولا تستطيع البروليتاريا الاستيلاء على القوى المنتجة الاجتماعية الا بهدم اسلوب التملك الخاص بها حاليا ، وبالتالي بهدم كل اسلوب للتملك مرمي الاجراء الى يومنا هذا ولا تملك البروليتاريا شيئا خاصا بها حتى تصونه وتحميها ، فعليها اذن ان تهدم كل ما كان يحمي ويضمن الملكية الخاصة .

وكانت الحركات الى يومنا هذا كلها حركات قامت بها اقلية او جرت في مصلحة الاقلية . اما حركة البروليتاريا فهي حركة

قائمة بذاتها للاكثرية الساحقة في سبيل مصلحة الاكثرية الساحقة . والبروليتاريا ، التي هي طبقة سفلى في المجتمع الحالي ، لا يمكنها ان تهبط وتقوم هودها الا اذا لسفت كل الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتي تؤلف المجتمع الرسمي .

وبالرغم من ان نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ليس في اساسه نضالاً وطنياً ، فهو مع ذلك يتخذ هذا الشكل في بادئ الامر . اذ لا حاجة للقول ان على البروليتاريا في كل قطر من الاقطار ان تقضي قبل كل شيء على برجوازيته الخاصة اننا ، اذ وصفنا مراحل تطور البروليتاريا ، بخطوطها الكبرى ، قد اوردنا في الوقت نفسه تاريخ الحرب الاهلية ، المستترة الى حد ما والتي لا تنفك تاكل المجتمع وتنخره حتى الساعة التي تنفجر فيها هذه الحرب بشكل ثورة علنية ، وتؤسس البروليتاريا سيطرتها بعد القضاء على البرجوازية بالثدة والعنف .

ان كل المجتمعات السالفة قامت ، كما رأينا ، على التناحر بين الطبقات المضطهدة والمضطهدة ولكن لاجل اضطهاد طبقة ما ينبغي على الاقل ان يكون في الاستطاعة تأمين شروط معيشة لها تمكنها من الحياة تحت وطأة الاستعباد والاضطهاد . فقد كان القرن في عهد القنانة يتوصل لان يصبح عضواً في احدى الكومونات ، وكذلك البرجوازي الصغير (Kleinbürger) حتى تحت اشد انواع الاستبداد الاقطاعي ، كان يتوصل الى مرتبة البرجوازي اما العامل في عصرنا فهو على عكس ذلك تماماً ، فعوضاً من ان يرتفع ويرقى مع رقي الصناعة ، لا ينفك يهوى في انحطاط ، الى ان ينزل الى مستوى هو ادنى واحط من شروط حياة طبقته نفسها . ويسقط الشفيل في مهاوي الفاقة ، ويوداد الفقر والاملاق بسرعة تفوق سرعة ازدياد السكان ونمو الثروة .

فمن البين اذن ان البرجوازية لا يبقى بوسعها ان تقوم بدورها كطبقة حاكمة وان تفرض على المجتمع شروط حياة طبقتها واطراح حياتها كقانون اعلى . انها لم تعد تستطيع ان تحكم ، اذ لم يعد في امكانها ان تؤمن لعبدها حق معيشة تتلاءم مع عبوديته ، وهي مجبرة على ان تدعه ينحط الى درجة يصبح معها من واجبها هي ان تطعمه بدلاً من ان تطعم نفسها بواسطته . فلم يعد من الممكن ان يحيا المجتمع تحت سيادتها وسيطرتها ، اي بعبارة اخرى اصبح وجود البرجوازية منذ الآن فصاعداً غير متلائم مع وجود المجتمع .

ان الشرط الاساسي للوجود والسيادة بالنسبة للطبقة البرجوازية هو تكديس الثروة في ايدي بعض الافراد وتكوين الراسمال وانماؤه . وشرط وجود الراسمال هو العمل المأجور والعمل المأجور يرتكز ، بصورة مطلقة ، على تزامم العمال فيما بينهم ورقي الصناعة الذي ليست البرجوازية الا خادماً منفعلاً له ومقسوراً على خدمته يستعيض من انزال العمال الناتج من تزاممهم ، باتحاد ثوري بواسطة الجمعيات . وهكذا ينتزع تقدم للصناعة الكبرى من تحت اقدام البرجوازية نفس الاسس التي شادت عليها نظام انتاجها وتملكها . ان البرجوازية تنتج قبل كل شيء حفاري قبرها ، فسقوطها وانتصار البروليتاريا كلاهما امر محتوم لا مناص منه .

٢

البروليتاريون والشيوعيون

ما هو موقف الشيوعيين بالنسبة الى مجموع البروليتاريا ؟
ان الشيوعيين لا يولفون حزبا خاصا معارضا لاحزاب العمال
الافرى .

وليست لهم مصالح منفصلة عن مصالح البروليتاريا
بمجموعها .

وهم لا يدمون الى مبادئ خاصة يريدون تكييف الحركة
البروليتارية في قلوبها

ان الشيوعيين لا يتميزون عن بقية الاحزاب البروليتارية
الا في نقطتين هما :

١- في النضالات التي يقوم بها البروليتاريون من مختلف
الامم ، يضع الشيوعيون في المقدمة ويرزون المصالح المستقلة
من الجنسية والعامه الشاملة لمجموع البروليتاريا

٢- في مختلف مراحل التطور التي يمر بها النضال بين
البروليتاريين والبرجوازيين يمثل الشيوعيون دائما ، المصالح
العامه للحركة بكاملها

فالشيوعيون هم اذن ، من الناحية العملية ، احزم فريق
من احزاب العمال في جميع البلدان واحدتها عزيمة ، الفريق الذي
يدفع الى الامام كل الفرق الاخرى . وهم من الوجهة النظرية يمتازون
عن بقية البروليتاريين بادراك واضح لطروف حركة البروليتاريا
وسيرها ونتائجها العامة .

اما هدف الشيوعيين المباشر فهو الهدف نفسه الذي ترمي
اليه جميع الاحزاب البروليتارية ، اي : تنظيم البروليتاريين في

طبقة وهدم سيادة البرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية .

ومفاهيم الشيوعيين النظرية لا تركز مطلقاً على الفكر او مبادئ اكتشافها او اختراعها مصلح من مصلحي العالم فما هي سوى التعبير الاجمالي عن الظروف الواقعية لنضال طبقي موجود ولحركة تاريخية تتطور من ذاتها امام اعيننا وليس هدم علاقات الملكية القائمة هو الطابع المميز للشيوعية فقد كابدت علاقات الملكية تغييرات متتابة وتقلبات تاريخية مستمرة .

فالثورة الفرنسية (١٤) مثلاً قضت على الملكية الاقطاعية لمصلحة الملكية البرجوازية

فليس الذي يميز الشيوعية هو محو الملكية بصورة عامة ، بل هو محو الملكية البرجوازية

غير ان الملكية الخاصة في الوقت الحاضر ، اي الملكية البرجوازية ، هي آخر واكمل تعبير عن اسلوب الانتاج والتملك ، المبني على تناقضات الطبقات واستثمار بعض الناس لبعضهم الآخر .

وعلى هذا ، فباستطاعة الشيوعيين ان يلخصوا نظريتهم بهذا الصدد في هذه الصيغة الوحيدة وهي القضاء على الملكية الخاصة .

ويأخرون علينا ، نحن الشيوعيين ، اننا نريد محو الملكية المكتسبة شخصياً بالعمل ، هذه الملكية التي يصرحون انها اساس كل حرية وكل نشاط وكل استقلال فردي .

للملكية ، ثمرة العمل والكفاءة ! هل يعنون بذلك هذا الشكل من الملكية ، السابق للملكية البرجوازية ، أي ملكية

البرجوازي الصغير والفلاح الصغير ؟ ان كانت هذه هي الملكية التي يعنونها ، فليس لنا ، نحن الشيوعيين ، ان نمحوها ونزيلها ، لان رقي الصناعة قد محاها او يمحوها يوماً بعد يوم .

ام تراهم يعنون الملكية الخاصة البرجوازية العالية ؟

ولكن هل يخلق العمل المأجور ملكية للبروليتاري ؟ كلا ! بل هو يخلق الرأسمال ، اي الملكية التي تستثمر العمل المأجور ، والتي لا يمكن ان تنمو الا بشرط ان تنتج ايضاً وايضاً عملاً مأجوراً تستثمره من جديد . فالملكية في شكلها العالي تتحرك بين هذين الطرفين المتناقضين الرأسمال والعمل المأجور . فلنبحث كلا من طرفي هذا التناقض

ان كون المرء رأسمالياً يعني انه لا يشغل مركزاً شخصياً فحسب ، بل كذلك مركزاً اجتماعياً في الانتاج الرأسمال هو نتاج جماعي ، فهو لا يمكن ان يدار ويشغل الا بجهود متضافرة يبذلها كثير من الافراد ، بل هو في آخر تحليل لا يدار ويشغل الا بالجهود المشتركة لجميع اعضاء المجتمع

فليس الرأسمال قوة شخصية اذن ، بل هو قوة اجتماعية . وعليه ، اذا تحول الرأسمال الى ملك مشترك يخص جميع اعضاء المجتمع ، فلا يكون معنى ذلك ان ثمة ملكية شخصية قد تحولت الى ملكية اجتماعية ، بل كل ما هنالك ان الصفة الاجتماعية للملكية تكون قد تغيرت ، اي تفقد الملكية صفتها الطبقية .

ولنتقل الآن الى العمل المأجور .

ان الثمن المتوسط الذي يشتري به العمل المأجور ، هو الحد الأدنى للاجرة ، أي مجموع وسائل المصيفة اللازمة للعامل لكي يعيش كعامل وينتج من ذلك ان ما يستملكه العامل المأجور بجهده وكده لا يساوي الا ما يلزمه بالضرورة للاحتفاظ

بوجوده الهزيل وللإبقاء على نوعه فنحن لا نريد أبداً ولا بشكل من الأشكال ، محو هذا التملك الشخصي لمنتجات العمل ، هذا التملك الضروري لحفظ الحياة البشرية وتكثيرها ، فإن هذا التملك لا يترك أقل فائض يتسلط المرء بواسطته على عمل غيره . أما الذي نريده فهو محو أسلوب التملك الكئيب المظلم الذي يجعل العامل لا يحيا إلا لأجل انماء الرأسمال ، ولا يحيا إلا بمقدار ما تتطلبه مصالح الطبقة الحاكمة فقط

في المجتمع البرجوازي ليس العمل الحي إلا وسيلة لانماء العمل المتراكم . أما في المجتمع الشيوعي فليس العمل المتراكم إلا وسيلة لتفريغ حياة الشغيلة واغنائها وترفيهها

وهكذا ، ففي المجتمع البرجوازي الماضي يسيطر على الحاضر . وفي المجتمع الشيوعي : الحاضر يسيطر على الماضي في المجتمع البرجوازي الرأسمال مستقل وشخصي في حين أن الفرد الذي يعمل تابع لغيره ومحرور من شخصيته .

فهدم هذه الحالة تعيبه وتشجبه البرجوازية وتزعم أنه هدم للشخصية والحرية ! وهي على حق فيما تزعم ، لأن هذا الهدم هو في الحقيقة هدم للشخصية البرجوازية وللاستقلال البرجوازي وللحرية البرجوازية .

إنهم يعنون بالحرية ، في الظروف الحالية للإنتاج البرجوازي ، حرية التجارة ، حرية الشراء والبيع .

ولكن إذا تلاشت التجارة ، تلاشت التجارة الحرة أيضاً غير أن جميع الكلمات المضخمة التي ترددها برجوازيتنا عن حرية التجارة وكل تصلفها والتفاخها وخطرتها حول الحريات ، لا معنى لها إلا إذا قوبلت بالتجارة المقيدة والبرجوازي المستعبد في القرون الوسطى ، ولا يبقى لها أقل معنى أو دلالة عندما تدور

المسألة حول ما ترمي اليه الشيوعية من ازالة التجارة وعلاقات الانتاج البرجوازية والبرجوازية نفسها .

يهولكم ويروعكم اننا نريد محو الملكية الخاصة . ولكن في مجتمعكم هذا ذاته تسعة اعشار اعضائه محرومون من اية ملكية خاصة ، واذا كانت هذه الملكية موجودة فلأن هؤلاء الاعشار التسعة محرومة منها . فانتهم تاخذون علينا اذن اننا نريد محو شكل للملكية ، شرط وجوده ان تكون الاكثرية الساحقة محرومة من كل ملكية .

اي بكلمة ، نتهموننا باننا نريد محو ملكيتكم انتم . وحقا هذا الذي نريد

وما ان ينفذ من المستحيل ان يتحول العمل الى رأسمال ونقد وريع عقاري ، اي الى قوة اجتماعية قابلة للاحتكار ، او بعبارة اخرى ، ما ان يصبح من المستحيل ان تتحول الملكية الفردية الى ملكية برجوازية ، حتى تزارون وتصبحون بأن الفرد قد امحى وايبس .

فانتهم تعترفون اذن انكم ، عندما تتكلمون عن الفرد ، لا تضمنون بكلامكم الا البرجوازي ، اي المالك البرجوازي وبالفعل ان هذا الفرد يجب ان يباد ويمحى نهائيا ان الشيوعية لا تسلب احدا القدرة على تملك منتجات اجتماعية ، انها لا تنزع سوى القدرة على استعباد عمل الغير بواسطة هذا التملك

ويعترضون علينا بقولهم ان محو الملكية الخاصة يؤدي الى توقف كل نشاط والتشار كسل يعم العالم بأسره ولو كان ذلك كذلك ، لكن المجتمع البرجوازي قد سقط منذ امد طويل في بؤرة الكسل والخمول ، ما دام الذين يشتغلون

في- هذا المجتمع لا يمتلكون ، والذين يمتلكون لا يشتغلون .
وهكذا يؤول كل اعتراضهم الى تكرار ممل للحقيقة التالية وهي :
حيث لا يبقى الراسمال ، لا يبقى عمل ماجور .

وجميع التهم الموجهة الى الاسلوب الشيوعي في الانتاج
واستملاك المنتجات المادية وجهت الى انتاج واستملاك منتجات
الفكر ايضا ، فكما ان زوال الملكية الطبقية يعادل بالنسبة
للبرجوازي زوال كل انتاج ، فكذلك زوال الثقافة الطبقية يعني
بالنسبة اليه زوال كل ثقافة

فهر ان هذه الثقافة التي يبكى البرجوازي وينتخب على
فقدانها ، ما هي عند الاكثرية الساحقة الا تدريبا على عمل مثل
الالة .

ولكن لا فائدة من محاكتكم لنا ، اذا كان قصدكم من ذلك ان
تطبقوا على محور الملكية البرجوازية معيار مفهوماتكم البرجوازية
من الحرية والثقافة والحق ، الخ ان افكاركم نفسها ناتجة
من علاقات الانتاج البرجوازية وعلاقات الملكية البرجوازية ، كما
ان الحق لديكم ليس الا ارادة طبقتكم مخطوطة بشكل قانون
هذه الارادة التي تحدد فحواها ومبناها ظروف الحياة المادية
لطبقتكم .

ان مفهوماتكم المفروضة تدفعكم الى جعل العلاقات الاجتماعية
المتولدة من اسلوبكم في الانتاج وعلاقات الملكية - هذه العلاقات
التاريخية التي يمحوها سير الانتاج نفسه - قوانين طبيعية
وعقلية ، خالدة ابدية . ولستم منفردين بهذه المفهومات ، بل
سبقتكم اليها كل الطبقات الحاكمة التي زالت اليوم ولكن ما
تقبلونه وتقرونه بالنسبة للملكية القديمة ، ما تقبلونه وتقرونه
فيما يتعلق بالملكية الاقطاعية ، لم يعد في امكانكم ان تقبلوه
بالنسبة للملكية البرجوازية .

هدم العائلة ا حتى اشد الراديكاليين طرفا تسخطهم لية الشيوعيين هذه ، الفاضحة المرذولة .

ولكن ، على اية قاعدة تركز العائلة البرجوازية في الوقت الحاضر ؟ انها تركز على الراسمال والربح الفردي . وهي ، بكامل كيانها وتام بنياها ، ليست موجودة الا عند البرجوازية فقط ولكن تتمتها هي الالغاء القسري للعائلة بالنسبة للبروليتاري ، ثم البغاء الملني .

ان العائلة البرجوازية تضمحل طبعا باضمحلالات تتمتها هذه . وكلتاها ، العائلة البرجوازية وتتمتها ، تتلاشيان بتلاشي الراسمال .

اتأخذون علينا اننا نريد القضاء على استثمار الابناء من قبل اهلهم وذويهم ؟ ان كان ذلك فنحن نعرف بهذه الجريمة . ونزعمون اننا نحطم الاقدس الاوامر والصلوات بابدالنا التربية في العائلة بالتربية في المجتمع

ولكن تربيتكم انتم ، اليس المجتمع ايضا هو الذي يحددها ؟ ليست تحددها العلاقات الاجتماعية التي تربون فيها اولادكم ؟ الا يحددها تدخل المجتمع بصورة مباشرة او غير مباشرة بواسطة المدرسة ، الخ ؟ ان تدخل المجتمع في التربية ليس من ابتكار الشيوعيين . فكل ما يفعله الشيوعيون اهم يغيرون طبيعة التربية ويحورون صفتها وشكلها وينتزعونها من تأثير الطبقة الحاكمة ونفوذها

ان تشدق البرجوازيين الفارغ عن العائلة والتربية وعن الاوامر والصلوات العذبة التي تربط الولد باهله ، اصبحت تقر منه النفس اكثر فاكتر ، اذ ان الصناعة الكبرى تهدم كل صلة عائلية عند البروليتاريا وتحول الاولاد الى مواد تجارية بسيطة وادوات عمل صرف .

والآن اسمعوا البرجوازية تصيح من كل جانب : والكم ايها الشيوعيون تريدون اشاعة المرأة .

ليست امراة البرجوازي عنده سوى اداة الانتاج بسيطة ، وهو يسمع ان ادوات الانتاج يجب ان تكون مشتركة ، فيستنتج من ذلك بالطبع ان النساء انفسهن سوف يسري عليهن ذلك . ولا يدخل في وهم البرجوازي ان المسألة هي على العكس تماما ، واننا نريد اعطاء المرأة دوراً غير هذا الدور الذي تقوم به الآن كأداة انتاج بسيطة .

ولشد ما يضحكنا هذا الذمير فوق الاخلاقي الذي توحيه الى البرجوازيين اشاعة النساء الرسمية التي يزعمون ان الشيوعيين يدهون اليها . ليست بالشيوعيين حاجة الى ادخال اشاعة النساء ، فهي تقريباً كانت دائماً موجودة .

ولا يكتفي البرجوازيون بأن تكون تحت تصرفهم نساء البروليتاريين وبناتهم - هذا عدا البغاء الرسمي - بل يجدون لذة خاصة في اغواء بعضهم لنساء بعض

ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع سوى اشاعة النساء المتزوجات فقصارى ما يمكن ان يتهم به الشيوعيون اذن هو انهم يريدون ، كما يزعم ، الاستعاضة عن اشاعة النساء المستترة بالرياء والمغطاة بالمدحاجة ، باشاعة صريحة رسمية

ولكن من البديهي الواضح ان محور علاقات الانتاج الحالية يؤدي ، بطبيعة الحال ، الى محور اشاعة النساء التي تنتج منه ، اي ان البغاء ، سواء اكان رسمياً ام غير رسمي ، يضمحل ويذول ويتهمون الشيوعيين ، هذا ذلك ، بالرغبة في انهاء الوطن والقومية .

ليس للعمال وطن ، فليس في الاستطاعة اذن سلهم ما لا يملكون . وبما ان على البروليتاريا ان تستولي اولا على السلطة السياسية ، وان تشيد نفسها بحيث تفدو الطبقة القائدة للامة ، وان تصبح هي الامة ، فهي لا تزال بعد اذن وطنية ، ولكن ليس بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة .

وها هي الفواصل الوطنية والتناقضات بين الشعوب تزول يوما بعد يوم تبعا لتطور البرجوازية ، وحرية التجارة ، والسوق العالمية ، وتشابه الانتاج الصناعي وشروط المعيشة الناجمة عن ذلك .

وعندما تستولي البروليتاريا على الحكم تعمل لازالتها اكثر ايضا فان نضال البروليتاريا نضالا مشتركا يشمل الاقطار المتمدنة على الاقل ، هو احد الشروط الاولى لتحررها ازيلوا استثمار الانسان للانسان ، تزيلوا استثمار امة لآخرى .

وعندما يزول تناحر الطبقات في قلب كل امة يزول في الوقت نفسه العدا والحقد بين الامم . اما التهم الاخرى الموجهة الى الشيوعية من وجهات نظر دينية وفلسفية ، وبوجه عام ، من وجهات نظر فكرية ، فهي لا تستحق بحثا عميقا مستفيضاً .

اذ هل يحتاج المرء الى تعمق كبير ليدرك ان نظرات الناس ومفهوماتهم وتصوراتهم الفكرية ، او باختصار ادراكهم ، يتغير مع كل تغيير يطرأ على ظروف حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وشروط معيشتهم الاجتماعية ؟

وهلا يبرهن تاريخ الافكار على ان الانتاج الفكري يتبدل ويتحور مع تبدل الانتاج المادي وتحوره ؟ فالافكار والآراء السائدة في عهد من العهود لم تكن سوى افكار الطبقة السائدة وآرائها .

وحيثما يتحدثون عن افكار تؤثر تأثيراً ثورياً في مجتمع بآسره ، اما يعبرون في الحقيقة عن هذا الحادث وهو انه تشكلت في قلب المجتمع القديم عناصر مجتمع جديد ، وان الحلال الافكار القديمة يسير جنباً الى جنب مع انحلال ظروف المعيشة القديمة . فعينما كان العالم القديم على اعتاب السقوط والزوال ، انتصر الدين المسيحي على الاديان الاخرى القديمة ، وحيثما تركت الافكار المسيحية محلها في القرن الثامن عشر لافكار الرقي الجديدة ، كان المجتمع الانساني يقوم اذ ذاك بمعركته الاخيرة ضد البرجوازية التي كانت حينذاك ثورية . ولم يكن ظهور الافكار القائلة بحرية المعتقد والحرية الدينية الا ايذاناً بسيطرة المواجهة الحرة في ميدان العقائد

وقد يقولون : ونعم ان الافكار الدينية والاخلاقية والفلسفية والسياسية والعقائنية وما إليها قد طرأ عليها التعديل خلال التطور التاريخي ، ولكن الدين والاخلاق والفلسفة والسياسة والحقوق كانت مع ذلك تحافظ دائماً على بقائها خلال هذا التحول المستمر . وهناك فوق ذلك حقائق ابدية ، مثل الحرية والعدالة ، الخ . ، وهي واحدة مشتركة في جميع مراحل التطور الاجتماعي . اما الشيوعية فهي تلفي الحقائق الابدية ، تلفي الدين والاخلاق موحداً من تجديدهما ؛ فهي تناقض اذن كل التطور التاريخي السابق .

ففي تلخيص هذه التهمة ؟ ان تاريخ كل مجتمع حتى الآن قائم على التناحر بين الطبقات وقد اتخذ التناحر اشكالا مختلفة حسب المهور .

ولكن مهما كان الشكل الذي اتخذته هذا التناحر ، فقد كان هنالك دائماً شيء مشترك بين جميع العصور السالفة ، وهو

اسمار قسم من المجتمع لقسم آخر منه . فلا غرابة اذن في ان نرى الادراك الاجتماعي في جميع العصور ، رغم كل اختلاف وكل تنوع ، يتطور ضمن اشكال مشتركة معينة ، اشكال للادراك لن تنحل تماما الا بزوال التناحر بين الطبقات زوالا تاما
ان الثورة الشيوعية تقطع من الاساس كل رابطة مع علاقات الملكية التقليدية ؛ فلا عجب اذن ان هي قطعت بحزم ايضا ، اثناء تطورها ، كل رابطة مع الافكار والآراء التقليدية
ولكن لندع الآن جانبا ما تبديه البرجوازية من الاعتراضات على الشيوعية .

ان الخطوة الاولى في ثورة العمال هي ، كما رأينا ، تحول البروليتاريا الى طبقة سائدة ، والظفر بالديموقراطية
وستستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لاجل انتزاع الراسمال من البرجوازية شيئا فشيئا ، ومركزة جميع ادوات الانتاج في ايدي الدولة ، اي في ايدي البروليتاريا المنظمة في طبقة حاكمة ، وزيادة كمية القوى المنتجة وانماؤها باسرع ما يمكن .
ولا يتم ذلك طبعا في بادى الامر الا بخرق حق التملك وعلاقات الانتاج البرجوازية بالثدة والعنف ، اي باتخاذ تدابير تتراءى من الوجهة الاقتصادية غير كافية ولا مأمولة البقاء ، ولكنها تتماهم وتتجاوز نفسها بنفسها خلال الحركة وتكون ضرورية لا نفى عنها كوسيلة لقلب اسلوب الانتاج باسره

وستختلف هذه التدابير ، طبعا ، في مختلف الاقطار .
غير انه يمكن تطبيق التدابير التالية ، بصورة عامة تقريبا في اكثر البلاد تقدما ورفقا :

١ - لزج الملكية العقارية وتخصيص الريع العقاري لتغطية نفقات الدولة .

- ٢- فرض ضرائب متصاعدة جداً
 - ٣- إلغاء الوراثة
 - ٤- مصادرة املاك جميع المهاجرين والعصاة المتمردين
 - ٥- مركزة التمليف كله في ايدي الدولة بواسطة مصرف وطني رأسماله للدولة ويتمتع باحتكار تام مطلق .
 - ٦- مركزة جميع وسائل النقل في ايدي الدولة
 - ٧- تكتير المصانع التابعة للدولة وادوات الانتاج واصلاح الاراضي البور وتحسين الاراضي المزروعة حسب منهاج عام
 - ٨- جعل العمل اجبارياً للجميع على السواء وتنظيم جيوش صناعية ، وذلك لاجل الزراعة على الخصوص
 - ٩- الجمع بين العمل الزراعي والصناعي واتخاذ التدابير المؤدية تدريجياً الى محو الفرق بين المدينة والريف
 - ١٠- جعل التربية عامة ومجانية لجميع الاولاد ومنع تشغيل الاحداث في المصانع كما يجري اليوم ، والتوفيق بين التربية وبين الانتاج المادي ، الخ
- وما ان تختفي الفوارق الطبقية وتزول خلال سير التطور ، ويصبح كل الانتاج متمركزاً في ايدي جمعية واسعة تشمل الامة بأسرها ، حتى تفقد السلطة العامة صفتها السياسية اذ ان السلطة السياسية بالمعنى الصحيح هي السلطة المنظمة لطبقة من اجل اضطهاد طبقة اخرى . فاذا كانت البروليتاريا ، في نضالها ضد البرجوازية ، تبني نفسها حتماً في طبقة ، واذا كانت تجعل نفسها بواسطة الثورة طبقة حاكمة ، ثم بصفتها طبقة حاكمة ، تهدم بالعنف والشدة علاقات الانتاج القديمة ، فالها يهدمها علاقات الانتاج القديمة تهدم في الوقت نفسه ظروف وجود التناقض والتناحر بين الطبقات وتهدم الطبقات بصورة عامة ، وبذلك تهدم ايضاً سيادتها ذاتها من حيث هي طبقة .

وعلى انقاض المجتمع البرجوازي القديم بطبقاته وتناقضاته
الطبقية يبرز مجتمع جديد تكون حرية التطور والتقدم لكل
عضو فيه شرطاً لحرية التطور والتقدم لجميع الاعضاء

٣

الأدب الاشتراكي والشيوعي

١ - الاشتراكية الرجعية

١- الاشتراكية القطاعية

كتبت الارستقراطية الفرنسية والانجليزية كثيراً من الرسائل
الهجائية في ذم المجتمع البرجوازي الحديث ، مدفوعة الى ذلك
بحكم وضعيتها التاريخية ، اذ انها في الثورة الفرنسية في تموز
(يوليو) عام ١٨٣٠ وكذلك في حركة الاصلاح الانجليزية (١٥)
كانت قد غلبت على امرها مرة اخرى وتداعت تحت ضربات الوافد
الجديد البغيض المكروه . فلم يعد في امكانها القيام بنضال سياسي
جدي ، لم يبق لها سوى النضال الادبي ، ولكن في الميدان الادبي
ايضا لم يعد يقام وزن للعبارات المبهرجة الفارغة التي كانت
سوقها رائجة في عهد عودة الملكية . فلكيما تتمكن الارستقراطية
من ايجاد من يعطف عليها ، كان عليها ان تتظاهر بانها لا تهتم
بمصلحتها الخاصة ، وانها توجه اهتماماتها الى البرجوازية غيرة منها
على مصلحة الطبقة العاملة المستثمرة فحسب ، وعلى هذه الصورة

* ليس المقصود هنا عودة الملكية في إنجلترا ١٦٦٠-١٦٨٩ ،
بل في فرنسا في ١٨١٤-١٨٣٠ (١٦) . (ملاحظة انجليس للطبعة الانجليزية
عام ١٨٨٨ .)

كانت تؤمن لنفسها لذة السخر بسيدھا الجديد والدمدمة في اذنه
بنبوءات النحس والشؤم عن مستقبل ايامه
وهكذا نشأت الاشتراكية الاقطاعية مزيجاً من الشكاوى
والاحاجي ، من ذكريات الماضي واخطار المستقبل واذا كان
انتقادها المر اللازع البارع يصيب البرجوازية احياناً في صميم
قلبيها ، فان عجزها المطلق عن فهم سير التاريخ الحديث كان
يسبل عليها دوماً ثوباً من السفافة والسخرية .

وقد لوح الارستقراطيون بجراب البروليتاريا الشحاذي
واتخذوه علماً لهم لكي يقودوا الشعب وراءهم ولكن ما ان
تراكض الشعب نحوهم حتى رأى الشعارات الاقطاعية القديمة تزين
مؤخرتهم ، فتولى عنهم وهو يفقهه قهقهة السخر والاستخفاف
وقد مثل هذا المشهد امام العالم قسم من الليجيتيمين
الفولسيين (١٧) وكذلك وانجلترا الفتاة (١٨)

وعندما يبرهن الاقطاعيون ان اسلوب الاستثمار الاقطاعي
كان غير اسلوب الاستثمار البرجوازي ، لا ينسون الا شيئاً واحداً
هو ان الاقطاعية كانت تستثمر ضمن شروط وظروف اخرى تلاشت
اليوم ومضى زمانها . وكذلك عندما يلاحظون ان البروليتاريا
الحديثة لم تكن موجودة في ظل حكمهم ، لا ينسون ايضاً الا شيئاً
واحداً هو ان البرجوازية الحديثة نفسها ليست سوى الوليدة
الضرورية لنظامهم الاجتماعي .

وتظهر ، من جهة اخرى ، الطبيعة الرجعية لانتقاداتهم في
كون اهم ما يلومون البرجوازية عليه انها خلقت في عهدها طبقة
سوف تهدم كل النظام الاجتماعي القديم .

انهم لا يجرمون البرجوازية لانها انتجت البروليتاريا ، بمقدار
ما يجرمونها لان هذه البروليتاريا التي انتجتها هي ثورية .

وعليه فانهم في النضال السياسي يساهمون في جميع تدابير العنف والشدة ضد الطبقة العاملة . وتراهم كذلك في حياتهم العادية بالرغم من عباراتهم المبهرجة المنتفخة ، ينحنون لالتقاط الثمار الذهبية التي تنشرها شجرة الصناعة ، ويبيعون الشرف والحب والوفاء بالصوف وسكر الشمندر وكاس الخمرة * .

وكما كان الكاهن والاقطاعي يسيران دوما يداً بيد ، كذلك تسير الاشتراكية الكهنوتية جنباً لجنب مع الاشتراكية الاقطاعية . وليس اسهل من ان يطل النسلك والزهد المسيحي بطلاء من الاشتراكية أفلم تدع المسيحية ايضاً ضد الملكية الخاصة والزواج والدولة ؟ ألم تبشر ، عوضاً عنها ، بالصحة والاحسان والاسمال الرفة والتبطل وقتل الجسد والتقصيف والرهباية والكنيسة ؟ ان الاشتراكية المسيحية ليست سوى الماء المقدس الذي يسكبه الكاهن على نار الغيظ المتاجبة بين جوانح الارستقراطية

ب - الاشتراكية البرجوازية الصغيرة

ليست الارستقراطية الاقطاعية الطبقة الوحيدة التي هدمتها البرجوازية ولا الطبقة الوحيدة التي تنحل ظروف معيشتها وتنفى

* وهذا ينطبق ، بالدرجة الاولى على ألمانيا ، حيث الارستقراطيون الزراعيون واليونكر (١٩) يشرفون على ادارة الشؤون الاقتصادية في القسم الاكبر من اراضيهم على حسابهم الخاص بواسطة الوكلاء ، ويملكون ، علاوة على ذلك ، معامل كبيرة للسكر والخمور . اما الارستقراطيون الانجليز الذين هم اغنى منهم ، فلم تبلغ بهم الحال هذه الدرجة بعد ؛ الا انهم يعرفون هم ايضاً كيف يعوضون عن هبوط الرئس ، بتقديم اسمائهم لمؤسسي شركات مساهمة مشكوك فيها لهذا الحد او ذاك . (ملاحظة المجلس للطبقة الانجليزية عام ١٨٨٨ .)

شيئا فشيئا في المجتمع البرجوازي الحديث كان سكان المدن وصغار الفلاحين في القرون الوسطى اسلاف البرجوازية الحديثة وفي البلاد المتأخرة صناعتها ومجارتها لا تزال هذه الطبقة تحيا حياة الضيق والشقاء الى جانب البرجوازية المزدهرة النامية ، لقد تالفت في البلاد ، التي ازدهرت فيها المدنية الحديثة ، برجوازية صغيرة جديدة تتذبذب بين البروليتاريا والبرجوازية ولما كانت هذه الطبقة جزءا مكملًا للمجتمع البرجوازي فانها تتكون بدون انقطاع ، ولكن الافراد الذين يؤلفون هذه الطبقة يتدهرون على الدوام ، بنتيجة المزاحمة ، الى صفوف البروليتاريا . وفوق ذلك يشعرون ، مع سير الصناعة الكبرى الى امام ، باقتراب الساعة التي ينقرضون فيها كليا بوصفهم قسما متميزا من المجتمع الحديث ، ليحل محلهم في التجارة والصناعة والزراعة ، النظار والمستخدمون .

وكان من الطبيعي في اقطار مثل فرنسا ، يؤلف فيها الفلاحون اكثر بكثير من نصف السكان ان يعتمد بعض الكتاب الذين يناصرون البروليتاريا ضد البرجوازية ، الى انتقاد النظام البرجوازي والدفاع من العمال من وجهة نظر خاصة بصغار البرجوازيين والفلاحين وعلى هذه الصورة تشكلت الاشتراكية البرجوازية الصغيرة . وكان سيسموندي زعيم هذا الادب لا في فرنسا فحسب ، بل في انجلترا ايضا

ولقد حلت هذه الاشتراكية ، بكثير من التعمق ، التناقضات اللاحقة بعلاقات الانتاج الحديثة وكشفت القناع من تقاريف الاقتصاديين المملوءة رياء ونفاقا وابتت ، بشكل مفعم لا يدحض ، النتائج القتالة لادخال الآلة في الصناعة ولتقسيم العمل ، وتمركز الراسمائل والملكية العقارية ، وفيض الانتاج ، والازمات ،

وانحطاط البرجوازيين الصغار والفلاحين وتدهورهم المحتوم ،
وبؤس البروليتاريا ، والفوضى في الانتاج ، والتفاوت الفاحش في
توزيع الثروة ، والحرب الصناعية المبيدة المهلكة بين الامم ،
وانحلال الاخلاق القديمة والعلاقات العائلية القديمة والقوميات
القديمة

ولو رحنا نحكم على هذه الاشتراكية حسب مضمونها
الحقيقي ، لراينا اما انها تبغي ان تعيد وسائل الانتاج والتبادل
القديمة وتوطدها من جديد وتعيد معها علاقات الملكية القديمة
والمجتمع القديم ، واما انها تبغي ان تحصر بالقوة وسائل الانتاج
والتبادل الحديثة في نطاق علاقات الملكية القديمة ، هذا النطاق
الضيق الذي حطمته ، وكان لا بد ان تحطمه حتماً هذه الوسائل
الحديثة نفسها . وفي العاليتين تكون هذه الاشتراكية رجعية طوبوية
في آن واحد

فكلمتها الأخيرة هي ادخال النظام الحربي في الصناعة ، وادخال
النظام البطريركي في الزراعة
وفيما بعد ، تحول هذا الاتجاه الى هراء حقير

ج - الاشتراكية الالمانية او الاشتراكية «الصحيحة»

ان الآداب الاشتراكية والشيوعية الفرنسية ، وقد نشأت
تحت ضغط البرجوازية الحاكمة المسيطرة وكانت التعبير الأدبي
عن التمرد على هذه السيطرة ، دخلت ألمانيا حين كانت البرجوازية
الألمانية في بدء نضالها ضد الاستبداد الاقطاعي المطلق
وقد تهافت الفلاسفة وانصاف الفلاسفة والمتادبون الألمان
بشراة ونهم على هذه الآداب ، ولكن سها عن بالهم ان استيراد

الآداب الفرنسية الى ألمانيا لم يرافقه في الوقت نفسه استيراد الظروف والاضاع الاجتماعية الفرنسية اليها . فقد فقدت هذه الآداب الفرنسية كل دلالة عملية مباشرة بالنسبة للظروف الاجتماعية الألمانية واتخذت صبغة ادبية محضة . ولذا ما كانت تبدو ، بطبيعة الحال ، الا كعبت فكري لا طائل تحته حول تحقيق الطبيعة البشرية . وهكذا لم تكن مطالب الثورة الفرنسية الاولى في نظر الفلاسفة الالمان في القرن الثامن عشر ، سوى مطالب «العقل العملي» بوجه عام ، ولم تكن مظاهر ارادة البرجوازيين الثوريين الفرنسيين تعبر في نظرهم الا عن قوانين الارادة الخالصة النقية ، الارادة كما يجب ان تكون ، الارادة التي هي حقا انسانية . اما عمل الادباء الالمان الخاص فكان مقتصرأ على التوفيق بين الافكار الفرنسية الجديدة وادراكهم الفلسفي القديم او ، على الاصح ، على استيعاب الافكار الفرنسية بجعلها مطابقة لفلسفتهم الخاصة

وقد تم استيعاب هذه الافكار كما يستوعب المرء لغة اجنبية ، اي بالترجمة .

ومعروف كيف اخذ الرهبان مخطوطات المؤلفات الكلاسيكية في العهد الوثني القديم وخطوها بخرافات واساطير سخيفة عن القديسين الكاثوليك اما الادباء الالمان فكان شأنهم مع الآداب الفرنسية الجاحدة على عكس ذلك تماما . فقد دسوا غباواتهم الفلسفية تحت الاصل الفرنسي . فانهم مثلا اخدوا الانتقاد الفرنسي لنظام المال وكتبوا تحته «انتزاع الطبيعة البفرية» ، وبحث الانتقاد الفرنسي للدولة البرجوازية كتبوا - «انحلال سلطان الكولية المجردة» ، وهلم جرا .

وبعد ما ابدلوا الشروح الفرنسية بهذه العبارات الفلسفية المبهرجة الفارغة ، اطلقوا على عملهم هذا مختلف الاسماء مثل

«فلسفة العمل» و«الاشتراكية الصحيحة» و«علم الاشتراكية الألماني» و«تبرير الاشتراكية فلسفياً» ، الخ ..

وعلى هذه الصورة جردوا الآداب الاشتراكية والفيومية الفرنسية تجريداً تاماً من الصفات التي كانت جوهر قوتها وسلبوها رجولتها . وبما انها أصبحت بين ايدي الالمان بعد هذا العبث والتشويه في حالة لا تعبر معها من نضال طبقة ضد اخرى ، فقد اخذ سادتنا الالمان يهنتون انفسهم بانهم ارتفعوا فوق والمستوى الفرنسي المحدود الضيق» وبانهم دافعوا لا عن حاجات حقيقية بل عن حاجة الحقيقة ، ولا عن مصالح البروليتاريا بل عن مصالح الكائن الانساني ، مصالح الانسان على العموم ، الانسان الذي لا ينتمي الى اية طبقة ولا يرتبط باي واقع ، الانسان الذي لا تجده الا بين الفيوم السابعة في سماء الاهواء الفلسفية .

الا ان هذه الاشتراكية الالمانية التي كانت تنظر بكثير من الاحتفال والجد الى تطبيقاتها غير البارة الشبيهة بتمارين تلاميذ المدارس ، وترفع بها عقيرتها وتنادي بها في ابواقها بشعوذة مدوية صاخبة ، قد فقدت شيئاً فشيئاً السذاجة البريئة المتصفة بمباهاة ادبيات العلم والمعرفة .

فقد اصبح كفاح البرجوازية الالمانية ولا سيما البرجوازية البروسية ضد الاقطاعيين والملكية المطلقة ، او بصارة اخرى أصبحت الحركة الليبرالية ، ذات صبغة جديدة اكثر من ذي قبل .

وبذلك سنحت للاشتراكية «الصحيحة» الفرصة المنشودة لمعارضة الحركة السياسية بالمطالب الاشتراكية ، فاسرف في كيل اللعنات التقليدية للنزعة الليبرالية والدولة التمثيلية والمراحمه البرجوازية وحرية النشر البرجوازية والحقوق البرجوازية والحرية

البرجوازية والمساواة البرجوازية ، واستطاعت ان تبث الدعوة بين الجماهير بانها لا تريح شيئا بل بالعكس تخسر كل شيء من وراء هذه الحركة البرجوازية . وهكذا نسيت الاشتراكية الالمانية في الوقت المناسب للغاية ان الانتقاد الفرنسي الذي لم تكن هي ذاتها سوى صدها الحقير ، كان يفرض مقدما وجود المجتمع البرجوازي الحديث مع ما يرتبط به من ظروف المعيشة المادية ومن دستور سياسي موافق له وما الى ذلك من الشؤون التي كان لا يزال على المانيا ان تعمل لتحقيقها والحصول عليها

اما الحكومات المطلقة في المانيا ، بحافيتها الضخمة من القسوس والكهنة والاساقفة المربين والاقطاعيين والبيروقراطيين ، فقد اصبحت هذه الاشتراكية في ايديها ، الفزاعة المنشودة التي تخيف بها البرجوازية المهددة المهاجمة

وهكذا اضافت هذه الاشتراكية رياءها التافه الحلوة الى الرصاص والسياط التي كانت هذه الحكومات نفسها تسلمها بقساوة وشراسة على العمال الالمان المتمردين

وعدا ان هذه الاشتراكية والصحيحة، اصبحت ، على هذه الصورة ، سلاحا ضد البرجوازية الالمانية في ايدي الحكومات ، فانها كانت ، زيادة على ذلك ، تمثل بصورة مباشرة مصلحة رجعية هي مصلحة البرجوازية الصغيرة الالمانية والبرجوازية الصغيرة هذه التي خلفها القرن السادس عشر والتي ما انفكت منذ ذلك الحين تتولد وتتولد دون انقطاع تحت اشكال مختلفة ، تولى الاساس الاجتماعي الحقيقي للنظام القائم في المانيا

فالمحافظة عليها معناها المحافظة على النظام القائم في المانيا . وواضح ان المياداة الصناعية والسياسية للبرجوازية تهدد هذه البرجوازية الصغيرة بالسقوط الاكيد بنتيجة تمرکز الرساميل

من جهة ، ولمو البروليتاريا الثورية من جهة اخرى ، ولذلك تراءى لهذه البرجوازية الصغيرة ان الاشتراكية «الصحيحة» تستطيع اصابة عصفورين بحجر واحد ، فانتشرت انتشار الوباء . وقد صنع الاشتراكيون الالمان من شغوف نظرياتهم المهلهلة نوبا فضفاضا مزركشا بازهار دقيقة من فصاحتهم ومبلاا بانداء العواطف الرقيقة الحارة ، واسبلوه على الهيكل العظمي ولحقاتهم الابدية ، الامر الذي ما كان الا ليزيد في رواج بضاعتهم بين جمهور كهذا

وقد ادركت الاشتراكية الالمانية من جهتها ، يوما بعد يوم ، انها قد الهمت ولوحي اليها ان تكون هي الممثل الباذخ لهذه البرجوازية الصغيرة

فنادى مناديا بان الامة الالمانية هي الامة النموذجية وان اثناfee ، الضيق الافق الالماني هو الانسان النموذجي والصقت بكل رذائل هذا الانسان النموذجي ونقائصه معنى دفيئا ، معنى اشتراكيا عاليا ، يغير وجهها ويقلبها تماما واندفعت في هذا الطريق الى نهايته فاعلنت انها تقاوم ميل الشيوعية «الهدام الفظييع» وانها تحلق في حيادها السامي فوق كل نضال طبقي . وكل المؤلفات الاشتراكية او الشيوعية المزعومة المتداولة في ألمانيا ، ما عدا القليل النادر منها ، تنتمي الى هذه الآداب القدرة المثيرة للاعصاب .

* لقد كنت العاصفة الثورية عام ١٨٤٨ (٢٠) هذه المدرسة الخبيثة كلها وقفت على كل ميل لدى اتباعها الى متابعة استفلال اسم الاشتراكية وكان السيد كارل غرون الممثل الرئيسي والنموذج الكلاسيكي لهذه المدرسة . (ملاحظة إنجليس للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠ .)

٢ - الاشتراكية المحافظة أو البرجوازية

يحاول قسم من البرجوازية ايجاد علاج للامراض الاجتماعية لاجل تقوية دعائم المجتمع البرجوازي .

وينتسب الى هذا الصنف الاقتصاديون ورجال الخير والانسانيون والناس الذين يهتمون بتحسين مصير الطبقات الكادحة ، وتنظيم اعمال البر والاحسان ، وحماية الحيوانات ، وتاليف جمعيات الاعتدال والقناعة ، اي باختصار جميع المصلحين الذين يستوحون آراءهم الاصلاحية من فضاء غرهم . وقد بلغ بهم الامر الى صوغ هذه الاشتراكية البرجوازية في نظم كاملة ولذا ذكر كمثال عن هذه الاشتراكية «فلسفة البؤس» لبرودون .

ان البرجوازيين الاشتراكيين يريدون بقاء ظروف المعيشة في المجتمع الحديث ولكن على ان تخلو من النضال والاضطراب التي تنشأ بالضرورة من هذه الظروف نفسها . انهم يريدون بقاء المجتمع الحالي ، ولكن مطهراً من العناصر التي تغيره ثورياً وتنخره وتحله . انهم يريدون البرجوازية ولكن بدون البروليتاريا . ان البرجوازية تتصور ، بالطبع ، العالم الذي تسود فيه وتسيطر عليه كاحسن العوالم ، والاشتراكية البرجوازية تنظم هذا التصور الممزي وتسكبه في مجموعة قواعد ونظم متنوعة ، كاملة الى هذا الحد او ذاك . وهي عندما تدعو البروليتاريين الى تحقيق نظمها واتباع قواعدها ، والدخول بذلك الى ارض الميعاد الجديدة (٢١) ، اما تدموهم في الحقيقة الى القناعة والاكتفاء بالمجتمع الحالي ، ولكن مع التحلي من نظرة البخس والمقت التي ينظرون بها اليه .

وهناك شكل آخر من هذه الاشتراكية اقل انتظاماً ولكنه عمل اكثر ، سعى الى تكريره العمال بكل حركة ثورية بان حاول

ان يبرهن لهم ان اي انقلاب او تغيير سياسي لا يعود عليهم باية فائدة ، وانما تغيير ظروف الحياة المادية ، اي العلاقات الاقتصادية ، هو وحده الذي يستطيع ان يفيدهم . وتجب الملاحظة بان هذه الاشتراكية لا تعني ابدأ من تغيير ظروف الحياة المادية هدم علاقات الانتاج البرجوازية الذي لا يمكن تحقيقه الا بالثورة ، بل تعني فقط تحقيق اصلاحات ادارية على اساس علاقات الانتاج البرجوازية نفسها ، اصلاحات لا تمس ، بالتالي ، في قليل او كثير علاقات الرأسمال بالعمل المأجور ، بل كل ما تفعله انها تخفض من البرجوازية نفقات حكومتها وتسهل لها ادارتها .

ولا تبلغ الاشتراكية البرجوازية الغاية القصوى في التعبير عن كنهها ومراميها بتمامها الا عندما تصبح نوعا بسيطا من المجاز والاستمارة .

التبادل الحر ! لمصلحة الطبقة العاملة ! الحماية الجمركية ! لمصلحة الطبقة العاملة ! سجون انفرادية ! لمصلحة الطبقة العاملة - هذه هي الكلمة الاخيرة للاشتراكية البرجوازية ، وهي حقا الكلمة الوحيدة التي قائلتها جادة غير هازلة .

اذ ان الاشتراكية البرجوازية ، من الفها الى يائها ، تنطوي عليها هذه العبارة ان البرجوازيين هم برجوازيون ، - لمصلحة الطبقة العاملة .

٢ - الاشتراكية والشيوعية الانتفاذتان الطوبىتان

ليس موضوع البحث هنا الادب الذي الفصح في كل الثورات الحديثة الكبرى عن مطالب البروليتاريا (مثل كتابات بابوف وغيره) .

فان المحاولات الاولى المباشرة التي قامت بها البروليتاريا لتحقيق مصالحها الطبقية الخاصة في وقت عم فيه الغليان والثوران ، خلال مرحلة هدم المجتمع الاقطاعي ، انتهت بالضرورة الى الفشل نظراً لان البروليتاريا كالت غير متطورة ونظراً لغياب الظروف والشروط المادية اللازمة لتحريرها ، هذه الظروف التي لا يمكن ان تنشأ الا في العهد البرجوازي . ومن الواضح ان الادب الثوري الذي رافق حركات البروليتاريا هذه لا بد ان يكون ذا محتوى رجعي . وهو يدعو الى زهد عام وسواسية خشنة فظة اما النظم الاشتراكية والشيوعية التي جاء بها سان-سيمون وفورييه واوين وسوام ، فقد ظهرت في المرحلة الاولى غير المتطورة للنضال بين البروليتاريا والبرجوازية ، وهي المرحلة التي تكلمنا عنها فيما سبق (راجع فصل « البرجوازيون والبروليتاريون ») صحيح ان مبتدعي هذه النظم يدركون التناقض والتناحر بين الطبقات ، وكذلك فعل عناصر الانحلال في المجتمع السائد نفسه . غير انهم لا يرون للبروليتاريا اية مبادرة تاريخية او اية حركة سياسية خاصة بها .

وبما ان نمو التناحر الطبقي يسير جنباً الى جنب مع نمو الصناعة ، فانهم كذلك لا يرون بعد نشوء الظروف المادية اللازمة لتحرير البروليتاريا ، ويأخضون في البحث من علم اجتماعي ، من قوانين اجتماعية ، لاجل خلق هذه الظروف فترام يستمضون من النشاط الاجتماعي بنشاطهم الادياعي ، وفي مكان الشروط التاريخية للتحرير يضعون شروطاً خيالية ، وهوذا من تنظيم البروليتاريا التدريجي في طبقة يضعون تنظيمًا اجتماعيًا كل تفاصيله من مبتكراتهم ومستقبل العالم في نظرم يتقرر بالاداية لبرامجهم ومشاريعهم من المجتمع وتطبيقها .

الا انهم ، عند وضع برامجهم ومشاريعهم هذه ، يدركون انهم يهتمون قبل كل شيء بمصالح الطبقة العاملة ، بوصفها اكثر الطبقات تالما وتعضا فليست البروليتاريا بالنسبة اليهم الا اكثر الطبقات تالما وتاذيا فحسب .

الا ان الشكل الابتدائي لنضال الطبقات وكذلك وضعيتهم الاجتماعية الخاصة ، يدفعانهم الى اعتبار انفسهم فوق كل تناحر طبقي ، فيرغبون في تحسين احوال جميع اعضاء المجتمع حتى احسنهم حالا واكثرهم امتيازاً وتعضا . ولذا لا يكفون عن التوجه بندايم الى المجتمع بأسره دون تمييز ولا تفريق ، بل انهم غالبا ما يتوجهون الى الطبقة الحاكمة المسيطرة اذ يكفي في نظرهم ان يفهم المرء حقيقة مشروعههم ونظامهم ليعترف بانه احسن مشروع ممكن لتنظيم احسن مجتمع ممكن .

فهم يرفضون اذن كل عمل سياسي ، وينكرون على الخصوص كل عمل ثوري ويسعون الى بلوغ هدفهم بوسائل سلمية ، ويحاولون ان يشقوا الطريق لانجيلهم الاجتماعي الجديد بقوة المثال وبالقيام بتجارب على مقياس صغير مصيرها طبعاً دائماً الاخفاق والفشل

ولا ريب ان تصوير المجتمع المقبل تصويراً خيالياً في عهد تنظر فيه البروليتاريا التي لا تزال ضعيفة التطور ، الى اوضاعها الخاصة بصورة هي ذاتها خيالية ، ان هذا التصوير ينشأ عن رغائب العمال الغريزية الاولى في تغيير تام كامل للمجتمع

الا ان هذه الكتابات الاشتراكية والشيوعية تحوي كذلك عناصر انتقادية ، فهي تهاجم المجتمع الحالي في قواعده واسسه ، ولذلك قدمت في حينها مواد قيمة جداً لانهارة العمال وتشقيفهم وكانت التدابير العملية التي اقترحتها لما يجب ان يكون عليه

المجتمع المقبل ، مثل محو التضاد بين المدينة والريف والغاء العائلة والربح الخاص والعمل المأجور وإعلان الانسجام والتناسق الاجتماعي وتحويل الدولة الى مجرد ادارة بسيطة تدير الانتاج - كل هذه التدابير المقترحة لا تفعل غير ان تعبر عن ضرورة زوال تناحر الطبقات ، هذا التناحر الذي لم يكن الا في بداية ظهوره اذ ذلك ، والذي لم يعرف منه واضعو هذه النظم سوى أشكاله الاولى المبهمة الغامضة المبلبلية ولذا ليس لهذه الاقتراحات سوى معنى طوبوي صرف .

ان اهمية الاشتراكية والشيوعية الانتقائيتين الطوبويتين تتناسب حكماً مع التطور التاريخي . فكلما اشتد نضال الطبقات واتخذ شكلاً واضحاً ، فان هذه الرغبة الخيالية في التعالي عليه ، وهذه الطريقة الخيالية في معارضته ، تفقدان كل معنى عملي وكل تبرير نظري . ولذلك اذا كان واضعو هذه النظم في كثير من النواحي ثوريين ، فان تلاميذهم يؤلفون دائماً حلقات ضيقة مظلمة رجعية . فهم يتمسكون اشد التمسك بمفاهيم اساتذتهم القديمة ، بصرف النظر عن تطور البروليتاريا التاريخي المطرد ولذا يحاولون ، وهم بذلك منطقيون مع انفسهم ، الا يخففوا من حدة النضال الطبقي وان يوفقوا بين التناقضات وهم ما ينفكون يحلمون بتحقيق تدابيرهم الاجتماعية الخيالية عن طريق التجربة - وذلك باقامة «الفالانسترات» المنعزلة ، او بالانشاء مستعمرات في الداخل ["Home-colonies"] او بتأسيس «إيكارية» * صغيرة تكون طبة جيب من ارض الميعاد الجديدة ، - ولأجل بناء جميع هذه القصور الهوائية الخيالية التي تولدها أحلامهم يرون انفسهم

* الفالانستير (Phalanstère) - تعبير أطلقه فورييه على المجتمعات الاشتراكية التي تخيلها . وإيكارية (Icarie) - اسم أطلقه كايه على بلد

مجبرين على الاستغاثـة بقلوب وجيوب «محبـي الخير» من البرجوازيين . وبذلك يقعون فينا فـشينا في عداد الاشتراكيين الرجعيين او المحافظين الذين سبق الكلام عنهم ، ولا يتميزون عنهم الا باداء علمي اكثر انتظاما وتنسيقا ، وبايمان بالمفعول العجيب الخارق لعلمهم الاجتماعي ايمانا يصل الى حد الخرافة والتعصب الاعمى .

فهم يعارضون اذن باصرار وعناد كل حركة سياسية للطبقة العاملة ، لان مثل هذه الحركة السياسية لا يتأتى ، حسب رأيهم ، الا من كفر اعمى بالانجيل الجديد .
ان الاوينيين في انجلترا يعارضون الشارتيين (٢٢) وانصار فوريه في فرنسا يعارضون الاصلاحيين (٢٣)

٤

موقف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة

حسب ما قلنا في الفصل الثاني ، يتضح موقف الشيوعيين من نفسه تجاه احزاب العمال المؤلفة سابقا ، وبالتالي ، فموقفهم واضح من الشارتيين في انجلترا ومن المصلحين الزراعيين في اميركا الشمالية .

تفيله ، ثم على مستعمرة شيوعية انشأها في اميركا (ملاحظة إنجلس للطبعة الانجليزية عام ١٨٨٨ .)

Home-colonies (مستعمرات داخل البلاد) هكذا سمي اوين مجتمعاـه الشيوعية النموذجية وفالانستير هو اسم القصور الاجتماعية التي تفيلها فوريه . ابتكارية اسم بلد خيالي طوبوي وصف به كابه مؤسساته الشيوعية . (ملاحظة إنجلس للطبعة الانجليزية عام ١٨٩٠ .)

ان الشيوعيين يناضلون في سبيل المصالح والاهداف المباشرة لطبقة العاملة ، الا انهم في الحركة الحالية يدافعون في الوقت نفسه عن مستقبل الحركة . ففي فرنسا يتحالف الشيوعيون مع الحزب الاشتراكي-الديموقراطي * ضد البرجوازية المحافظة والراдикаلية ، مع احتفاظهم بحق انتقاد الممارسات والادعائ التي خلفتها التقاليد الثورية

وفي سويسرا يؤيدون الراديكاليين ، دون ان ينكروا ان هذا الحزب مؤلف من عناصر متناقضة ، قسم منها اشتراكي ديموقراطي بالمعنى الفرنسي للكلمة ، والقسم الآخر برجوازي راديكالي

وفي بولونيا يؤيد الشيوعيون الحزب الذي يرى في الثورة الزراعية شرط التحرير الوطني ، اي الحزب الذي قام بانتفاضة كراكوفيا عام ١٨٤٦ (٢٥) .

وفي ألمانيا يناضل الحزب الشيوعي بالاتفاق مع البرجوازية ما دامت تناضل هذه البرجوازية نضالاً ثورياً ضد النظام الملكي

* ان هذا الحزب كان يمثل في البرلمان ليدروولان ، وفي الأدب لويس بلان ، وفي الصحافة اليومية جريدة "La Réforme" (٢٤) وقد اطلقوا اسم الاشتراكي-الديموقراطي على ذلك القسم من الحزب الديموقراطي او الجمهوري ، الذي كان يتصف لهذه الدرجة او تلك باللون الاشتراكي (ملاحظة المجلس للطبعة الإنجليزية عام ١٨٨٨ .)

ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في فرنسا كان يمثل في الحياة السياسية ليدروولان ، وفي الأدب لويس بلان ، فهو بعيد اذن عن الاشتراكية-الديموقراطية الألمانية الحالية بعد السماء من الارض . (ملاحظة المجلس للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠ .)

المطلق ضد الملكية الاقطاعية العقارية ، ضد البرجوازية الصغيرة الرجعية .

الا انه لا يتفائل لحظة من ايقاظ شعور واضح وادراك صريح لدى العمال عن التناحر العنيف القائم بين البرجوازية والبروليتاريا ، لأجل ان يتمكن العمال الالمان من الاستفادة على الفور من الظروف الاجتماعية والسياسية التي ترافق بالضرورة سيادة البرجوازية ، واستخدامها سلاحاً ضد البرجوازية بالذات ، لكي يمكن اشهار النضال على البرجوازية نفسها ، اثر اسقاط الطبقات الرجعية في المانيا

ان انتباه الشيوعيين يتوجه بصورة خاصة نحو المانيا ، لانها على اعتاب ثورة برجوازية ، ولانها ستقوم بهذه الثورة في ظروف تكون فيها المدنية الأوروبية اكثر تقدماً ورقياً ، ومع بروليتاريا متقدمة نامية اكثر مما كانت عليه في الجلترا في القرن السابع عشر وفي فرنسا في القرن الثامن عشر . فالثورة البرجوازية الالمانية لا تكون ، بالتالي ، سوى بداية وتمهيد مباشر لثورة بروليتارية

والخلاصة ان الشيوعيين يؤيدون في كل قطر من الاقطار كل حركة ثورية ضد النظام الاجتماعي والسياسي القائم .

وفي كل هذه الحركات يضعون في المقدمة مسألة الملكية باعتبار انها المسألة الاساسية في الحركة ، مهما كانت الدرجة التي بلغت هذه المسألة في تطورها

واخيراً ، يعمل الشيوعيون على الاتحاد والتفاهم بين الاحزاب الديمقراطية في جميع الاقطار .

ويترفع الشيوعيون عن اخفاء آرائهم ومقاصدهم ، ويعلنون صراحة ان اهدافهم لا يمكن بلوغها وتحقيقها الا بذلك كل النظام

الاجتماعي القائم بالعنف . فلتزعمش الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية . فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها واغلالها ، وتربح من ورائها عالماً بأسره .

يا عمال العالم ، اتحدوا !

يصدر حسب نص
الطبعة الالمانية عام ١٨٩٠
تمت الترجمة نقلاً عن الالمانية

كتبه ماركس وانجلس في
كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٧ -
كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨
نشر لأول مرة بطبعة خاصة
باللغة الالمانية في لندن
في شباط (فبراير) ١٨٤٨

ماركس

العمل المأجور والرأسمال (٢٦)

مقدمة فريدريك إنجلس لطبعة عام ١٨٩١

صدر هذا البحث أولا في سلسلة من الافتتاحيات نشرتها جريدة "Neue Rheinische Zeitung" (٢٧) في ١٨٤٩ ابتداء من ٤ نيسان (ابريل) وعماده المحاضرات التي القاها هاوكس عام ١٨٤٧ ، في رابطة العمال الالمان بيروكسل (٢٨) . ولم تتم هذه السلسلة . ذلك ان التعهد الذي ينطوي عليه تعبير «البقية تتبع» الوارد في نهاية المقال المنشور في العدد ٢٦٩ من الجريدة لم يتحقق نظراً للاحداث التي تسارعت في ذلك الحين - الغزو الروسي في المجر (٢٩) ، الانتفاضات في مدن درسدن وايزرلون والبرفلد ، وفي مقاطعتي البالاينا وبادن (٣٠) - ، والتي ادت الى الفناء الجريدة نفسها (١٩ ايار - مايو - ١٨٤٩) . ولم نجد قط مخطوطة البقية في اوراق ماركس بعد وفاته (٣١) .

لقد صدر «العمل المأجور والرأسمال» في كراس واحد عدة مرات وصدر للمرة الاخيرة في عام ١٨٨٤ في هوتينغن - زوريخ في «المطبعة التعاونية السويسرية» وفي جميع الطبقات الصادرة حتى الآن ، طبع النص الاصلي بكل ضبط ودقة ولكن هذه الطبعة الجديدة عبارة عن كراس للدعاية ومن المنوي نشر ما لا يقل عن ١٠٠٠٠ نسخة منها . ولذلك تساءلت فيما اذا

كان ماركس يوافق على إعادة طبع النص الأصلي دون أي تعديل والحال هذه

في العقد الخامس لم يكن ماركس قد انتهى من وضع انتقاده للاقتصاد السياسي ولم ينجز هذا العمل إلا في أواخر العقد السادس . ولذا فإن كتاباته التي صدرت قبل الكراس الأول من مؤلفه ومساهمة في نقد الاقتصاد السياسي (١٨٥٩) تختلف في بعض النقاط عما كتبه بعد عام ١٨٥٩ . فهي تحتوي تعابير وجملا كاملة تبدو ، بالنسبة للمؤلفات اللاحقة ، غير موفقة وحتى خاطئة . مع أنه بديهي تماما أن وجهة النظر السابقة هذه ، التي هي درجة من درجات تطور المؤلف فكريا ، إنما يجب أن تنعكس أيضا في الطبقات العادية المعدة لجمهور القراء العاديين وأن للمؤلف وللجمهور على السواء حقا ثابتا لا مراء فيه في إعادة طبع هذه الكتابات السابقة دون أي تعديل . وفي هذه الحال لن يخطر ببالي أبدا أن أبدل فيها كلمة واحدة

ولكن الوضع يختلف حين تكون الطبعة الجديدة معدة للدعاية بين العمال ، بوجه الحصر تقريبا . فمن المؤكد في مثل هذا الوضع أن ماركس كان عدل النص السابق الذي يعود إلى عام ١٨٤٩ وفقا لوجهة نظره الجديدة ، ولني على ثقة باني عمل بروح ماركس إذا الجأ في هذه الطبعة إلى بعض التعديلات والإضافات التي لا بد منها لأجل بلوغ هذا الهدف في كل النقاط الجوهرية ولذا أقول للقارئ سلفا : ها هو الكراس ، لا كما دبجه ماركس في عام ١٨٤٩ ، بل تقريبا كما كان من المحتمل أن يكتبه في عام ١٨٩١ هذا مع العلم أن النص الحقيقي قد صدرت منه أعداد كبيرة من النسخ إلى حد أنها تتيح الانتظار إلى أن أتمكن من إعادة طبعه فيما بعد دون أي تعديل في طبعة المؤلفات الكاملة .

ان التعديلات التي اجريتها انما تدور كلها حول نقطة واحدة . فما يبيعه العامل للراسمالي لقاء الاجرة ، انما هو عمله حسب النص الاصلي ، اما حسب النص الحالي فهو يبيع قوة عمله . ولا بد ان اوضح اسباب هذا التعديل . لا بد لي ان اقدم الايضاحات للعمال لكي يروا ان المسألة ليست مجرد مسألة تعابير وكلمات ، انما هي ، على العكس ، نقطة من اهم النقاط في الاقتصاد السياسي بكيته . ولا بد لي ايضا ان اقدم هذه الايضاحات للبرجوازيين لكي يقتنعوا بان العمال الذين لم يحصلوا على اي تعليم والذين يمكن افهامهم بسهولة اصعب الابحاث الاقتصادية ، هم اسمى بما لا حد له من اصحابنا والمثقفين ، المتفطرسين الذين تظل مثل هذه المسائل المعقدة لغزاً مغلقة على عقولهم طوال حياتهم .

ان الاقتصاد السياسي الكلاسيكي (٢٢) يستمد من النشاط العملي الصناعي هذه الفكرة الرائجة بين الصناعيين وهي ان الصناعي يشتري عمل عماله ويدفع اجره . وقد كانت هذه الفكرة تكفي الصناعي تماما لمباشرة الاعمال والمحاسبة وحساب الاسعار فما ان نقلت بكل سداجة الى ميدان الاقتصاد السياسي ، حتى احدثت فيه بلبلة غريبة وتشوشاً مدهشاً .

ان الاقتصاد السياسي يواجه الواقع التالي ، وهو ان اسعار جميع البضائع ، ومنها سعر البضاعة التي يسميها «العمل» تنحصر باستمرار ؛ وانها ترتفع وتهبط بفعل ظروف غاية في التنوع والتباين ، وكثيراً ما لا تمت باية صلة الى انتاج البضاعة نفسها ، فيبدو ان الاسعار انما تتحدد على وجه العموم بفعل الصدفة وحدها . ولكن ، ما ان ظهر الاقتصاد السياسي بمظهر العلم (٢٣) حتى ترتب عليه ، بين مهماته الاولى ، ان يجد القانون الذي يختفي

وراء هذه الصدفة التي تشرف ظاهرياً على اسعار البضائع ، والذي يسيطر في الواقع على هذه الصدفة هيئتها . وضمن حدود هذه الاسعار ، التي تتقلب باستمرار ، وترجعاتها تارة من أدنى الى أعلى وطوراً من أعلى الى أدنى ، بحث الاقتصاد السياسي عن النقطة الوسطية الثابتة التي تدور حولها هذه التقلبات وهذه الترجعات وبكلمة موجزة ، انطلق الاقتصاد السياسي من اسعار البضائع ساعياً وراء قيمة البضائع بوصفها القانون الذي يتحكم بالاسعار ، وراء القيمة التي ستساعد على تفسير جميع ترجعات الاسعار والتي يمكن نسبتها كلها الى هذه القيمة في آخر التحليل

والحال ، ان الاقتصاد السياسي الكلاسيكي قد وجد ان قيمة البضاعة انما يحددها العمل الضروري لانتاجها والمتجسد فيها ، واكتفى بهذا التفسير . وبوسعنا نحن ايضاً ان نتوقف عنده لحظة . غير انني اجتناباً لكل سوء في الفهم ، لا بد لي من ان اشير الى ان هذا التفسير لم يبق كافياً اطلاقاً في ايماننا هذه . وقد كان ماركس اول من درس بتعمق قدرة العمل على خلق القيمة ووجد ان ليس كل عمل ضروري ظاهراً او فعلاً لانتاج بضاعة معينة يضيف ، في مطلق الاحوال ، الى هذه البضاعة قدراً من القيمة يتناسب وكمية العمل المبدول . فاذا قلنا اذن اليوم بايجاز ، مع اقتصاديين امثال ريكاردو ، ان قيمة بضاعة معينة انما يحددها العمل الضروري لانتاجها فانما لا نضيف من باننا ابدأ التحفظات التي ابداهها ماركس بهذا الصدور . وهذا يكفي هنا واننا لنجد البقية عند ماركس في كتابه «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» (١٨٥٩) وفي المجلد الاول من «رأس المال» ولكن ما ان طبق الاقتصاديون طريقة تحديد القيمة بالعمل ، على البضاعة «العمل» حتى راحوا في تناقض اثر تناقض . فكيف

تحدد قيمة «العمل» ؟ بالعمل الضروري المتجسد فيها ثم اي قدر من العمل ينطوي عليه عمل العامل في اليوم ، في الاسبوع ، في الشهر ، في السنة ؟ انه ينطوي على عمل يوم ، اسبوع ، شهر ، سنة . فاذا كان العمل هو مقياس جميع القيم ، فاننا لا نستطيع التعبير عن قيمة «العمل» الا في العمل . ولكننا لا نعرف شيئاً على الاطلاق بشأن قيمة ساعة من العمل اذا عرفنا فقط انها تعادل ساعة من العمل وهكذا لم تقترب من الهدف قيد شعرة ولم نفعل غير ان درنا في حلقة مفرغة

ولذا حاول الاقتصاد السياسي الكلاسيكي استخدام طريقة اخرى . فهو يقول : ان قيمة بضاعة معينة انما تعادل نفقات انتاجها . ولكن ، ما هي نفقات انتاج العمل ؟ للجواب عن هذا السؤال ، يضطر الاقتصاديون الى مجازاة المنطق بعض الشيء . ولما كان من غير الممكن ، مع الاسف ، تحديد نفقات انتاج العمل بالذات ، فهم يحاولون اذ ذاك ان يعرفوا ما هي نفقات انتاج العامل . وهذه النفقات انما يمكن تحديدها فهي تتغير حسب الزمن والظرف ، ولكنها في اوضاع اجتماعية معينة ، ومكان معين ، وفرع معين من الانتاج ، معطاة ، معروفة على الأقل ، ضمن حدود ضيقة الى حد ما ونحن نعيش اليوم في ظل سيادة الانتاج الرأسمالي حيث طبقة كبيرة من السكان ، تنمو وتتكاثر يوماً بعد يوم ، لا تستطيع ان تعيش الا اذا عملت لقاء اجر من اجل مالكي وسائل الانتاج - من ادوات وآلات ومواد اولية ووسائل عيش . وعلى اساس هذا الاسلوب في الانتاج ، تتقوم نفقات انتاج العامل في مجمل وسائل عيشه - او في مجمل امانها نقداً - التي هي ضرورية ، بصورة وسطية ، لمدته بقدرته على العمل ، لابقاء هذه القدرة حية ، للاستعاضة عنه بعامل جديد

إذا ما اقصاه المرض أو العمر أو الموت عن الانتاج ، أي لتمكين الطبقة العاملة من التناسل والتكاثر بالمقادير الضرورية . ولنفترض أن وسائل العيش هذه إنما يبلغ ثمنها نقداً بصورة وسطية ٣ ماركات في اليوم

فإن العامل يتقاضى إذن من الرأسمالي الذي يشغله اجرة قدرها ٣ ماركات في اليوم . ولقاء هذه الاجرة ، يشغله الرأسمالي ، لنقل ، ١٢ ساعة في اليوم . وفي هذه الحال يفكر الرأسمالي على النحو التالي تقريباً :

لنفترض أن العامل - وهو محكم مثلاً - إنما يترتب عليه أن يصنع قطعة آلة وينتهي منها في يوم واحد . ولنفترض أن المادة الأولية - الحديد والنحاس الأصفر بشكلهما الضروري المحضر سلفاً - تكلف ٢٠ ماركا ؛ وأن استهلاك الفحم في الآلة البخارية واستهلاك هذه الآلة البخارية نفسها ، والمخرطة وسائر الأدوات التي يشتغل بها العامل ، يبلغ ، في يوم واحد ، وبالنسبة لما يصرفه العامل ، ما قيمته مارك واحد . لقد افترضنا أن اجرة العامل ٣ ماركات في اليوم . وهكذا تبلغ تكاليف قطعة الآلة ٢٤ ماركا بالأجمال . ولكن الرأسمالي يحسب أن يحصل من زبائنه على ثمن وسطي قدره ٢٧ ماركا أي بزيادة ٣ ماركات عن النفقات التي قدمها

فمن أين جاءت هذه الماركات الثلاثة التي يضعها الرأسمالي في جيبه ؟ إن الاقتصاد السياسي الكلاسيكي يؤم أن البضائع تباع بصورة وسطية حسب قيمتها ، أي بأسعار تناسب كميات العمل الضرورية التي تنطوي عليها هذه البضائع . فكان متوسط ثمن قطعة الآلة التي اتخذناها مثلاً - أي ٢٧ ماركا - يساوي قيمتها ، يساوي العمل المتجسد فيها . ولكن ٢١ ماركا من أصل

هذه الماركات ٢٧١ ، كانت قيمة موجودة قبل ان يبدأ صاحبنا المحكم العمل ، منها ٢٠ ماركا تنطوي عليها المادة الاولى ، ومارك واحد ينطوي عليه الفحم المحروق اثناء العمل او الآلات والأدوات التي استخدمت لهذا الغرض ونقصت صلاحيتها للعمل بما يوازي هذا المبلغ . تبقى ٦ ماركات اضيفت الى قيمة المادة الاولى . ولكن هذه الماركات الـ ٦ ، كما يقر به الاقتصاديون بالذات ، لا يمكنها ان تنجم الا من العمل الذي يضيفه عاملنا الى المادة الاولى . وهكذا فان عمله مدة ١٢ ساعة قد خلق قيمة جديدة قدرها ٦ ماركات : وبالتالي فان قيمة عمله مدة ١٢ ساعة تعادل ٦ ماركات . وعلى هذا النحو نكون قد توصلنا آخر المطاف الى اكتشاف «قيمة العمل» .

وقف ا- - يهتف بنا محكمنا . - ٦ ماركات ؟ ولكني لم اقبض الا ٣ ماركات ! ان الرأسمالي يحلف الايمان المفلطحة ان قيمة عملي مدة ١٢ ساعة لا تساوي الا ٣ ماركات واذا طالبت بـ ٦ ، فانه يسخر مني . فما معنى هذا ؟

واذا كنا بلغنا سابقا بقيمة العمل الى حلقة مفرغة ، فما نحن الآن نتيه تماما في خضم تناقض لا مخرج منه . لقد فتشنا عن قيمة العمل ووجدنا اكثر مما كان ينبغي لنا . فان قيمة ١٢ ساعة عمل هي ٣ ماركات بالنسبة للعامل ، و٦ ماركات بالنسبة للرأسمالي الذي يدفع منها للعامل اجرة ٣ ماركات ويضع في جيبه الماركات الثلاثة الباقية . وهكذا يكون للعمل بالتالي لا قيمة واحدة ، بل قيمتان اثنتان ومتباينتان كل التباين ايضا !

ويزداد التناقض خرافة ، ما ان نعيد القيم المعبر عنها نقدا الى وقت العمل . ففي ساعات العمل الـ ١٢ نشأت قيمة جديدة قدرها ٦ ماركات ، اي ٣ ماركات في ٦ ساعات ، وهو المبلغ

الذي تلقاه العامل لقاء ١٢ ساعة عمل . وهكذا فان العامل يتلقى لقاء ١٢ ساعة عمل ما يعادل منتج ٦ ساعات عمل اذا ، اما ان يكون للعمل قيمتان احدهما ضعف الاخرى ، واما ان ١٢ تساوي ٦ ! وفي الحالين كليهما ، نصل الى محال ، الى خرق . ومهما بذلنا من الجهود ، فاننا لن نخرج ابداً من هذا التناقض طالما اننا نتحدث عن شراء وبيع العمل وقيمة العمل . وهذا ما حدث بالضبط لاصحابنا الاقتصاديين فان الشبهة الاخيرة من الاقتصاد السياسي الكلاسيكي ، ونعني بها مذهب ريكاردو ، قد انهارت لعجزها ، بالدرجة الاولى ، من حل هذا التناقض . فقد وقع الاقتصاد السياسي الكلاسيكي في مازق . وكان كارل ماركس هو الذي وجد السبيل للخروج من هذا المازق

ان ما اعتبره الاقتصاديون نفقات انتاج «العمل» ، انما كان ، لا نفقات انتاج العمل ، بل نفقات انتاج العامل الحي نفسه . وما يبيعه العامل من الرأسمالي ليس عمله يقول ماركس : وما ان يبدأ العامل عمله حقاً ، حتى يكف عمله عن ان يكون ملكه ، ولذا لا يعود بوسعه ان يبيعه » . فاكتر ما يستطيع ان يبيعه هو عمله اللقيل ، اي ان يقطع على نفسه عهداً بتحقيق عمل معين في اجل معين . ولكنه ، والحال هذه ، لا يبيع عمله (الذي سيقوم به في المستقبل) انما يضع تحت تصرف الرأسمالي لمدة معينة (في حالة الاجرة اليومية) او للقيام بعمل معين (في حالة الاجرة بالقطعة) قوة عمله مقابل اجر معين ؛ فهو يؤجر او يبيع قوة عمله . غير ان قوة العمل هذه مرتبطة بشخصه

ارتباطا وثيقا لا يمكن فهم عراه . ولذا لان نفقات انتاجها تطابق بالتالي نفقات انتاجه هو بالذات . وما كان يسميه الاقتصاديون نفقات انتاج العمل اما هي بالضبط نفقات انتاج العامل وبالتالي نفقات انتاج قوة العمل . وبوسعنا ان نعود هكذا من نفقات انتاج قوة العمل الى قهمة قوة العمل ، وتحديد كمية العمل الضروري اجتماعيا لانتاج قوة عمل من كيفية معينة ، كما فعل ماركس في قسم شراء وبيع قوة العمل (ورأس المال) ، المجلد الاول ، الفصل الرابع ، الباب الثالث) .

ولكن ماذا يحدث بعد ان يبيع العامل قوة عمله من الراسمالي ، اي بعد ان يضعها تحت تصرفه مقابل اجر متفق عليه سلفا - سواء اكان اجرا يوميا ام اجرا بالقطعة ؟ ان الراسمالي يقود العامل الى مشغله او الى مصنعته حيث تتوفر جميع الاشياء الضرورية لعمله من مواد اولية ، ومنتجات ثانوية (لحم ، اصباغ ، الخ .) ، وادوات ، وآلات . وفي هذا المشغل او في ذلك المصنع ، يشرح العامل يكدح ويعمل . واجرتة اليومية ، كما سبق وافترضنا ألفا ، ٣ ماركات ، - سواء اكسبها بالمياومة ام بالقطعة ، فالامران سيان . ونحن نفترض ايضا في هذه الحال ان العامل ، بعمله مدة ١٢ ساعة ، انما يضمن المواد الاولية المستخدمة قيمة جديدة قدرها ٦ ماركات ، وهذه القيمة الجديدة يحققها الراسمالي ببيع القطعة بعد الانتهاء من صنعها . ومن هذه الماركات الستة ، يدفع ٣ ماركات للعامل ، ويحتفظ لنفسه بالماركات الثلاثة الباقية . وهكذا ، اذا خلق العامل في ١٢ ساعة قيمة قدرها ٦ ماركات ، فانه يطلق في ٦ ساعات قيمة قدرها ٣ ماركات . فهو اذن ، حين يشتغل ٦ ساعات للرأسمالي ، يرد للرأسمالي ما يعادل الماركات الثلاثة التي قبضها ، او الاجرة .

فبعد ٦ ساعات عمل ، يكون كل منهما قد ابرا ذمته تجاه الآخر ولا يترتب لاحدهما على الآخر اي شيء

واذا الراسمالي يصرخ الآن ورويدك ! لقد استأجرت العامل ليوم كامل ، ١٢ ساعة . و٦ ساعات ليست سوى نصف يوم اذن ، اكدح واعمل حتى تنتهي ايضا الساعات الست الاخرى - وحينذاك فقط ، يرى كل منا ذمته تجاه الآخر ! ويجب على العامل ان يخضع بالفعل للعقد الذي قبل به وبملء ارادته ، والذي تعهد فيه بالعمل ١٢ ساعة كاملة مقابل منتج يكلف ٦ ساعات عمل

والحالة نفسها تماما في العمل بالقطعة لنفترض ان عاملنا يصنع في ١٢ ساعة ١٢ قطعة من البضاعة عينها وكل قطعة تكلف ماركين من المواد الاولية واستهلاكه الآلات وتبايع بماركين ونصف مارك فاذا استندنا الى الافتراضات السابقة نفسها ، فان الراسمالي يعطي العامل ٢٥ بفنينغا . بالقطعة ، اي انه يعطيه مقابل ١٢ قطعة ٣ ماركات ظل العامل يكدح ١٢ ساعة لكسبها اما الراسمالي ، فيقبض مقابل ١٢ قطعة ٣٠ ماركا ؛ وبعد حمم ٢٤ ماركا من هذا المبلغ مقابل المادة الاولية وتلف الآلات يبقى ٦ ماركات يدفع الراسمالي منها ٣ ماركات اجرة ويضع في جيبه ٣ ماركات كما في الحالة الاولى . ففي الحالة الثانية ايضا ، يشتغل العامل ٦ ساعات لنفسه ، اي تعويضا لاجره (نصف ساعة في كل من ١٢ ساعة) و٦ ساعات للراسمالي ان الصعوبة التي تعطلت عليها جهود خيرة الاقتصاديين طالما انهم انطلقوا من قيمة والعمل ، تزول ما ان ننطلق من قيمة

«قوة العمل» لا من قيمة «العمل» فان قوة العمل هي في مجتمعنا الرأسمالي الحالي ، بضاعة كجميع البضائع الاخرى ، ولكنها مع ذلك بضاعة من نوع خاص تماما . فانها بالفعل تتصف بميزة خاصة تتقوم في كونها قوة تخلق القيمة ، في كونها ينبوع قيمة ، بل اكثر من ذلك ، اذ انها تخلق عند استخدامها بصورة ملائمة ، قيمة تفوق القيمة التي تملكها هي نفسها وفي حالة الانتاج الراهنة ، لا تنتج قوة العمل الانساني فقط في يوم واحد قيمة اكبر من القيمة التي تملكها والتي تكلفها هي نفسها ؛ فلدن كل اكتشاف علمي جديد ، لدن كل اختراع تكنولوجي جديد ، يزداد هذا الفائض من المنتج اليومي لقوة العمل على كلفتها اليومية ، وبالتالي يقل القسم من يوم العمل ، الذي يقدم فيه العامل ما يعادل اجره اليومي ، في حين يزداد من جهة اخرى القسم من يوم العمل ، الذي يضطر فيه الى تقديم عمله للراسمالي دون اي مقابل .

هكذا هو النظام الاقتصادي لكل مجتمعنا الحالي فان الطبقة العاملة وحدها هي التي تنتج جميع القيم . لان القيمة ليست سوى شكل آخر للعمل ، ليست سوى التعبير الذي تُعَيَّن به في مجتمعنا الرأسمالي الحالي كمية العمل الضروري اجتماعياً المتجسدة في بضاعة معينة . ولكن هذه القيم التي ينتجها العمال لا تخص العمال . انما تخص مالكي المواد الاولية ، والآلات ، والادوات ، والسلفيات المالية التي تتيح لهم شراء قوة عمل الطبقة العاملة . وهكذا لا يعود الى الطبقة العاملة من مجمل المنتجات التي تبدها سوى قسم فقط ان القسم الثاني الذي تحتفظ به الطبقة الرأسمالية والذي يترتب عليها على الاكثر ان تنقسمه ايضا مع طبقة الملاكين العقاريين ، يزداد اكثر فائز ،

كما سبق ورأينا ، لدن كل اكتشاف واختراع جديد ، في حين ان القسم العائد الى الطبقة العاملة (محسوبا بالنسبة لكل فرد من افرادها) اما انه لا يزداد الا ببطء شديد وبصورة طفيفة لا يؤبه لها ، واما انه يجمد على حاله واما ايضا انه ينقص في بعض الاحوال .

ولكن هذه الاكتشافات والاختراعات التي يزيح بعضها بعضا بسرعة متزايدة على الدوام ، وهذا المردود من العمل الانساني الذي ينمو كل يوم بمقاييس لم يسمع لها بمثل ، انما تستثمر في آخر المطاف نزاعا لا بد ان يودي بالاقتصاد الرأسمالي الراهن فمن جهة ثروات لا عد لها وفائض من المنتجات لا يستطيع المستهلكون شراءه ومن جهة اخرى ، السواد الاعظم من افراد المجتمع الذين تحولوا الى بروتلياريين ، الى اجراء ، وغدوا بالتالي عاجزين عن امتلاك هذا الفائض من المنتجات وانقسام المجتمع الى طبقة صغيرة لا حد لثناها والى طبقة كبيرة من الاجراء غير المالكين يجعل هذا المجتمع يخنق في وفرة بالذات في حين ان الاغلبية الكبرى من افراده تكاد تكون غير محمية ، او حتى هي غير محمية اطلاقا من غائلة البؤس المدقع . وهذا الوضع ، انما يقتد يوما بعد يوم ما يتصف به من طابع اخرق لا فائدة منه . ولذا فان ازالته ضرورية وممكنة . ومن الممكن قيام نظام اجتماعي جديد حيث تزول الفوارق العالية بين الطبقات وحيث - ربما بعد مرحلة انتقال قصيرة ، عجفاء لحد ما ، ولكنها على كل حال مفيدة جدا اخلاقيا - بفضل استخدام قوى المجتمع الانتاجية الهائلة القائمة استخداما منهجيا وبفضل استمرار تطور هذه القوى ، وبفضل العمل الالزامي والمتساوي بالنسبة للجميع ، - توضع ايضا وسائل

الحياة والتمتع بالحياة والتطور والافادة من كل مواهب الجسد والفكر تحت تصرف الجميع وبوفرة متنامية على الدوام . والدليل على ان العمال يوطدون العزم اكثر فاكثر على الظفر بهذا النظام الاجتماعي الجديد عن طريق النضال انما يقدمه لنا من على جانبي المحيط يوم اول ايار (مايو) غداً ويوم الاحد القادم ، ٣ ايار (مايو) (٣٤)

لندن ، ٣٠ نيسان (ابريل) ١٨٩١

فريدريك إنجلز

نشر في ملحق جريدة "Vorwärts" ،
العدد ١٠٩ ، ١٣ ايار (مايو) ١٨٩١ ،
يكي كراس :
صدر حسب نص الكراس
تمت الترجمة نقلاً عن الالمانية

Karl Marx „Lohnarbeit und Kapital“.
Berlin, 1891

العمل المأجور والرأسمال

لقد انتقدونا من مختلف الجهات لاننا لم نصف العلاقات الاقتصادية التي تشكل الاساس المادي للنضال الطبقي والوطني المعاصر . فاننا لم نتناول هذه العلاقات بالنظام الا حين برزت امامنا مباشرة في الاصطدامات السياسية

فقد كان المقصود بالدرجة الاولى تتبع النضال الطبقي في مجرى التاريخ يوماً فيوماً والبرهان ، على ضوء الاختبار ، على ضوء المادة التاريخية القائمة والمتجددة يومياً ، ان هزيمة الطبقة العاملة التي قامت بثورتي شباط (فبراير) وآذار (مارس) (٣٥) قد كانت في الوقت نفسه هزيمة لخصام الطبقة العاملة - اي للجمهوريين البرجوازيين في فرنسا والطبقات البرجوازية والفلاحية المناغلة ضد الحكم المطلق الاقطاعي في عموم القارة الاوروبية ؛ وان انتصار الجمهورية الشريفة في فرنسا كان في الوقت نفسه هزيمة الامم التي ردت على ثورة شباط (فبراير) بحروب بطولية من اجل الاستقلال ؛ وان اوروبا ، بسبب من هزيمة العمال الثوريين ، عادت وهوت في لجة عبوديتها القديمة المزدوجة ، العبودية الانجلو-روسية . معارك حزيران (يوليو) في باريس ، وسقوط فيينا ومهزلة سماسة برلين في تشرين الثاني (نوفمبر)

عام ١٨٤٨ (٢٦) وما بدلته بولونيا وإيطاليا والمجر (٢٧) من جهود يائسة ، وخلق أرنلده بالجوع ، - تلك كانت الأحداث الرئيسية التي انعكس فيها بصورة مركزة النضال الطبقي بين البرجوازية والطبقة العاملة في أوروبا واتاحت لنا ان نقدم الدليل على ان كل انتفاضة ثورية ، مهما بدا هدفها بعيداً عن النضال الطبقي ، ستظل تمنى بالانخفاق الى ان تنتصر الطبقة العاملة الثورية ، وان كل اصلاح اجتماعي يظل مجرد طوبوية ووهم الى ان تتقابل الثورة البروليتارية والردة الاقطاعية بالسلاح في حرب عالمية . وفي بحثنا كما في الواقع ، كانت بلجيكا وسويسرا رسمين من النوع الكاريكاتوري والمضحك المبكي في لوحة التاريخ الكبرى ، الاولى معروضة على انها الدولة النموذجية للملكية البرجوازية ، والثانية على انها الدولة النموذجية للجمهورية البرجوازية ، وكل منهما تصور انها مستقلة سواء عن النضال الطبقي او عن الثورة الأوروبية

والآن ، وقد رأى قراؤنا النضال الطبقي يتطور في عام ١٨٤٨ ويرتدي اشكالا سياسية هائلة ، حان الحين للتحقق في دراسة العلاقات الاقتصادية نفسها التي يقوم عليها وجود البرجوازية وسيادتها الطبقة كما تقوم عليها عبودية العمال

وسنعرض في ثلاثة فصول كبيرة ١ - العلاقات بين العمل المأجور والراسمال ، عبودية العامل ، سيادة الراسمال ؛ ٢ - حتمية سبر الطبقات البرجوازية المتوسطة وما يسمى فئة البورجوازية ، في ظل النظام العالي ، في طريق الزوال ؛ ٣ - استثمار الطبقات البرجوازية في مختلف امم أوروبا وإخصاها تجاريا من جانب طائفة السوق العالمية إنجلترا .

وسنحاول ان نقدم بحثا بسيطا وشعبيا قدر الامكان ،
ودون ان نفترض لدى القارىء سابق معرفة باسسط مفاهيم
الاقتصاد السياسي . فنحن نريد ان يفهمنا العمال . هذا مع العلم
ان الجهل المذهل وفوضى الافكار حول ابسط العلاقات الاقتصادية
يسودان في كل مكان في المانيا بين المدافعين الرسميين عن الوضع
الراهن وحتى بين صانعي المعجزات الاشتراكيين والعباقرة السياسيين
المضبوطة الخصالهم ، الذين عند المانيا المجزأة منهم اكثر مما
عندها من آباء الوطن .
لنعالج اذن المسألة الاولى .

ما هي الاجرة ؟ وكيف تعدد ؟

اذا سألت عدداً من العمال عن مقدار اجورهم ، لاجابك
احدهم : واني اقبض ماركاً واحداً في اليوم ، واجابك الثاني
واني اقبض ماركين ، وهكذا دواليك . وتبعاً لمختلف فروع
العمل التي يعملون فيها ، يذكرون مختلف المبالغ العالية التي
يتقاضاها كل منهم من رب عمله لقاء القيام بعمل معين ، مثلاً
لقاء حياكة متر من القماش او صف ملزمة في المطبعة . ورغم
تنوع اجوربتهم فانهم متفقون بالاجماع حول نقطة واحدة ان
الاجرة هي مبلغ المال الذي يدفعه الرأسمالي لقاء وقت محدد
من العمل او لقاء القيام بعمل معين

فالرأسمالي يشتري اذن (كما يبدو) عمل العمال بالمال
ولقاء المال يبيعهونه عملهم . ولكن الامر ليس كذلك الا ظاهرياً
فان ما يبيعهونه في الواقع من الرأسمالي لقاء المال ، انما هو قوة
عملهم . فالرأسمالي يشتري قوة العمل هذه ليوم واحد ، لاسبوع ،

لشهر ، وهلمجرأ ومق اشتراها ، استخدمها بتشغيل العامل خلال الوقت المتفق عليه . وبهذا المبلغ المالي نفسه الذي اشترى به الراسمال قوة عمل العامل ، بماركين ، مثلاً ، كان بوسعه ان يشتري كيلوغرامين من السكر او كمية معينة من بضاعة اخرى فالماركان اللذان اشترى بهما كيلوغرامين من السكر هما فهين الكيلوغرامين من السكر . والماركان اللذان اشترى بهما ١٢ ساعة من استخدام قوة العمل هما فمن ١٢ ساعة عمل . فقوة العمل اذن بضاعة شأنها شان السكر لا اكثر ولا اقل الاولى تقاس بالساعة ، والثانية بالميزان

ان بضاعة العمال ، اي قوة عملهم ، انما يبادلونها ببضاعة الراسمال ، بالمال ، وهذا التبادل يتم وفق نسبة معينة . قدر معين من المال مقابل قدر معين من استخدام قوة العمل . مقابل ١٢ ساعة حياكة ماركان وهذان الماركان ، الا يمثلان جميع البضائع الاخرى التي تستطيع شراؤها بماركين ؟ وهكذا بادل العامل اذن بضاعة ، هي قوة العمل ، ببضائع متنوعة ، وذلك وفقاً لنسبة معينة . فعين يعطيه الراسمال ماركين ، فكأنه يعطيه قدراً معيناً من اللحم ، من الالبسة ، من الحطب ، من النور ، الخ . مقابل يوم عمله فهذان الماركان يعبران اذن عن النسبة التي يتم بموجبها تبادل قوة العمل ببضائع اخرى ، اي انهما يعبران عن القيمة التبادلية . لقوة العمل ان القيمة التبادلية لبضاعة معينة ، مقدرة بالمال ، انما هي بالضبط ما يسمونه ثمنها . . . فالاجرة ليست اذن سوى الاسم الخاص الذي يطلق على ثمن قوة

• او قيمة تبادل . للعرب .

•• او سعرها . العرب .

العمل المسمى عادة **ثمن العمل** ، ليست اذن سوى الاسم الذي يطلق على ثمن هذه البضاعة الخاصة التي لا يوجد منها الا في لحم الانسان ودمه .

لنأخذ اول عامل نصادفه ، حائكاً مثلاً . فالرأسمالي يقدم له النول والخيطان . ويشرح الحائك في العمل وتصبح الخيطان قماشاً . ويأخذ الرأسمالي القماش ويبيعه بعشرين ماركاً مثلاً فهل ان اجرة الحائك ، في هذه الحال ، حصّة من القماش ، من العشرين ماركاً . من متزوج عمله ؟ كلا لقد تقاضى الحائك اجرتة قبل ان يباع القماش بزمان طويل بل ربما تقاضاها حتى قبل ان يصنع القماش بزمان طويل فالرأسمالي لا يدفع اذن هذه الاجرة من المال الذي حصل عليه من القماش ، انما يدفعها من المال المكسب لديه سلفاً . وكما ان النول والخيطان ليست من نتاج الحائك ، انما قدمها له الرأسمالي ، فان البضائع التي يحصل عليها مقابل بضاعته ، قوة العمل ، ليست من نتاجه . وقد لا يجد الرأسمالي ابدأ شارباً لقماشه . وقد لا يحصل من بيع القماش حتى على المبلغ الذي صرفه لدفع الاجرة . وقد يبيع القماش بفائدة كبيرة جداً بالنسبة لاجرة الحائك ؛ غير ان كل هذه الاحتمالات لا علاقة لها ابدأ بالحائك . فالرأسمالي يشتري بقسم من ثروته الحالية ، من رأسماله ، قوة عمل الحائك ، بنفس الطريقة التي حصل بها بقسم آخر من ثروته على المادة الاولى - الخيطان ، واداة العمل - النول . وبعد اجراء هذه المشتريات ، ومن ضمنها قوة العمل الضرورية لانتاج القماش ، يشرع في الانتاج بوساطة مواد اولية وادوات عمل تخصه وحده دون غيره . ومن ضمن هذه الادوات ، بالطبع ، اصبح الآن صاحبنا الحائك الذي ليس له ، شأنه شأن النول ، اي حصّة في المنتج او في ثمنه .

فالأجرة ليست إذن حصة العامل في البضاعة التي انتجها .
إن الأجرة هي قسم من بضاعة موجودة سلفا يشتري به الراسمالي
كمية معينة من قوة عمل منتجة .

فقوة العمل إذن بضاعة يبيعها مالكوها ، الأجير ، من
الراسمالي . لماذا يبيعها ؟ ليعيش

ولكن ظاهرة قوة العمل ، أي العمل ، إنما هي النشاط
الحيوي للعامل ، إنما هي ظاهرة حياته بالذات . وهذا النشاط
الحيوي هو ما يبيعه لشخص آخر ، لكي يؤمن لنفسه وسائل
العيش الضرورية وهكذا فإن نشاطه الحيوي ليس ، بالنسبة
له ، سوى وسيلة تمكنه من العيش . فهو يعمل ليعيش . والعمل ،
بنظره ، ليس جزءاً من حياته ، إنما هو بالأحرى تضحية بحياته .
إنه بضاعة باعها لشخص آخر ولذا فإن نتاج نشاطه ليس
كذلك هدف نشاطه فما ينتجه لنفسه ، ليس الحرير الذي
ينسج ، وليس الذهب الذي يستخرج من المنجم ، وليس القصر
الذي يبني . إن ما ينتجه لنفسه ، إنما هي الأجرة ، ويتحول الحرير
والذهب والقصر بالنسبة له إلى كمية معينة من وسائل العيش ،
وربما إلى قميص من القطن ، أو إلى بعض النقود النحاسية ، أو
إلى منزل في قبو تحت الأرض . والعامل الذي يحبك طوال ١٢
ساعة ، أو يفزل ، أو يشقب ، أو يخرط ، أو يبني ، أو يحفر ،
أو يحطم الحجر ، أو ينقل الأثقال ، الخ . ، أتراه يعتبر هذه
الساعات ١٢ من الحياكة أو الفزل أو الشقب أو الخروط أو البناء
أو الحفر أو تحطيم الحجر ، ظاهرة من ظاهرات حياته ، أتراه
يعتبرها حياته ؟ بالعكس ، إن الحياة تبدأ بالنسبة له حيث
يكف هذا النشاط ، عند المائدة ، في الحانة ، في النوم على السرير .
أما ساعات العمل ١٢ ، فإنها لا تعني إطلاقاً بنظره الحياكة

والغزل والثقب ، الخ ، انما تعني كسب ما يمكنه من الاكل ،
والذهاب الى الحانة ، والنوم . ولو كانت دودة الحرير تفرل لتأمين
عيشها كدودة ، لكنت اجيراً كاملاً . ان قوة العمل لم تكن دائماً
بضاعة . والعمل لم يكن دائماً عملاً مأجوراً . اي عملاً حراً
فالرقيق لا يبيع قوة عمله من مالك الارقاء ، كما ان الثور
لا يبيع عمله من الفلاح فالرقيق يباع ، بما فيه قوة عمله ،
من مالكة ، بيعاً تاماً . وهو بضاعة يمكن ان تنتقل من يد مالك
الى يد مالك آخر فهو نفسه بضاعة ، ولكن قوة عمله ليست
بضاعته هو . **والقن** لا يبيع الاقسماً من قوة عمله ، وليس هو الذي
يتقاضى اجراً من مالك الارض ، انما هو بالاحرى الذي يدفع
جزية لمالك الارض .

فالقن من لوازم الارض وبيع لمالك الارض اما **العامل**
الحُر ، فهو يبيع نفسه ، وذلك بالمفرق فهو يتنازل عن ٨ ،
١٠ ، ١٢ ، ١٥ ساعة من حياته عن طريق المناقصات ، يوماً
بعد آخر ، لاسخى العارضين ، لمالك المواد الاولية وادوات
العمل ووسائل العيش ، اي للرأسمالي فالعامل لا يخص مالكا
وليس من لوازم الارض ، ولكن ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ساعة من
حياته اليومية تخص من يشتريها . والعامل يترك الرأسمالي الذي
استأجره ، ساعة يطيب له ، والرأسمالي يصرفه ساعة يشاء ،
حين لا يبتز منه اي ربح او حين لا يجد منه الربح المأمول
ولكن العامل الذي مورده الوحيد انما هو بيع قوة عمله لا يستطيع
ترك طبقة الشارين بكتلتها اي الطبقة الرأسمالية ، والا مات
جوعاً انه لا يخص هذا الرأسمالي او ذاك ، بل يخص طبقة
الرأسماليين برمتها ، وعليه ان يجد فيها صاحبه ، اي ان يجد
شأرياً في هذه الطبقة الرأسمالية .

ولبل التعمق في بحث العلاقات بين الراسمال والعمل
المأجور ، سنتناول الآن بايجاز الظروف العامة التي تسهم في
تحديد الاجرة

ان الاجرة ، كما رأينا ، اما هي ثمن بضاعة معينة ، قوة
العمل فالاجرة تحددها اذن القوانين ذاتها التي تحدد ثمن اية
بضاعة اخرى ولذا ، فالسؤال الذي يوضع هو السؤال التالي :
كيف يتحدد سعر البضاعة ؟

ما الذي يحدد سعر بضاعة ما ؟

انها المزاحمة بين الشارين والبائعين ، النسبة بين العرض
والطلب ، بين الطلب وتلبيةه . والمزاحمة التي تحدد سعر بضاعة
ما ثلاثية .

البضاعة ذاتها يعرضها مختلف الباعة . فالذي يبيع بضائع
من الصنف نفسه بارخص الاسعار واثق من ازاحة سائر الباعة
من ميدان المعركة وتأمين اكبر تصريف لبضائعه . وهكذا فان
الباعة يتنازحون بعضهم بعضاً تصريف البضائع ، السوق . كل
منهم يريد ان يبيع ، ان يبيع اكثر ما يمكن ، ان يبيع وحده
ان امكن ، دون سائر الباعة . ولهذا ، فان احدهم يبيع بارخص
ما يبيع الآخر فتقوم بالتالي مزاحمة بين الباعة تنخفض سعر
البضائع التي يعرضون

ولكنه تقوم ايضا مزاحمة بين الشارين ترفع ، من جانبها ،
اسعار البضائع المعروضة .

واخيراً ، توجد مزاحمة بين الشارين والباعة ؛ فالشارون
يريدون ان يشتروا بارخص الاسعار ، والباعة يريدون ان يبيعوا

باغلي الاسعار اما نتيجة هذه المزاومة بين الشارين والباعة ،
 فتتوقف على النسبة بين الطرفين المتزاحمين المشار اليهما اعلاه ،
 اي على الواقع التالي اية مزاومة ستكون الاقوى - المزاومة في
 معسكر الشارين ، ام المزاومة في معسكر الباعة . فالصناعة تعبى
 جيشين لجبين تواجه احدهما بالآخر ، وكل منهما انما تحتدم
 معركة في صفوفه ، بين قواته بالذات فالجيش الذي يكون
 التضارب في داخل صفوفه اقل ، يحرز الغلبة على الجيش المخاضم .
 لنفترض ان في السوق ١٠٠ بالة من القطن ، وان هناك
 ايضا في الوقت نفسه شارين يبتفون شراء ١٠٠٠ بالة من القطن .
 فالطلب في هذه الحال يوازي عشرة امثال العرض ولذا فان
 المزاومة بين الشارين ستكون قوية جداً ، فكل منهم يريد ان
 يحصل على بالة ، وان امكن على المائة بالة . ان هذا امثال
 ليس بالفرضية الاعتباطية . فلقد عشنا في تاريخ التجارة فترات
 ساء فيها موسم القطن وسعى فيها بعض الراسماليين المتحالفين
 الى شراء ، لا ١٠٠ بالة ، بل جميع مخزونات القطن في العالم
 باسره . وهكذا ، فان كلا من الشارين ، في الحالة المعنية ، سيسعى
 الى ازالة شار آخر من السوق بعرضه سعراً اعلى نسبياً لبالة
 القطن . اما باعة القطن الذين يرون قوات الجيش المخاضم تخوض
 معركة حامية الوطيس بعضها ضد بعض ، والذين تاكدوا اطلاقاً
 من بيع بالاتهم المائة بكليتها ، فانهم سيمتنعون عن التضارب
 والتماسك بالشعر لكي لا ينخفض سعر القطن في فترة يتنافس
 فيها اخصائهم على رفعه . واذا السلام يستتب فجأة في معسكر
 الباعة انهم كرجل واحد ازاء الشارين ، ويتكتفون كالفلاسفة ،
 وتكاد مطالبهم لا تعرف حداً لو ان عروض اولئك الذين اشد ما
 يلحون على الشراء لم تكن لها حدود معينة ، بيّنة .

وهكذا ، اذا كان عرض بضاعة ما اضعف من الطلب عليها ، فليس ثمة اطلاقا او تقريبا اية موازنة بين الباعة . ويقدر ما تخف هذه الموازنة ، تنمو الموازنة بين الشارين النتيجة ارتفاع كبير الى هذا الحد او ذاك في اسعار البضاعة . ومعلوم ان الحالة المعاكسة مع نتيجتها المعاكسة اكثر حدونا : فانض كبير من العرض على الطلب ؛ موازنة عنيفة بين الباعة ؛ قلة في الشارين ؛ بيع البضائع باسعار بخسة ولكن ما معنى ارتفاع الاسعار وهبوط الاسعار ، ما معنى السعر العالي والسعر الزهيد ؟ ان حبة الرمل كبيرة اذا رأيتها عبر مجهر ، والبرج صغير بالقياس الى الجبل . واذا كان السعر انما تحدده النسبة بين العرض والطلب ، فما الذي يحدد النسبة بين العرض والطلب ؟

لنسال اي برجوازي نشاهده . فانه لن يتردد لحظة ، وسيقطع بضرية واحدة كانه الاسكندر ذو القرنين هذه العقدة الميتافيزيائية (٣٨) المعقدة بواسطة جدول الضرب وسيقول لنا : اذا كلفني انتاج البضاعة التي ابيعها ١٠٠ مارك ، واذا بعت هذه البضاعة بـ ١١٠ ماركات - بعد سنة طبعاً - حصلت على ربح متواضع ، حريف ، ملائم . واذا بعتها بـ ١٢٠ ، ١٣٠ ماركاً ، حصلت على ربح عال ؛ واخيراً ، اذا بعتها بـ ٢٠٠ مارك ، حصلت على ربح استثنائي ، هائل . فاي عامل يستخدمه البرجوازي اذن للاعتماد ربحه ؟ لفئات انتاج بضاعته . فاذا حصل مقابل هذه البضاعة على قدر من البضائع الاخرى كلف انتاجها اقل ، فقد منى بخسارة . واذا حصل مقابل بضاعته على قدر من البضائع الاخرى كلف انتاجها اكثر ، فقد حقق ربحاً . وهذا المبوط او الارتفاع في الربح ، انما يقيسه بعدد الدرجات التي تهبط بها

القيمة التبادلية لبضاعته تحت الصفر او ترتفع فوق الصفر ، باعتبار الصفر نفقات الانتاج .

لقد رأينا كيف ان تغير النسبة بين العرض والطلب يتسبب تارة بارتفاع الاسعار وطورا بهبوطها ، ويؤدي تارة الى اسعار مرتفعة وطورا الى اسعار متدنية فاذا ارتفع سعر بضاعة ارتفاعا كبيرا بسبب من عرض غير كاف او بسبب من طلب يتزايد بلا حد ، فلا بد ان سعر بضاعة اخرى قد هبط ، بنسبة معينة ، لأن سعر بضاعة ما لا يفعل غير ان يعبر بالنقد عن النسبة التي تتم بموجبها مبادلة هذه البضاعة ببضائع اخرى فاذا ارتفع سعر متر من الحرير من ٥ ماركات الى ٦ ماركات ، فان سعر اللقمة قد هبط بالنسبة للحرير ، كما ان سعر جميع البضائع الاخرى التي ظلت بسعرها السابق ، قد هبط ايضا بالنسبة للحرير فللحصول على الكمية نفسها من الحرير ، ينبغي الآن اعطاء كمية اكبر من البضائع مقابلا . فإلام يؤدي ارتفاع سعر بضاعة من البضائع ؟ ان الرساميل ستتدفق بالجملة على الفرع الصناعي المودهر ، وهذه الهجرة من الرساميل الى الفرع الصناعي الناجح تدوم ما دام الربح في هذا الفرع لا يهبط الى المستوى العادي او بالاحرى حتى الفترة التي تهبط فيها اسعار منتجاته ، بسبب من فيض الانتاج ، الى ما دون نفقات الانتاج .

وبالعكس اذا هبط سعر بضاعة من البضائع الى ما دون نفقات الانتاج ، انسحبت الرساميل من انتاج هذه البضاعة وباستثناء الحالة التي لا يستجيب فيها فرع صناعي معين لمتطلبات الزمن ولا يبقى له الا ان يزول ، فان انتاج هذه البضاعة ، اي عرضها ، سيأخذ في الهبوط من جراء حرب الرساميل هذا الى ان يتناسب مع الطلب ، فيرتفع بالتالي سعرها من جديد حتى يبلغ

مستوى نفقات انتاجها او بالاحرى حتى يقل العرض عن الطلب ،
اي حتى يرتفع سعرها من جديد على نفقات انتاجها ، لان السعر
الجاري لبضاعة ما اليها هو دائما ادنى او اعلى من نفقات انتاجها .
اننا نرى ان الرساميل في هجرة دائبة واستيطان دائم ،
متنقلة من فرع انتاجي الى فرع آخر ، وان ارتفاع الاسعار
يؤدي الى استيطان شديد جداً ، وهبوط الاسعار الى هجرة
شديدة جداً

وبوسعنا ان نبين من وجهة نظر اخرى ان نفقات الانتاج
لا تحدد العرض وحسب ، بل الطلب ايضا . ولكن هذا الامر يبعدنا
كثيراً من موضوعنا .

لقد رأينا للتو ان تقلبات العرض والطلب تعيد دائماً من
جديد سعر بضاعة ما الى مستوى نفقات انتاجها ان السعر
الفعلي لبضاعة ما هو حلاً دائماً ادنى او اعلى من نفقات انتاجها ،
ولكن الارتفاع والهبوط يتكاملان ، حتى اننا اذا جمعنا حصيلة المد
والجزر في الصناعة ، في حدود فترة معينة من الزمن ، تبين لنا
ان البضائع لما تتم مبادلتها بعضها ببعض وفقاً لنفقات انتاجها ،
اي ان نفقات انتاجها هي التي تحدد سعرها .

ان هذا التحديد للسعر بنفقات الانتاج ، لا يجب فهمه كما
يفهمه الاقتصاديون فالالاقتصاديون يقولون . ان السعر الواسطي
للبضائع يوازي نفقات الانتاج ؛ وان ذلك في رأيهم هو القانون .
وهم يعتبرون انها من قبيل الصدفة هذه الحركة الفوضوية التي
يعوض بواسطتها ارتفاع السعر عن هبوطه ، وهبوط السعر عن
ارتفاعه . وعلى هذا الاساس ، يكون بوسع المرء ان يعتبر بنفس
القدر من الصواب ان تقلبات الاسعار هي القانون ، وان تحديد
الاسعار بنفقات الانتاج هو من باب الصدفة . وهذا ما يقول به

بعض الاقتصاديين . ولكن الحقيقة هي ان هذه التقلبات التي تفضي ، كما يتضح عند النظر فيها عن كثب ، الى اشد التدمرات اربابا ، وتزعزع المجتمع البرجوازي حتى اسمه ، اشبه بالزلازل الارضية ، هي وحدها التي ، بقدر ما تحدث ، تحدد الاسعار بنفقات الانتاج . ان مجمل حركة هذه الفوضى هو نظامها بالذات . وفي غمار هذه الفوضى الصناعية ، في غمار هذه الحركة الدائرة على نفسها ، تعوض المزامحة ، اذا جاز القول ، عن تطرف بتطرف آخر

وهكذا لرى ان سعر بضاعة ما يتحدد بنفقات انتاجها بصورة نجد معها ان الفترات التي يرتفع فيها سعر هذه البضاعة فوق نفقات انتاجها تعوضها الفترات التي يهبط فيها دون نفقات الانتاج ، والعكس بالعكس . وطبيعي ان هذا القول لا يصح على كل من المنتجات بمفرده ، انما يصح فقط على عموم الفرع الصناعي . وبالتالي فان هذا القول لا يصح ايضا على صناعي بمفرده ، بل يصح فقط على عموم طبقة الصناعيين .

ان تحديد السعر بنفقات الانتاج مماثل لتحديد السعر بوقت العمل الضروري لانتاج بضاعة ما ، لان نفقات الانتاج تتألف ، اولاً ، من المواد الاولية واستهلاك الادوات ، اي من منتجات صناعية كلف انتاجها قدراً معيناً من ايام العمل ، وتمثل بالتالي قدراً معيناً من وقت العمل ، وثانياً ، من العمل المباشر الذي يقاس ايضا بالوقت .

وهذه القوانين العامة عينها التي تتحكم عامة بسعر البضائع ، تتحكم ايضا طبعاً بالاجرة ، بسعر العمل .

ان اجرة العمل سترتفع تارة ، وتنخفض طورا ، تبعاً للنسبة بين العرض والطلب ، تبعاً لحالة الموازنة بين قاري قوة العمل ،

الراسمالين ، وباعة قوة العمل ، العمال . وتقلبات اسعار البضائع
بعامه اما تطابقها تقلبات الاجور . ولكن في حدود هذه التقلبات ،
يتحدد سعر العمل بنفقات الانتاج ، بوقت العمل الضروري لانتاج
هذه البضاعة التي هي قوة العمل .

ولكن اية هي نفقات انتاج قوة العمل ؟
انها النفقات الضرورية لابقاء العامل بوصفه عاملا ولجعله
عاملا .

ولهذا ، كلما قل ما يتطلبه عمل معين من الوقت لاجل
التدريب المهني ، قلت نفقات انتاج العامل ، وذهب سعر عمله ،
ومعطت اجوره ففي الفروع الصناعية التي تكاد لا تتطلب اي
تدريب مهني ، والتي يكفي فيها مجرد وجود العامل ماديا ، تكاد
نفقات الانتاج الضرورية له تقتصر بوجه الحصر على البضائع
الضرورية لعاشته ولحفظ قدرته على العمل . ولهذا يتحدد سعر
عمله في هذه الحال بسعر الوسائل الضرورية للعيش .

بيد ان اعتاراً آخر ينضم الى هذا الاعتبار .

فان الصناعي الذي يحسب نفقات انتاجه وعلى اساسها سعر
المنتجات ، يدخل في حساباته استهلاك ادوات العمل . فاذا كلفته
آلة ما ١٠٠٠ مارك ، مثلاً ، واذا كان سيستهلكها في عشر سنوات ،
فانه يضيف كل سنة ١٠٠ مارك الى سعر البضاعة لكي يتمكن
من الاستعاضة بعد عشر سنوات من الآلة البالية بآلة جديدة
وعلى النحو نفسه ، ينبغي ان تشمل نفقات انتاج قوة العمل
البسيطة على نفقات التناسل الذي يتمكن جنس العمال بواسطته
من التكاثر ومن احلال العمال الجدد محل العمال المستهلكين
وهكذا يؤخذ استهلاك العمال في الحساب فانه شأن استهلاك
الآلة .

ان نفقات انتاج قوة العمل البسيطة تتألف اذن من نفقات معيشة وتناسل العامل . وسعر نفقات المعيشة والتناسل هذه تشكل الاجرة . والاجرة المحددة على هذا النحو تسمى الحد الأدنى للاجرة . وهذا الحد الأدنى للاجرة ، شأنه شأن تحديد سعر البضائع بنفقات الانتاج على وجه العموم ، انما يصح على الجنس ، لا على الأفراد بمفرده . فهناك عمال ، ملايين العمال لا يحصلون على ما يكفي للمعيشة والتناسل ؛ ولكن اجور الطبقة العاملة بأسرها

تساوي هذا الحد الأدنى ، ضمن حدود تقلباتها . والآن ، وقد اوضحنا أهم القوانين التي تحدد الاجرة وكذلك سعر اية بضاعة اخرى ، نستطيع ان نتعمق اكثر في موضوعنا . يتألف الرأسمال من مواد لولية وادوات عمل ووسائل معيشة مختلفة ، تستخدم لانتاج مواد لولية جديدة وادوات عمل جديدة ووسائل معيشة جديدة . وكل هذه الاجزاء التي تؤلف الرأسمال انما هي من مستنبطات العمل ، من منتجات العمل ، من العمل المكثف . فالعمل المكثف الذي يتخذ وسيلة لانتاج جديد ، هو رأسمال . هكذا يقول الاقتصاديون

من هو الرقيق الزنجي ؟ انسان من العرق الاسود ان قيمة هذا التفسير تعادل حقا قيمة التفسير السابق

الزنجي هو زنجي . ولا يصبح زنجيا الا في ظروف معينة وآلة غزل القطن هي آلة لغزل القطن ولا تصبح رأسمالا الا في ظروف معينة . وبدون هذه الظروف ، لا تكون رأسمالا ، شأنها شأن الذهب الذي ليس بهد ذاته عملة ، او السكر الذي ليس هو بسعر السكر .

في الانتاج ، لا يؤثر الناس في الطبيعة فقط ، بل يؤثر بعضهم في البعض الآخر ايضاً ، فهم لا ينتجون الا بالتعاون فيما بينهم على شكل معين ، من اجل النشاط المشترك وتبادل النشاط فيما بينهم ومن اجل ان ينتجوا ، يدخل بعضهم مع بعض في صلات وعلاقات معينة ، ولا يتم تأثيرهم في الطبيعة ، اي لا يتم الانتاج ، الا في حدود هذه الصلات والعلاقات الاجتماعية .

وبما لطابع وسائل الانتاج ، يختلف بالطبع هذه العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين المنتجين ، والاحوال التي فيها يتبادلون النشاط ويشتركون في مجمل الانتاج فان اكتشاف آلة حربية جديدة هي السلاح الناري ، قد ادى بالضرورة الى تعديل كل التنظيم الداخلي للجيش ؛ وتغيرت العلاقات التي يولف معها الافراد جيشاً ويستطيعون فيها العمل بوصفهم جيشاً ، كما تغيرت ايضا ملاقات مختلف الجيوش فيما بينها

وبالتالي ، ان العلاقات الاجتماعية التي ينتج الافراد بموجبها ، اي علاقات الانتاج الاجتماعية ، تتغير وتتحول مع تغير وسائل الانتاج المادية وتطورها ، مع تغير القوى المنتجة وتطورها . وعلاقات الانتاج تشكل بمجموعها ما يسمى العلاقات الاجتماعية ، المجتمع ، تشكل مجتمعاً في مرحلة معينة من التطور التاريخي ، مجتمعاً مميزاً ، معيناً . فان المجتمع القديم ، والمجتمع الاندلسي ، والمجتمع البرجوازي هي مجموعات من علاقات الانتاج ، كل مجموعة منها تتميز في الوقت نفسه مرحلة خاصة من مراحل تطور الانسانية التاريخي .

والراسمال يمثل ايضاً علاقات انتاج اجتماعية ، هي عبارة من علاقات الانتاج برجوازية اي علاقات انتاج المجتمع البرجوازي . فان وسائل المعيشة وادوات العمل والمواد الاولية التي يتألف

منها الراسمال ، ألم تنتج وتكدس في احوال اجتماعية معينة ، ووفقا لعلاقات اجتماعية معينة ؟ ألا تستخدم لانتاج جديد في احوال اجتماعية معينة ، وفي اطار علاقات اجتماعية معينة ؟ اوليس هذا الطابع الاجتماعي المعين هو الذي يحول المنتجات التي تستخدم للانتاج الجديد الى رأسمال ؟

ان الراسمال لا يتألف فقط من وسائل المعيشة وادوات العمل والمواد الأولية ، لا يتألف فقط من المنتجات المادية ؛ انما يتألف ايضا من القيم التبادلية . فجميع المنتجات التي يتألف منها هي بضائع . فليس الراسمال اذن مجرد مجموعة من المنتجات المادية ، انما هو ايضا مجموعة من البضائع ، من القيم التبادلية ، من المقادير الاجتماعية .

ان الراسمال يبقى هو نفسه ، سواء استبدلنا القطن بالصوف ، والرز بالقمح ، والسفن البخارية بالسكك الحديدية ، شرط ان يكون للقطن ، للرز ، للسفن البخارية - جسد الراسمال - القيمة التبادلية نفسها ، السعر نفسه الذي للصوف والقمح والسكك الحديدية التي كان مجسداً فيها سابقا . ان جسد الراسمال قد يتغير على الدوام دون ان يطرا على الراسمال اي تغير .

ولكن اذا كان كل راسمال عبارة عن مجموعة من البضائع اي من القيم التبادلية ، فان كل مجموعة من البضائع ، من القيم التبادلية ليست رأسمالا

ان كل مجموعة من القيم التبادلية هي قيمة تبادلية . وكل قيمة تبادلية هي مجموعة من القيم التبادلية . مثلاً ، ان بيتا يساوي ١٠٠٠ مارك هو قيمة تبادلية قدرها ١٠٠٠ مارك وصفيحة من ورق تساوي بفينينغا هي مجموعة من القيم التبادلية قدرها ١٠٠/١٠٠ من البفينينغ . ان المنتجات التي يمكن مبادلتها

بمنتجات أخرى هي بضائع ، والنسبة المعينة التي تجري بموجبها مبادلة هذه المنتجات تشكل قيمتها التبادلية ، أو ، بالتعبير النقدي ، سعرها . وإن حجم هذه المنتجات لا يمكن أن يعبر شيئاً في كونها بضاعة أو كونها قيمة تبادلية أو كونها ذات سعر محدد . وسواء أكانت الشجرة كبيرة أم صغيرة ، فإنها تبقى شجرة وسواء بادلتنا الحديد أرطالا أو أطنانا بمنتجات أخرى ، فهل يغير هذا في طابعه ، في كونه بضاعة ، قيمة تبادلية ؟ إن الحديد ، بوصفه بضاعة ، تتفاوت قيمته ويتباين سعره تبعاً لكميته . ولكن كيف تصبح كمية معينة من البضائع ، من القيم التبادلية ، رأسمالاً ؟

إنها تصبح رأسمالاً بسبب أنها ، بوصفها قوة اجتماعية مستقلة ، أي بوصفها قوة تابعة للقسم من المجتمع ، تبقى وتنمو عن طريق مبادلتها بقوة العمل المباشرة ، الحية . إن وجود طبقة لا تملك غير قدرتها على العمل هو شرط ضروري للراسمال . إن سيطرة العمل المكس ، الماضي ، المتجسد ، على العمل المباشر ، الحي ، هي وحدها التي تحول العمل المكس إلى رأسمال

إن جوهر الرأسمال ، ليس في كون العمل المكس وسيلة للعمل الحي من أجل تحقيق إنتاج جديد ، بل في كون العمل الحي وسيلة لحفظ قيمة العمل المكس التبادلية ولزيادتها .

ماذا يجري عند التبادل بين الرأسمالي والاجر ؟

يتلقى العامل وسائل معيشة مقابل قوة عمله ، ولكن الرأسمالي يحصل مقابل ما قدمه من وسائل المعيشة ، على العمل ، على نشاط العامل المنتج ، على القوة الخلاقة التي بواسطتها لا يرد العامل ما استهلكه وحسب ، بل يعطي أيضاً العمل المكس قيمة أكبر من قيمته السابقة . إن العامل يتلقى من الرأسمالي قمماً من

وسائل المعيشة الموجودة . لاي غرض تفيده وسائل المعيشة هذه ؟ لاستهلاكه المباشر . ولكني ما ان استهلك وسائل المعيشة ، حتى تضيق الى الابد بالنسبة اليّ ، الا اذا استخدمت الوقت الذي تؤمن فيه هذه الوسائل وجودي ، لكي انتج وسائل جديدة للمعيشة ، لكي اخلق بعلمي ، خلال هذا الوقت ، قيما جديدة عوضاً عن القيم التي ازلتها باستهلاكها . ولكن اليست بالضبط هذه القوة الخلاقة النبيلة هي التي يتنازل عنها العامل للراسمال مقابل وسائل المعيشة التي يتلقاها ؟ فهي ، بالتالي ، تصبح مفقودة بالنسبة له .

لناخذ مثلاً مزارع يعطي عامله المياوم ٥٠ بفينينغاً في اليوم ومقابل هذه البفينينغات الخمسين ، يشتغل هذا العامل كل النهار في حقول المزارع ويؤمن له على هذا النحو دخلاً قدره مائة بفينينغ . وهكذا لا يسترد المزارع فقط القيم التي يترتب عليه التنازل عنها للعامل المياوم ، بل يضاعفها ايضاً . فقد استخدم اذن ، استهلك ، بصورة مشمرة ، منتجة ، البفينينغات الخمسين التي اعطاها العامل المياوم ؛ فقد اشترى بهذه البفينينغات الخمسين عمل وقوة العامل المياوم اللذين يستنبطان منتجات زراعية ذات قيمة مضاعفة ، ويحولان البفينينغات الخمسين الى مائة بفينينغ . اما العامل المياوم ، فانه يتلقى مقابل قوته المنتجة التي تنازل عن مفاعيلها للمزارع ، ٥٠ بفينينغاً يبادلها بوسائل معيشة يستهلكها على اشكال مختلفة من السرعة او البطء . وهكذا ، استهلكت البفينينغات الخمسون بصورة مزدوجة بصورة منتجة بالنسبة للراسمال ، اذ بودلت بقوة عمل* درت مائة بفينينغ ، وبصورة

* ان اصطلاح «قوة العمل» هنا لم يدخله انجلس بل كان موجوداً في النص الاصل الذي نشره ماركس في جريدة «نويه راينيشه زايتونغ» .
للتأخر .

غير منتجة بالنسبة للعامل ، اذ بودلت بوسائل معيشة زالت الى الابد ولا يمكنه ان يعيد قيمتها من جديد الا اذا كرر التبادل نفسه مع المزارع . فالرأسمال يفترض اذن العمل المأجور ، والعمل المأجور يفترض الرأسمال ، فكل منهما شرط الآخر ، كل منهما يخلق الآخر .

العامل في معمل للمنسوجات القطنية ، انراه لا ينتج الا المنسوجات القطنية ؟ كلا ، انه ينتج رأسمالاً ايضاً انه ينتج قيماً تستغل بدورها للسيطرة على عمله ولكي تخلق بعمله هذا قيماً جديدة

ان الرأسمال لا يمكن له ان يتكاثر الا اذا بودل بقوة العمل ، الا اذا خلق العمل المأجور . ان قوة عمل العامل المأجور لا يمكن مبادلتها بالرأسمال ، الا اذا كانت تزيد الرأسمال ، وتعزز بالاضبط تلك السيطرة التي تستعبد بها . وهكذا فان تكاثر الرأسمال هو بالتالي تكاثر البروليتاريا ، أي الطبقة العاملة .

ولذا ، فان مصلحة الرأسمالي والعامل واحدة - هكذا يزعم البرجوازيون واقتصاديوهم . فعلاً ! ان العامل يهلك اذا لم يشغله الرأسمال . والرأسمال يزول اذا لم يستثمر قوة العمل ، ولكي يستثمرها ، لا بد له ان يشتريها . ويقدر ما يسرع ويتكاثر الرأسمال المعد للإنتاج ، الرأسمال المنتج ، ويقدر ما تزدهر الصناعة بالتالي ، وتفتحي البرجوازية ، وتحسن الاحوال ، يقدر ما يحتاج الرأسمالي الى مزيد من العمال ، ويبيع العامل نفسه بمزيد من الاجرة .

فالشرط الضروري الذي لا غنى عنه لكي يكون العامل في وضع مقبول ، انها هو اذن نمو الرأسمال المنتج نمواً سريعاً قدر الامكان .

ولكن ما يعني نمو الرأسمال المنتج ؟ انه يعني نمو سيطرة العمل المكثف على العمل الحي ، انه يعني نمو سيطرة البرجوازية على الطبقة العاملة . فحين ينتج العمل المأجور ثروة الآخرين التي تسيطر عليه ، القوة التي تعاديه ، الرأسمال ، فان وسائل تشغيله [Beschäftigungsmittel] اي وسائل معيشته ، تعود من الرأسمال اليه ، فربط ان يصبح ، من جديد ، قسماً من الرأسمال ، المحرك الذي يبث في الرأسمال من جديد حركة نمو متسارع

ان الادعاء بان مصالح الرأسمال ومصالح العمال واحدة لا يعني في الحقيقة الا ان الرأسمال والعمل المأجور هما طرفا علاقة واحدة يشترط فيها احدهما الآخر كما يشترط المرابي والمبدد احدهما الآخر .

فما دام العامل المأجور عاملاً مأجوراً ، ظل مصره رهناً بالرأسمال . تلك هي وحدة مصالح العامل والرأسمالي المزعومة .

فحين ينمو الرأسمال ، يتضخم حجم العمل المأجور ، ويزداد عدد العمال المأجورين ، اي بكلمة ، تمتد سيطرة الرأسمال وتشمل عدداً اكبر من الافراد ولنفترض احسن الاحوال حين ينمو الرأسمال المنتج ، يزداد الطلب على العمل ، وبالتالي يتصاعد سعر العمل ، الاجرة .

مهما يكن البيت ، اي بيت ، صغيراً ، فهو يلبي كل ما يتطلب اجتماعياً من البيت ، ما دامت البيوت المجاورة صغيرة ايضاً . ولكن ما ان يرتفع قصر منيف الى جانب البيت الصغير ، حتى ينحط البيت الصغير الى مرتبة كوخ حقير . واذا ذلك يفقد البيت الصغير الدليل على ان صاحبه لا يمكن له ان يكون متطلباً ، او انه لا يمكن ان يكون له غير متطلبات متواضعة جداً . ويمكن

للبيت الصغير ان يكبر قدر ما يشاء في مجرى تطور الحضارة ، ولكن ، اذا كبر القصر المجاور بالسرعة نفسها او بمقاييس اكبر ، فان ساكن البيت الصغير نسبيا سيحس بتزايد عمره ، بتعاطف استيائه ، بالضيق بين جدران بيته الاربعة

ان زيادة الاجره زيادة محسوسة لحد ما تفترض نموا سريعا في الرأسمال المنتج والنمو السريع في الرأسمال المنتج يفضي الى نمو الثروة ، والترف ، والحاجات والممرات الاجتماعية بالسرعة نفسها وهكذا ، ان تكن الممرات في متناول العامل قد ازدادت ، الا ان الازدياد الاجتماعي الذي تبعه في نفسه قد خف ، بالقياس الى تزايد ممرات الرأسمالي التي ليست في متناول العامل ، وبالقياس الى مستوى تطور المجتمع بوجه عام فان حاجتنا وممراتنا انما تنبع من المجتمع ، ونحن لا نقيسها بالافراض التي تليها بل نقيسها بمقاييس اجتماعية . فحاجتنا وممراتنا تنسم بطابع اجتماعي ولذا فانها نسبية

والاجرة لا تحددها فقط على وجه العموم كمية البضائع التي تستطيع الحصول عليها بالمقابل انما تنطوي على فتي العلاقات

اولا ، ان ما يتلقاه العامل مقابل قوة عمله ، انما هو مبلغ معين من النقد ترى ، هل ان الاجرة لا يحددها الا هذا السعر نقدا ؟

في القرن السادس عشر ، ازداد لمتداول من الذهب والفضة في اوربوا اثر اكتشاف مناجم في اميركا الغني واسهل للاستثمار ومن جراء ذلك ، هبطت قيمة الذهب والفضة بالقياس الى سائر البضائع . واستمر العمال يتقاضون القدر نفسه من الفضة النقدية مقابل قوة عملهم . لقد ظل سعر عملهم نقدا كما كان عليه ،

ولكن اجرهم هبطت رغم ذلك اذ امسوا يتلقون مقداراً اقل من البضائع الاخرى مقابل الكمية نفسها من الفضة . وكان هذا من العوامل التي يسّرت تنامي الرأسمال ونهوض البرجوازية في القرن السادس عشر

لناخذ حالة اخرى . في شتاء ١٨٤٧ ، ازدادت اسعار اهم وسائل المعيشة ، الخبز واللحم والزبدة والجبنه وغيرها ، زيادة كبيرة ، بسبب من سوء الموسم . لنفترض ان العمال ظلوا يتقاضون المبلغ نفسه من النقد مقابل قوة عملهم . لم تنخفض اجرهم في هذه الحال ؟ اجل . فمقابل المبلغ نفسه من النقد ، امسوا يتلقون قدرأ اقل من الخبز واللحم ، الخ . . . ولقد هبطت اجرهم ، لا لأن قيمة الفضة قد هبطت ، بل لأن قيمة وسائل المعيشة قد ازدادت . لنفترض اخيراً ان سعر العمل نقداً ظل على حاله دون تغير ، بينما هبطت اسعار جميع المنتجات الزراعية والسلع الصناعية بسبب من استخدام آلات جديدة ، وموسم اوفر ، الخ . . . فمقابل المبلغ نفسه من النقد ، اصبح بإمكان العمال ان يشتروا قدرأ اكبر من شئ البضائع وهكذا ازدادت اجرهم ، لأن قيمتها نقداً لم تنفجر

وعليه فان سعر العمل نقداً ، اي الاجرة الاسمية ، لا ينطبق على الاجرة الفعلية ، اي على مقدار البضائع الذي يُعطى فعلاً مقابل الاجرة . فحين نتحدث عن ارتفاع الاجرة او هبوطها ، يجب علينا بالتالي الا نأخذ بعين الاعتبار مجرد سعر العمل نقداً ، مجرد الاجرة الاسمية فقط .

ولكن لا الاجرة الاسمية ، اي مبلغ النقد الذي يبيع العامل نفسه مقابلته من الرأسمالي ، ولا الاجرة الفعلية ، اي مقدار البضائع الذي يستطيع شراؤه بهذا المبلغ النقدي ، يستنفدان العلاقات التي تنطوي عليها الاجرة .

فالاجرة انما تحددها ايضا بالدرجة الاولى نسبتها مع كسب الراسمالي ، مع ربح الراسمالي ، وبهذا المعنى تسمى الاجرة المقارنة ، النسبية .

ان الاجرة الفعلية تعبر عن سعر العمل بالنسبة لسعر سائر البضائع ، بينا الاجرة النسبية تعبر عن حصة العمل المباشر في القيمة الجديدة التي خلقها بالنسبة للحصة التي تعود منها الى العمل المكتمل اي الراسمال .

قلنا اعلاه في الصفحة ١٤ • واللاجرة ليست اذن حصة العامل في البضاعة التي انتجها ان الاجرة هي قسم من بضاعة موجودة سلفا يشتري به الراسمالي كمية معينة من قوة عمل منتجة • . ولكن هذه الاجرة انما ينبغي ان يستردها الراسمالي من جديد من الثمن الذي يبيع به المنتج الذي صنعه العامل ، ينبغي ان يستردها بصورة يبقى له معها ايضا بوجه عام فائض من نفقات الانتاج التي قدمها ، ربح • ان سعر مبيع البضاعة التي ينتجها العامل ينقسم بالنسبة للرأسمالي الى ثلاثة اقسام : القسم الاول ، بدل من المواد الأولية التي قدمها وكذلك بدل استهلاك الآلات والادوات وسائر وسائل العمل التي قدمها ؛ القسم الثاني ، بدل الاجرة التي قدمها ؛ القسم الثالث ، الفائض ، ربح الراسمالي فبينما القسم الاول ليس الا بدلا للقيم كانت موجودة في السابق ، فمن الواضح ان بدل الاجرة وكذلك الفائض - ربح الراسمالي يؤخذان بكليتهما من القيمة الجديدة التي اوجدها عمل العامل وازيغت الى قيمة المواد الأولية . وبهذا المعنى نستطيع ان نعتبر الاجرة والربح على السواء ، حين نقارنهما معا ، حصتين من منتج العامل

* راجع الصفحة ١١٥ من هذا المجلد . انقضى .

وحق إذا ظلت الاجرة الفعلية كما هي عليه ، بل حتى اذا ازدادت ، فان الاجرة النسبية قد تهبط . لنفترض مثلاً ان جميع وسائل المعيشة قد هبطت اسعارها مقدار الثلثين ، بينما لم تهبط الاجرة اليومية الا مقدار الثلث ، اي انها هبطت مثلاً من ٣ ماركات الى ماركين . فمع ان العامل يستطيع الآن ان يشتري بالماركين كمية من البضائع اكبر مما كان يشتريه بالماركات الثلاثة ، فان أجرته قد هبطت مع ذلك بالنسبة لربح الرأسمالي . فان ربح الرأسمالي (الصناعي مثلاً) قد ازداد مقدار مارك واحد ، اي انه ينبغي على العامل ان ينتج كمية اكبر مما مضى من القيم التبادلية ، لقاء كمية اقل من القيم التبادلية التي يدفعها له الرأسمالي وهكذا ازدادت حصة الرأسمال بالنسبة لحصة العمل واشتد التفاوت ايضاً وايضاً في توزيع الثروة الاجتماعية بين الرأسمال والعمل . ان الرأسمالي يسيطر بالقدر نفسه من الرأسمال على قدر اكبر من العمل . وقد تعاضمت سيطرة الطبقة الرأسمالية على الطبقة العاملة ، وتردى وضع العامل الاجتماعي وهبط درجة اخرى بالنسبة لوضع الرأسمالي

فما هو إذن القانون العام الذي يحدد هبوط وارتفاع الاجرة والربح في علاقاتها المتبادلة ؟

ان علاقاتها متعكسة . فان حصة الرأسمال ، الربح ، ترتفع بقدر ما تهبط حصة العمل ، الاجرة اليومية ، والعكس بالعكس . ان الربح يرتفع بقدر ما تهبط الاجرة ، ويهبط بقدر ما ترتفع الاجرة .

قد يعترض معترض ويقول ان الرأسمالي يستطيع الحصول على ربح من مبادلة منتجه مبادلة رابحة مع رأسماليين آخرين ، او من تزايد الطلب على بضاعته من جراء افتتاح اسواق جديدة ،

او ايضا من الزدياد الحاجات مولتا في الاسواق القديمة ، الخ . ؛
وان ربح الراسمالي يمكن له اذن ان يزداد على حساب راسماليين
آخرين ، بصرف النظر من ارتفاع الاجرة او هبوطها ، بصرف
النظر من القيمة التبادلية لقوة العمل ؛ او ان ربح الراسمالي يمكن
له ايضا ان يزداد من جراء تحسين ادوات العمل وتطبيق اساليب
جديدة في استخدام قوى الطبيعة ، الخ . .

ينبغي الاقرار بادى الامر ان النتيجة تظل واحدة كما هي
رغم التوصل اليها بالطريق المعاكس . والحقيقة ان الربح قد ازداد
لا لأن الاجرة قد هبطت ، ولكن الاجرة هبطت لأن الربح قد ازداد .
فان الراسمالي قد اشترى بالقدر نفسه من عمل الغير قدراً اكبر
من القيم التبادلية دون ان يدفع ثمننا ارفع للعمل ؛ اي ، بالتالي ،
ان ثمن العمل هبط بالنسبة للربح الصافي الذي يدره للرأسمالي .
وفضلاً من ذلك ، لنذكر بان متوسط سعر كل بضاعة او
النسبة التي تبادل بموجبها مقابل بضائع اخرى ، اما تحده
نقلات إنتاج هذه البضاعة ، رغم تقلبات اسعار البضائع . ولذا
تتعادل بالضرورة الخداعات المتبادلة في داخل الطبقة الراسمالية .
وتحسين الآلات وتطبيق اساليب جديدة في استخدام قوى الطبيعة
في الإنتاج ، يتيحان ، في وقت معين من العمل ، وبالقدر نفسه من
العمل والراسمال ، خلق قدر اكبر من المنتجات ، ولكنهما لا
يخلقان اطلاقاً قدراً اكبر من القيم التبادلية . فاذا كنت تستطيع ،
بفضل استخدام المفلز الآلي ، ان اسلم في مدى ساعة قدراً من
الخيطان يزيد ١٠٠ بالمئة عما قبل اختراع المفلز الآلي ، مثلاً
١٠ رطل بدلاً من ٥٠ ، فاني لا اتلقى ، بصورة وسطية وخلال
فترة طويلة نسبياً ، مقابل الـ ١٠٠ رطل قدراً من البضائع يزيد عما

كنت املقاه مقابل ٥٠ رطلا ، لان نفقات الانتاج قد هبطت ٥٠ بالمئة او لأنى استطيع ان اسلم بالنفقات نفسها ضعف الانتاج اخيراً ، مهما كانت النسبة التي تتقاسم بموجبها طبقة الراسمالين ، البرجوازية ، الربح الصافي من الانتاج ، اما في بلد ، واما في السوق العالمية بكليتها ، فان المبلغ الاجمالي لهذا الربح الصافي ليس ، على كل حال ، سوى المبلغ الذي اضافته العمل المبائر ، بالاجمال ، الى العمل المكدر . وهكذا ، فان هذا المبلغ الاجمالي يزداد تبعاً للنسبة التي يوزد بها العمل' الراسمال ، اي تبعاً للنسبة التي يزداد بموجبها الربح بالمقارنة مع الاجرة وهكذا نرى ، حتى اذا بقينا داخل حدود الطلاطات بين الراسمال والعمل المتجور ، لن مصالح الراسمال ومصالح العمل المتجور متضادة تماماً .

ان نمواً سريعاً في الراسمال يوازي نمواً سريعاً في الربح والربح لا يمكنه ان ينمو بسرعة الا اذا هبط سعر العمل ، الاجرة النسبية ، بالسرعة نفسها . ان الاجرة النسبية قد تهبط حتى ولو ارتفعت الاجرة الفعلية في الوقت نفسه مع الاجرة الاسمية ، ما قيمة العمل نقداً ، ولكن شرط الا ترتفع الاجرة الفعلية بنفسر النسبة التي يرتفع بها الربح فاذا ارتفعت الاجرة ٥ بالمئة في مراحل الانتعاش وارتفع الربح ٣٠ بالمئة ، فان الاجرة النسبية لا تزداد ، بل تهبط

وعليه اذا ازداد دخل العامل مع نمو الراسمال بسرعة فان الهوة الاجتماعية التي تفصل بين العامل والرسمالي تتسع في الوقت نفسه ، كما يتعاطم بالتالي سلطان الراسمال على العمل وتتفاقم تبعية العمل ازام الراسمال .

فالقول ان للعامل مصلحة في نمو الراسمال بسرعة ، انه

يعني في الواقع انه كلما زاد العامل بسرعة ثروة الآخرين ، كلما ازدادت الفئات التي يلتقطها من المائدة ؛ وكلما امكن تشغيل عدد اكبر من العمال وكلما امكن توليد عدد اكبر من العمال ، كلما امكن زيادة جيش الارقاء في تعبئة الرأسمال .

لقد لاحظنا ان

إن الطرف الأكثر ملائمة للطبقة العاملة ، فهو الرأسمال بأسرع ما يمكن ، لا يقضي على التناقض بين مصالح العمال ومصالح البرجوازيين ، مصالح الرأسماليين ، مهما كان التحسين الذي يدخله في حياة العامل المادية . فالربح والأجرة هما ، من بعد كما من قبل ، في علاقة متناسبة عكسا .

فحين ينمو الرأسمال بسرعة ، فان الأجرة قد تنمو ، ولكن ربح الرأسمالي ينمو بما لا يقاس من السرعة . ان حياة العامل المادية تتحسن ، ولكن على حساب وضعه الاجتماعي فالهوة الاجتماعية التي تفصله عن الرأسمالي تزداد اتساعا .

أخيراً

ان القول بان الطرف الانسب للعمل المأجور انما هو نمو الرأسمال المنتج بأسرع ما يمكن ، يعني في الواقع انه كلما زادت الطبقة العاملة وامت القوة المعادية لها ، ثروة الآخرين التي تسيطر على الطبقة العاملة ، كلما تحسنت الاحوال التي يسمح لها فيها من جديد بالعمل على زيادة الثروة البرجوازية ، على تعزيز سلطان الرأسمال ، راضية بان تصنع بنفسها السلاسل الذهبية التي تجرها بها البرجوازية في ذيلها .

فهو الرأسمال المنتج وزيادة الأجرة ، ترى ، هل هما حقاً وبقا الارباط لا تنفصم مراهما كما يزعم الاقتصاديون البرجوازيون ؟ ينبغي لنا الا نصدق مزاعمهم . بل انه لا يمكننا ان

لصدقهم بتاتا حين يقولون انه بقدر ما يسمن الراسمال ، بقدر ما يسمن عبده ان البرجوازية بالغة الفطنة والحكمة ، فهي تحسب وتجيد الحساب ولا تقلد السيد الاقطاعي في غروره ولواهامه اذ يتباهى بيريق لباس خدمه ان شروط حياة البرجوازية انما تكرهها على الحساب

ولذا لا بد ان ندرس هذا الامر عن كثب :

ما هو تأثير نمو الراسمال المنتج في الاجرة ؟

حين ينمو الراسمال المنتج للمجتمع البرجوازي بكمليته ، فذلك يعني انه حدث بالنتيجة تكدر عمل اعم . فالراسماليون يزدادون عددا والراسمال تزداد حجما وزيادة الراسمال تعزز المزاومة بين الراسماليين . وتنامي مقادير الراسمال يتيح سوق جيوش اقصى من العمال الى ميدان المعركة الصناعية ، مع اعتدة قتالية اقوى واكبر .

ان الراسمال لا يستطيع ازاحة الاخر والاستيلاء على راسماله الا اذا باع باسعار ارخص ، ولكي يستطيع ان يبيع باسعار ارخص دون ان يحل به الخراب ، عليه ان ينتج بكلفة اقل ، اي ان يزيد انتاجية العمل قدر الامكان . ولكن انتاجية العمل تزداد على الاخص من جراء زيادة تقسيم العمل ، من جراء اشاعة الآلات على نطاق اوسع فافوسع وتحسينها على الدوام فبقدر ما يزداد جيش العمال الذين يقسم العمل بينهم ، وتضاع الآلات على نطاق اوسع ، بقدر ما تنخفض نفقات الانتاج اسرع نسبيا ، ويفدو العمل اوامر مردودا . ولذا تقوم بين الراسماليين مباراة متنوعة المظاهر لزيادة تقسيم العمل واشاعة الآلات ولاستثمار هذين العنصرين على اكبر نطاق ممكن .

ولكن اذا استطاع رأسمالي ، بفضل تقسيم العمل على نطاق اوسع ، واستخدام الآلات الجديدة وتحسينها ، واستغلال قوى الطبيعة على وجه افيد وعلى نطاق اكبر ، اذا استطاع هذا الرأسمالي ان يصنع بالقدر نفسه من العمل او من العمل المكثف قدراً من المنتجات ، من البضائع . اكبر مما يصنعه مزاحموه ؛ اذا استطاع مثلاً ان ينتج متراً كاملاً من القماش في فترة معينة من الوقت بينما ينتج مزاحموه نصف متر من القماش نفسه في الفترة ذاتها ، لما يصاء ان يفعل ؟

انه يستطيع ان يبيع نصف المتر من القماش بالسعر السابق في السوق . ولكن تلك لن تكون الوسيلة لازاحة اخصامه وزيادة نصيبه . والحال ، بقدر ما يتسع انتاجه ، تتعاظم بالنسبة له الحاجة الى التصريف . والحقيقة ان وسائل الانتاج الاقوى والاغلى التي اوجدها تتيح له ان يبيع بضاعته باسعار ارخص ، ولكنها تكفه في الوقت نفسه على بيع مزيد من البضائع ، على الاستيلاء على سوق لبضائعه اكبر بما لا يقاس . وهكذا فان صاحبنا الرأسمالي هذا سيبيع نصف المتر من القماش بسعر ارخص مما يبيع مزاحموه .

ولكن هذا الرأسمالي لن يبيع المتر الكامل من القماش بنفس الثمن الذي يبيع به مزاحموه نصف المتر ، رغم ان انتاج المتر بكامله لا يكلفه اكثر مما يكلف مزاحميه انتاج نصف المتر . والا ، فانه لن يحصل على اي ربح زائد ولن يسترد بالمقابل الا نفقات انتاجه . فاذا ازداد دخله في هذه الحال ، فلانه وظف وحفل رأسمالا اكبر لا لكونه استحصل من رأسماله اكثر مما يستحصل الرأسماليون الآخرون . ثم انه يبلغ الهدف الذي ينشده لمجرد ان يبيع بضاعته بسعر يقل بعض الاجزاء من مائة جزء

من سعر مزاحميه وهكذا يزيحهم من السوق ، او ينتزع منهم على الاقل قسماً من تصريفهم ، اذ يبيع بأسعار أدنى من اسعارهم . واخيراً ، لنذكر ان السعر الجاري هو دائماً اكبر او اقل من نفقات الإنتاج ، حسبما يتم بيع البضاعة في فصل يلانم الصناعة او لا يلانمها . وحسبما يكون سعر متر القماش في السوق اكبر او اقل من نفقات انتاجه السابقة العادية ، فان الرأسمالي الذي استخدم وسائل انتاج جديدة افيد ، سيبيع بأسعار تزيد على نفقات انتاجه الفعلية بنسب مئوية مختلفة

ولكن امتياز صاحبنا الرأسمالي لا يدوم طويلاً ؛ فان الرأسماليين المنافسين الآخرين يستخدمون الآلات نفسها وتقسيم العمل نفسه ، وعلى النطاق نفسه او على نطاق اوسع ، وهذا التحسين ينتشر ويعم حتى يهبط ثمن القماش لا الى ما دون نفقات انتاجه السابقة وحسب ، بل ايضاً دون نفقات انتاجه الجديدة

وهكذا يجد الرأسماليون انفسهم بعضهم ازاء بعض ، في ذات الوضع الذي كانوا فيه قبل تطبيق وسائل الانتاج الجديدة ، واذا كانوا يستطيعون بهذه الوسائل ان يسلخوا ضعف الانتاج بالثمن السابق نفسه ، الا انهم مكرهون الآن على بيع ضعف انتاجهم بسعر أدنى من السعر السابق . واذا تبلغ نفقات الانتاج هذا المستوى الجديد ، تتجدد اللعبة : زيادة تقسيم العمل ، زيادة عدد الآلات ، اتساع نطاق استخدام تقسيم العمل ، والآلات . المزاحمة تفضي من جديد الى رد الفعل ذاته ضد هذه النتيجة

وهكذا نرى كيف يتغير على الدوام أسلوب الانتاج ووسائل الانتاج بشكل ثوري ؛ كيف يؤول تقسيم العمل بالضرورة الى تقسيم العمل على نطاق اوسع ، واستخدام الآلات الى استخدام

الات على نطاق اكبر ، والانتاج على نطاق ضخم الى الانتاج على نطاق الضخم .

ذلك هو القانون الذي يقذف على الدوام بالانتاج البرجوازي خارج طريقه السابقة ، ويكره الراسمال دائماً على ان يشدد ايضاً وايضاً قوى العمل المنتجة وذلك لانه قد فسددها من قبل ، القانون الذي لا يدع للرأسمال اي فرصة للراحة وما ينفك يهمل في اذه : الى الامام ! الى الامام !

وما هذا القانون الا القانون الذي يجعل بالضرورة سعر بضاعة ما مساوياً لنفقات انتاجها ، وذلك ضمن حدود تقلبات التجارة من فترة الى فترة .

ومهما بلغت وسائل الانتاج التي يضعها الراسمال في يد العمل ، من الضخامة والقوة ، فان المزاومة لا تلبث ان تعمم وسائل الانتاج هذه ، ومتى تعممت ، فان النتيجة الوحيدة للمردود الاكبر لراسماله هي انه يصبح مضطراً الآن ان يسلم ، لقاء الثمن لنفسه ، منتجات تزيد عشر مرات ، او عشرين ، او مئة مرة عما في السابق . ولكن ، بما انه ينبغي له ان يصرف الآن قدراً من المنتجات ربما يزيد الف مرة لكي يعوض بقدر اكبر من المنتجات المصرفة عن انخفاض سعر البيع ، وبما ان بيع مقادير اكبر من البضائع غداً الآن ضرورياً له لا من اجل مزيد من الكسب وحسب ، بل ايضاً من اجل استعادة نفقات الانتاج - اذ ان ادوات الانتاج نفسها ، كما سبق ورأينا ، يزداد سعرها اكثر فاكثراً - وبما ان هذا البيع بكميات كبيرة اصبح الآن مسألة حيوية لا بالنسبة لهذا الراسمال وحسب ، بل بالنسبة ايضاً لمنافسيه ، فان النضال السابق يشتد عنفاً بقدر ما تصبح وسائل الانتاج المخترعة اكثر فاعلية . وهكذا ما ينفك تقسيم العمل واستخدام الات يتطوران في نطاق اوسع بما لا حد له .

فهما تعاضمت اذن قوة وسائل الانتاج المستخدمة ، فان
المزاحمة تحاول ان تنتزع من الراسمال الثمار الذهبية الناجمة
عن هذه القوة بتخفيض سعر البضاعة الى مستوى نفقات انتاجها ،
جاعلة بالتالي من ترخيص الانتاج وتسليم مقادير اكبر فاكبر
من المنتجات مقابل مجموعة الاسعار السابقة ، قانونا الزاميا ،
وهذا بقدر ما تظهر امكانية الانتاج بنفقات اقل ، اي امكانية
انتاج قدر اكبر من المنتجات بواسطة القدر نفسه من العمل
وهكذا اذن لا يكسب الراسمالي ، بجهوده ، سوى واجب تقديم
مزيد من الانتاج في الوقت نفسه من العمل ، اي انه ، بكلمة ،
لا يكسب الا شروطا اصعب لزيادة قيمة راسماله وبما ان
المزاحمة تلاحق الراسمالي على الدوام بواسطة قانون نفقات
الانتاج ، وبما ان كل سلاح يشجده ضد اخصامه يعود ضده
بالدات ، فهو يحاول ابدأ ان يتغلب على المزاحمة بان يستعيز
بلا تولف من الآلات القديمة والطرائق القديمة لتقسيم العمل
بالآلات والطرائق الجديدة التي هي اكثر كلفة ولكنها ترخص
الانتاج ، ولا ينتظر حق جعل المزاحمة من هذه الآلات والطرائق
الجديدة آلات وطرائق قديمة ولي عهدا
فاذا تصورنا الآن هذه الحركة المحمومة في السوق العالمية
بأسرها ، ادر كنا كيف يؤدي نمو الراسمال وتكدسه وتمركزه
الى تقسيم العمل يجري بصورة لا انقطاع فيها ، بصورة يغير
فيها نفسه بنفسه ، وعلى نطاق يزداد اتساعا على الدوام ، والى
استخدام الآلات الجديدة وتحسين الآلات القديمة
ولكن كيف تؤثر هذه الظروف البلازمة لنمو الراسمال
المنتج ، في تحديد الاجرة ؟
ان تقسيم العمل على نطاق اكبر يتيح للعامل الواحد ان
يقوم بعمل ٥ عمال ، و ١٠ ، و ٢٠ ؛ فزيد المزاحمة اذن بين

العمال ٥ مرات ، و١٠ ، و٢٠ مرة . ان العمال لا يتزاحمون فقط بان يبيع بعضهم نفسه باسعار ارخص من البعض الآخر ؛ انما يتزاحمون ايضا لأن عاملاً واحداً يقوم بعمل ٥ عمال ، و١٠ ، و٢٠ وتقسيم العمل الذي ادخله الراسمال ولا يزال يوسعه على الدوام هو الذي يكره العمال على هذا النوع من المزاومة فيما بينهم .

ولفلا عن ذلك ، فان العمل يفتدو بسيطا بقدر ما يزداد تقسيم العمل . ولا يبقى لمهارة العامل الخاصة اية قيمة . فالعامل يتحول الى قوة منتجة بسيطة ، رتيبة ، الى قوة لا يتطلب منها اية كفاءة جسمية او فكرية ممتازة . ويفتدو عمله في مقدور الجميع ولذا يضغط المزاومون على العامل من كل الجهات ثم لنذكر بانه بقدر ما يكون العمل بسيطا وسهلا تعلمه ، وبقدر ما تقل نفقات الانتاج لاستيعابه ، بقدر ما تهبط الاجرة ، لأن الاجرة انما تحددها نفقات الانتاج ، شأنها شأن سعر اية بضاعة اخرى .

فلنقدر ما يصبح العمل ، اذن ، اقل ثلثة واشد تنظيماً ، بقدر ما تزداد المزاومة وتهبط الاجرة . فيسمى العامل الى الاحتفاف بمجمل اجرته وذلك بالعمل اكثر مما مضى ، اما بالعمل ساعات اكثر ، واما بانتاج قدر اكبر في الساعة نفسها . فهو اذن بدافع البؤس يزيد ايضا وايضا من مفاعيل تقسيم العمل المشؤومة والنتيجة هي انه كلما اشتغل اكثر ، كلما تقلصت اجرة اقل ، وذلك لمجرد انه ، بقدر ما يكثر عمله ، بقدر ما يراحم رفاهه في العمل ، ويجعل منهم مزاومين له يبيعون انفسهم بشروط سيئة كشرطه ، ولأنه ، في آخر المطاف ، يزاوم نفسه بنفسه ، يزاوم نفسه بوصفه عضواً من اعضاء الطبقة العاملة .

والآلات تحدث المفاعيل نفسها على نطاق اكبر ، اذ انها تستعيز عن العمال الماهرين بعمال غير ماهرين ، وعن الرجال بالنساء ، وعن الراشدين بالاحداث ، واذ انها ، لمجرد ظهورها ، تلقي العمال اليدويين بالجملة الى الشارع ، واذ انها ، في مجرى تطويرها وتحسينها واتقانها ، تطرد العمال فئات كاملة لقد رسمنا اعلاه لوحة عاجلة للحرب الصناعية بين الراسماليين ؛ ان هذه الحرب تتميز بميزة خاصة ، وهي ان المعارك فيها انها تكسب عن طريق تقليل جيش العمال اكثر مما تكسب عن طريق زيادته . فالقادة ، الراسماليون ، يتنافسون لمعرفة من يستطيع ان يصرح اكبر عدد من جنود الصناعة .

صحيح ان الاقتصاديين يزعمون ان العمال الذين تجعلهم الآلات في عداد الفائزين ، يجدون عملا في فروع صناعية جديدة . ولكنهم لا يجرؤون على التاكيد مباشرة ان هؤلاء العمال الذين سُرّحوا يجدون عملا في فروع عمل جديدة فالوقائع تصرخ عاليا ضد هذا الكذب وحقا نقول انهم يؤكدون فقط انه مستوافر وسائل شغل جديدة لاقسام اخرى من الطبقة العاملة ، مثلا ، لقسم الاجيال الفتية من العمال ، الذي كان على وشك ان يدخل في الفرع الصناعي المتلاشي . وذلك ، طبعا ، عزاء كبير ، كما يزعم ، للعمال المقلدوف بهم الى الشارع فلن يقدم السادة الراسماليون لحما ودما طازجين للاستثمار ، ودودع الموتى يدفنون موتاهم ، ذلك حقا عزاء يعزّي البرجوازيون انفسهم به اكثر مما هو عزاء للعمال فلو قضت الآلات على كل طبقة الاجراء ، فاية كارثة رهيبة تحل بالراسمال ، اذ انه ، بدون عمل مآجور ، يكف عن ان يكون راسمالا !

ولكن ، لنفترض ان العمال الذين طردتهم الآلات مباشرة

من العمل ، وكل قسم الجيل الجديد الذي كان على وشك ان يدخل هذا الفرع من العمل ، يجهون عملا جديدا . فهل يُظن انهم سيتقاضون من هذا العمل الجديد الاجرة نفسها التي كانوا يتقاضونها من العمل الذي فقدوه ؟ ان هذا الظن ليناقض كل القوانين الاقتصادية . ولقد رأينا كيف ان الصناعة المصرية تسمى دائما الى الاستعاضة عن العمل المعقد ، الاعلى ، بعمل ايسر ، ادنى .

فكيف تستطيع اذن فئة من العمال قذفت بها الآلات خارج فرع صناعي معين ، ان تجد ملجأ لها في فرع صناعي آخر الا اذا دُعي لها اجر اقل ، اسوأ ؟

لقد استشهد على سبيل الاستثناء بالعمال الذين يشتغلون في صنع الآلات بالذات . وقيل : طالما ان الصناعة تتطلب وتستهلك مزيدا من الآلات ، فلا بد للآلات بالضرورة ان ترداد عددا ، وان يزداد بالتالي صنع الآلات ، وكذلك اذن عدد العمال العاملين في صنع الآلات ، والعمال العاملون في هذا الفرع الصناعي هم عمال اخصائيون . وحتى متعلمون

ولكن هذا القول الذي كان قبل عام ١٨٤٠ نصف صحيح فقط ، قد فقد مد ذلك كل قيمة ، اذ ان الآلات قد استخدمت ، بصورة اعم فاعم ، في صنع الآلات كما في التاج الخيطان القطنية ، وان العمال العاملين في مصانع الآلات لم يبق بوسعهم ان يضطلعوا ، بجانب الآلات المتقنة الراقية ، الا بدور آلات بدائية للغاية . ولكن ، الا يشغل المصنع ، بدلا من الرجل الذي طرده الآلة ، ربما ثلاثة اطفال وامراة واحدا ، والحال ، ألم يكن من الواجب ان تكفي اجرة الرجل لاعانة ثلاثة اطفال والزوجة ؟ ألم يكن يجب ان يكفي الحد الأدنى من الاجرة لاعالة الجنس

وتناسله ؟ فما تعني اذن هذه الطريقة في التعبير التي يحبا
البرجوازيون ؟ انها لا تعني غير الامر التالي ان اربع حيانات
عمالية ، بدلا من حياة عمالية واحدة ، تفي الآن لكي تعمل
امرة عمالية واحدة

لنوجز : بقدر ما ينمو الراسمال المنتج ، بقدر ما يتسع
تقسيم العمل واستخدام الآلات . وبقدر ما يتسع تقسيم العمل
واستخدام الآلات ، بقدر ما تنتشر المزاخمة بين العمال ، وبقدر
ما تهبط اجورهم .

ونضيف ايضا ان الطبقة العاملة اما تنضم الى صفوفها
جماعات من فئات اعلى في المجتمع ، جماعات من صغار الصناعيين
وصغار اصحاب الريع ، ممن ليس عندهم مخرج آخر الا رفع
ايديهم الى جانب ايدي العمال وهكذا فان غابات الايدي التي
ترفع طلبا للعمل تتكاثف اكثر بينا الايدي ذاتها تزداد نحولا
وهوذا .

ويدهي تماما ان الصناعي الصغير لا يستطيع الصمود في
حرب من شروطها الاولى الانتاج على نطاق يتعاطم على الدوام ،
اي ان يكون الصناعي بالضبط صناعيا ضخما لا صناعيا صغيرا
وليس ثمة حاجة الى مزيد من الشرح ان فائدة الراسمال
تنخفض بقدر ما ينمو الراسمال ، بقدر ما يزداد حجمه وعدده ،
وانه لا يبقى بالتالي في وسع صاحب الريع الصغير ان يعيش من
ريعه ، فيضطر للجوء الى الصناعة ، اي انه ينضم الى صفوف
صغار الصناعيين ، وعلى هذا النحو ، يزيد عدد المرشحين
لانتقال الى صفوف البروليتاريا

واخيرا ، بقدر ما تكثر حركة التطور الموصوفة اعلاه
الراسماليين على استثمار وسائل الانتاج الجبارة القائمة واستغلالها

على نطاق متسع ابدأ ، وعلى تحريك جميع نواحي التسليف من اجل تحقيق هذا الغرض ، بقدر ما تزداد الزلازل الصناعية التي لا يحافظ العالم التجاري على نفسه فيها الا اذا ضحى على مذبح شياطين الجحيم بقسم من الثروة ومن المنتجات وحتى من القوى المنتجة - اي بقدر ما تزداد **الالزمات** وهذه الالزمات تتقارب اكثر فاكثر وتشتد عنفاً ، لان السوق العالمية ما تنفك تضيق بقدر ما ينمو مقدار المنتجات وتنمو بالتالي الحاجة الى اسواق موسعة ، ولأن الاسواق الجديدة التي يمكن استثمارها تقل يوماً بعد يوم ، اذ ان كل ازمة سابقة تفتح امام التجارة العالمية اسواقاً جديدة او اسواقاً لم تستثمرها التجارة حتى ذلك الا بصورة سطحية ولكن الراسمال لا يعيش من العمل وحسب . فهو كالسيد البربري من مالكي الارقاء يجتذب الى قلبه جثث ارقائه ، وهم جماهير العمال الذين يهلكون خلال الالزمات وهكذا نرى انه ، حين ينمو الراسمال بسرعة ، تنمو المزاخمة بين العمال بصورة اسرع بما لا حد له ، اي انه بقدر ما يسرع الراسمال في نموه ، بقدر ما تنخفض بمقادير اكبر نسبياً ابواب الرزق ، وسائل معيشة الطبقة العاملة ؛ ومع ذلك فان نمو الراسمال بسرعة هو الشرط الانسب للعمل المأجور .

كتبه ماركس على اساس المحاضرات التي يصدر حسب نص الكراس القاما في النصف الثاني من كانون الاول تمت الترجمة نقلاً عن الالمانية (ديسمبر) عام ١٨٤٧

نشر في "Neue Rheinische Zeitung"

الاعداد ٢٦٤ -

٢٦٧ و ٢٦٩ ؛ ٥ - ٨ و ١١ ليسان

(ابريل) ١٨٤٩ وبكراس خاص مع مقدمة

الجلس وبتحريره ، في برلين عام ١٨٩١

ماركس

الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت (٢٩)

مقدمة لبروميرك المجلس للجنة الألمانية الثالثة عام ١٨٨٥

ان نشوء الحاجة الى اصدار طبعة جديدة من والثامن عشر من برومير ، بعد ثلاث وثلاثين سنة من صدوره لأول مرة ، ليثبت ان هذا المؤلف لم يفقد شيئا من قيمته حتى في ايامنا هذه . لقد كان في الحق عملا عبقريا فقد طلع علينا ماركس مباشرة بعد الحادث الذي داهم عالم السياسة كله كانه صاعقة انقضت من السماء الصافية ، الحادث الذي لعنه البعض بصرخات عالية من الاستهجان الخلقي ، وتقبله الآخرون باعتباره خلاصا من الثورة وعقابا على اخطائها ، الحادث الذي لم يثر الا دهشة الجميع والذي لم يفهمه احد - بعد هذا الحادث مباشرة طلع علينا ماركس بعرض موجز ساخر لاذع بسط فيه كامل مجرى التاريخ الفرنسي منذ ايام قباط (فراير) ، بما في هذا المجرى من علاقات داخلية ، ورد فيه معجزة الثاني من كالون الاول (ديسمبر) (٤٠) الى كونها نتيجة طبيعية وضرورية لهذه العلاقات وهو اذ فعل ذلك لم يكن في حاجة لان يعامل بطل الانقلاب بغير الاحتقار الذي استحقه تماما . وقد رسم ماركس هذه الصورة بيد ماهرة بحيث ان كل فضح جديد جاء فيما بعد لم يفعل غير ان اورد براهين جديدة على مدى الدقة التي كانت الصورة تعكس بها

الحقيقة . ان هذا الفهم الممتاز للتاريخ الحي المعاصر وهذا التقدير الواضح لمغزى الاحداث في لحظة وقوعها هما حقاً مما لا نظير له . ولكن من اجل ذلك كان الامر يقتضي سعة معرفة بالتاريخ الفرنسي كالتي كانت لدى ماركس . ان فرنسا هي البلد الذي كان الصراع الطبقي التاريخي يصل فيه كل مرة ، واكثر مما في اي بلد آخر ، الى نهاية فاصنة ، وهي بالتالي البلد الذي كانت فيه الاشكال السياسية المتغيرة التي يتحرك ضمنها هذا النضال الطبقي ، والتي تتلخص فيها نتائجها ، تنطبع في خطوط جلية الى أقصى حد ان فرنسا التي كانت ، منذ عهد النهضة (١٤١) ، مركز الاقطاع في العصور الوسطى والقطر النموذجي للحكم الملكي الاقطاعي الموحد قد قامت بهدم الاقطاع في الثورة الكبرى والحامت حكم البرجوازية الصرف في نقاء كلاسيكي ليس هناك ما يضارعه في اي قطر اوروبي آخر . كما ان كفاح البروليتاريا الصاعدة ضد البرجوازية الحاكمة ظهر هنا في صورة حادة لا تضاهيها في اي مكان آخر وهذا هو السبب الذي حدا بماركس لا الى دراسة تاريخ فرنسا الماضي بشغف خاص فحسب بل الى تتبع تاريخها الحالي بكل تفاصيله ايضا ، وإلى جميع المادة لاستعمالها في المستقبل ، ولذلك ، لم تكن الاحداث جاذبة على الاطلاق .

ثم الى هناك ، فضلا عن هذا ، طرقا آخر . ان ماركس هو على وجه التحديد اول من اكتشف القانون العظيم لحركة التاريخ ، - القانون الذي يقول ان النضال التاريخي ليس في الواقع سوى التعبير للواقع ، بدرجة تزيد او تقل ، من النضال بين الطبقات الاجتماعية - سواء اقام هذا النضال في ميادين السياسة ام الدين ام الفلسفة ام في اي ميدان ايدولوجي آخر ، وان وجود هذه الطبقات ، وبالتالي الاصطدامات التي تقع بينها ، اما

تحددها بدورها درجة تطور وضعها الاقتصادي وطابع الانتاج
 واسلوب الانتاج وطريقة التبادل التي يعينها اسلوب الانتاج
 ان هذا القانون الذي يعني بالنسبة للتاريخ نفس ما يعنيه قانون
 تحويل الطاقة بالنسبة للعلم الطبيعي - ان هذا القانون كان
 بالنسبة لماركس في هذا الحال ايضاً بمثابة المفتاح لفهم تاريخ
 الجمهورية الفرنسية الثانية (٤٢) وعلى محلك هذا التاريخ ،
 تحقق في هذا المؤلف من صحة القانون الذي اكتشفه ، ولا بد
 لنا ان نقول حتى بعد ثلاث وعشرين سنة ان هذا الامتحان اسفر
 عن نتائج رائعة .

ف . ١٠ .

يصدر حسب نص الكتاب
 تمت الترجمة نقلاً من الالمانية

كتب في سنة ١٨٨٥

نشر في كتاب :

Karl Marx „Der Achtzehnte Brumaire
 des Louis Bonaparte“. Hamburg, 1885

الثامن عشر من برومير لويس بونابرت

١

يقول هيفل في مكان ما ان جميع الاحداث والشخصيات العظيمة في تاريخ العالم تظهر ، اذا جاز القول ، مرتين . وقد نسي ان يضيف المرة الاولى كماسة والمرة الثانية كمسخرة كوسيدير مكان دانتون ، لويس بلان مكان روبسبير ، « جبل » ١٨٤٨-١٨٥١ مكان « جبل » ١٧٩٣-١٧٩٥ (٤٣) ابن الاخ مكان العم والصورة الكاريكاتورية نفسها تظهر في الظروف التي رافقت الطبعة الثانية للثامن عشر من برومير (٤٤) !

ان الناس يصنعون تاريخهم بيدهم ؛ ولكنهم لا يصنعونه على هواهم انهم لا يصنعونه في ظروف يختارونها هم بانفسهم بل في ظروف يواجهون بها وهي معطاة ومنقولة لهم مباشرة من الماضي ان تقاليد جميع الاجيال الغابرة تجثم كالكابوس على ادمغة الاحياء . وعندما يبدو هؤلاء منشغلين فقط في تحويل انفسهم والاشياء المحيطة بهم ، في خلق شيء لم يكن له وجود من قبل ، عند ذلك بالضبط ، في فترات الازمات الثورية كهذه على وجه التحديد ، نراهم يلجؤون في وجل وسحر الى استحضار ارواح

الماضي لتخدم مقاصدهم ، ويستعمرون منها الاسماء والشعارات القتالية والازياء لكي يُمثلوا مسرحية جديدة على مسرح التاريخ العالمي في هذا الرداء التنكري الذي اكتسب بجلال القدم وفي هذه اللغة المستعارة . هكذا ارتدى لوتر قناع الرسول بولس واكتسبت ثورة ١٧٨٩-١٨١٤ بثوب الجمهورية الرومانية تارة وثوب الامبراطورية الرومانية تارة اخرى ، ولم تجد ثورة ١٨٤٨ فسناً افضل من التقليد الساخر لعام ١٧٨٩ حيناً وللتقاليد الثورية لسنوات ١٧٩٣ الى ١٧٩٥ حيناً آخر . وعلى هذا النحو يعمد دائماً المبتدئ الذي تعلم لغة جديدة الى ترجمة هذه اللغة بالفكر الى لغته الاصلية ، ولكنه لا يكون قد استوعب روح اللغة الجديدة واستطاع ان يعبر بها بطلاقة الا عندما يستلني عن الترجمة بالفكر وعندما ينسى لغته الاصلية وهو يستعمل اللغة الجديدة

ان التامل في هذه الاستحضارات لما عبر في تاريخ العالم يكشف لنا النقاب على الفور عن فرق بارز فيما بينها . فان كميل ديملان ودانتون وروبسبير وسانجوست وناپوليون ، ابطال الثورة الفرنسية القديمة ، وكذلك احزابها وجماهيرها الشعبية ، قد ادوا مهمة زمنهم في ازياء رومانية وبالفاظ رومانية - مهمة فك القيود والقائمة المجتمع البرجوازي الحديث الاولون لسفوا اسس الاقطاعية تماماً وحصدوا الرؤوس الاقطاعية التي نمت عليها والاخر اوجد في داخل فرنسا الظروف التي يتمنى فيها وحدها للمنافسة الحرة ان تتطور والارض الموزعة ان تُستغل ولطاقة الامة الانتاجية الصناعية التي أُطلقت من القيود ان تُستخدم ، وعمد في كل مكان فيما وراء الحدود الفرنسية الى تهديم الافكال الاقطاعية الى المدى الذي كان فيه ذلك ضروريا لتزويد المجتمع البرجوازي في فرنسا ببيئة ملائمة في القارة

الاوروبية وتستجيب لمتطلبات الزمن . واذ تم تأسيس التشكيلة الاجتماعية الجديدة ، اختفى عمالقة ما قبل الطوفان واختفى معهم العهد الروماني القديم الذي بعث الى الحياة - اي جميع البروتوسات والفراكوسات والبويليكولات والخطباء واعضاء السنااتو والقيصر نفسه . ان المجتمع البرجوازي ، في حقيقته العقلية العملية ، قد وجد فراحه والسنة حاله الحقيقيين في امثال ماي وكوزين ورويه-كولار وبنيامين كونستان ولغزو ومن شاكلهم وجلس قادته العسكريون الحقيقيون في المكاتب ، وكان لويس الثامن عشر ، ذو رأس الغنزير ، رئيسه السياسي . واذ انغمس هذا المجتمع كليا في انتاج الثروة وفي الكفاح السلمي الذي يقوم على المنافسة ، نسي ان اشباحا من عهد روما القديمة كانت تسهر على مهده . ولكن المجتمع البرجوازي ، مع ما هو عليه من قلة البطولة ، اقتضى اخراجه الى حيز الوجود بطولة وتضحية وازهابا واقتضى حربا اهلية ومعارك بين الشعوب . ولقد وجد مصارموه في التقاليد ذات الصرامة الكلاسيكية التي خلفتها الجمهورية الرومانية ، المثل العليا والاشكال الفنية والادهام التي كانوا في حاجة اليها لكي يخفوا من انفسهم ما كان عليه محتوى صراعاتهم من قصور برجوازي ولكي يبقوا حماسهم في المستوى العالي للمساة التاريخية العظيمة . ومن هذا القبيل ، وفي مرحلة اخرى من التطور ، وقبل ذلك بقرن من الزمان ، استعمار كرومويل والشعب الانجليزي الكلام والمواطن والادهام من العهد القديم ، (٤٥) لثورتهم البرجوازية (٤٦) . وعندما تم الوصول الى الهدف الحقيقي ، عندما تم الجاز التحويل البرجوازي للمجتمع الانجليزي ، حل لوله محل النبي حبقوق .

وهكذا كان بعث الموتى في تلك الثورات يؤدي مهمة تمجيد الصراعات الجديدة ، لا التقليد الساخر للصراعات القديمة ، مهمة تعظيم الواجب المعين في الخيال لا الهروب من ايجاد حل له الحقيقة ، مهمة اكتشاف روح الثورة مرة اخرى ، لا جعل شعب يحوم ثائرة .

منذ سنة ١٨٤٨ ولغاية سنة ١٨٥١ كان يحوم شعب الثورة القديمة فحسب ، ابتداء من ماراست ، هذا *républicain en gants jaunes* الذي تنكر في ثوب بايي القديم حتى المضامر الذي كان يخفى ملامحه التافهة المنفرة تحت القناديل الحديدي ل نابوليون الميت ان شعبا بأكمله كان يتصور انه عن طريق الثورة ، قد سرّع تطوره يجد نفسه فجأة يرجع القهقري الى عصر انقرض ولكي لا يكون ثمة مجال للشك في شأن هذه الردة ، عادت الى الظهور التواريخ القديمة والتقاويم الزمنية القديمة والاسماء القديمة والماراسيم القديمة التي خلت منذ زمن طويل موضوعا لهواة الاضياء القديمة المحنكين ، وعاد كذلك الى الظهور رجال الدرك القدامى الذين بدا الهم اندثروا منذ امد طويل . وشعرت الامة بمثل ما يشعر به ذلك الانجليزي المجنون نزيل البسلام (٤٧) ، الذي يتوهم انه يعيش في زمن الفراغة القدماء فيندب كل يوم العمل الشاق الذي ينبغي ان يؤديه في المناجم الاثيوبية ، كحفار يستخرج الذهب ، حبس في هذا السجن الواقع تحت الارض محدود على رأسه مصباح خافت الانارة ، وخلفه رقيب العبيد وفي يده سوط طويل ، وعند المخارج الجنود البرابرة الذين لا يفهمون عمال السخرة في

المناجم ولا يفهم احدهم الآخر لانهم جميعهم يتكلمون لغات مختلفة ويتنهد الانجليزي المجنون قائلا «ويترتب عليّ ان احمل كل هذا ، انا البريطاني الحر الاصل ، قصد استخراج الذهب للفراغة القدماء» . والامة الفرنسية تنهد قائلة : «قصد تسديد ديون امرة بوناپرت» . الانجليزي ، ما دام مالكا لقواه العقلية ، لا يستطيع التخلص من الفكرة الراسخة وهي استخراج الذهب والفرنسيون ، ما داموا منشغلين في ثورة ، لا يستطيعون التخلص من ذكرى نابوليون ، كما اثبت ذلك انتخاب العاشر من كانون الاول (ديسمبر) (٤٨) انهم يحنون للعودة من مخاطر الثورة الى حلل اللحوم المصرية (٤٩) . واليوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ كان هو الجواب فلم يعد لديهم صورة كاريكاتورية عن نابوليون القديم فحسب ، بل صار لديهم ايضا نابوليون القديم نفسه بصورة كاريكاتورية ، كما لا بد له ان يبدو في منتصف القرن التاسع عشر

ان ثورة القرن التاسع عشر الاجتماعية لا يسعها ان تستمد اشعارها من الماضي بل من المستقبل فحسب . انها لا تستطيع ان تبدأ بتنفيذ مهمتها قبل ان تقضي على كل احترام خرافي للماضي . لقد كانت الثورات السابقة في حاجة الى استعادة ذكريات ما مضى من حوادث تاريخ العالم لكي تخدم نفسها بشأن محتواها هي بالذات . اما ثورة القرن التاسع عشر فيترتب عليها لكي تستوضح لنفسها محتواها الخاص ان تدع الموتى يدفنون موتاهم هناك كانت الجملة تتعدى المحتوى وهنا المحتوى يتعدى الجملة

ان ثورة شباط (فبراير) كانت هجوما مفاجئا ، كانت اخذا مباغتاً للمجتمع القديم . وقد اشد الشعب بهذه الفرية غير المتوقعة باعتبارها عملا ذا اهمية تاريخية عالمية يؤذن بحقبة جديدة .

وفي اليوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) تختفي ثورة فباط (فبراير) بين يدي نصاب ماركز ويبدو في النتيجة ان ما اطيح به ليس هو الملكية بل التنازلات الليبرالية التي انتزعتها منها قرون من الكفاح . وبدلا من ان يظفر المجتمع نفسه لنفسه بمحتوى جديد ، بدا ان الثورة قد عادت الى اقدم اشكالها فحسب - الى السيطرة البدائية العديمة الحياء - سيطرة السيف والقلنسوة الكهنوتية . والجواب على *coup de main* فباط (فبراير) ١٨٤٨ اعطاه *coup de tête* . . . كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ، وما تلاه به الزوابع تاخذه الرياح . ولكن هذه الفترة من الزمن لم تضع سدى . فمن سنة ١٨٤٨ لغاية سنة ١٨٥١ هضم المجتمع الفرنسي - وتم هذا بطريقة مختصرة لانها ثورية - العبر والتجارب التي كان ينبغي لها في تطور يسير بصورة صحيحة ، لو ، اذا جاز القول ، بصورة منهجية ، ان تسبق ثورة فباط (فبراير) لو كانت هذه الثورة اكثر من مجرد هزة على السطح . ان المجتمع يبدو الآن وكأنه ارتد الى ما وراء نقطة انطلاقه . اما في الواقع فلا يترتب له سوى ان يوجد لنفسه نقطة الانطلاق لثورته والوضع والعلاقات والظروف التي لا تصبح الثورة الحديثة بدولها ثورة جديده .

ان الثورات البرجوازية ، كتلك التي حدثت في القرن الثامن عشر ، تندفع كالعاصفة من نجاح الى نجاح ، وآثارها الدرامية تفوق بعضها بعضا ، ويبدو فيها الاشخاص والاشياء في اطار باهر وهاج ، ويكون كل يوم مشعبا بالحماسة والنشوة . بيد ان عمر هذه الثورات قصير ، فسرعان ما تترك هذه الثورات نقطة الاوج

• شهرة جريئة ، عمل حاسم . الثامن .

• • عمل طائش ، عمل واقع . الثامن .

وتخيم على المجتمع وخمة السكر الطويلة الممضة قبل ان يستطيع ان يهضم بتعقل واتزان نتائج فترة الضغط والاندفاع العاصف تلك . اما الثورات البروليتارية كتلك التي تحدث في القرن التاسع عشر ، فهي ، بالعكس ، تنتقد ذاتها على الدوام ، وتقاطع نفسها بصورة متواصلة اثناء سيرها ، وتعود ثانية الى ما بدا انها انجزته لتبدأ فيه من جديد ، وتسخر من نواقص محاولاتها الاولى ونقاط ضعفها وتفاهاها باستقصاء لا رحمة فيه ، ويبدو انها تطرح هدوها ارضا لا لشيء الا ليتمكن من ان يستمد قوة جديدة من الارض وينهض ثانية امامها وهو اشد فتوا ، وتنكص المرة تلو المرة امام ما تتصف به اهدافها من ضخامة غير واضحة المعالم ، وذلك الى ان ينشأ وضع جديد يجعل اي رجوع الى الوراء مستحيلا وتصرخ الحياة نفسها قائلة بصرامة

Hic Rhodus, hic salta !

هنا الوردة ، فلترقص هنا ! (٥٠)

وعلى كل حال ، كان لا بد لكل مراقب بصير وان لئلا ، حتى ولو لم يتابع مجرى الاحداث في فرنسا خطوة فخطوة ، من ان يكون قد ساوره هاجس باله كتب لهذه الثورة عار لا سابق له . وكان يكفي المرء ان يسمع نباح النصر الذي كان يردده باغتياب السادة الديموقراطيون وهم يتبادلون التهاني بالهواقب الخيرة التي ينتظرون ان يسفر عنها الاحد الثاني من شهر ايار (مايو) ١٨٥٢ (٥١) . لقد اصبح عندهم الاحد الثاني من شهر ايار (مايو) ١٨٥٢ فكرة راسخة ، اصبح عقيدة جامدة ، شأنها شأن اليوم الذي سيعود فيه المسيح الى الظهور ويبدأ فيه العصر الالفي السعيد عند الالفين (٥٢) . وكما هي الحال دائما ،

التجاء العجوز^١ الى الاعتقاد بالمعجزات وتصور ان العدو غلب على امره اذا تطلب عليه في الخيال عن طريق الابتهاال وفقدان كل شعور بالواقع بسبب من التمجيد الباطل بالمستقبل الذي ينتظره وبالمآثر التي ينوي ان يقوم بها ولكنه لا يريد ان يخبر عنها بعد . لولئك الابطال الذين يسعون الى دحض الرأي القائل بعجزهم الواضح بتهادي عواطفهم المتبادلة وبالتجمهر في جماعة خاصة قد لوثقوا حقائبهم وجمعوا اكاليل الغار مقدما ، وكانوا في ذلك الوقت بالضبط مستعدين لان يخصصوا في سوق الاوراق المالية جمهورياتهم *in partibus* (٥٣) ، التي كانوا قد فرغوا مسبقا من تنصيب موظفيها الحكوميين خلسة وبكل القناعة الملزمة لهم . وانقض عليهم اليوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) انقضاء الصاعقة من سماء صافية الاديم . فالشعوب التي تسمح بطيبة خاطر لاصحاب الاصوات العالية ان يفرقوا مخاوفها الداخلية في الفترات التي تنحط فيها المعنويات ، ربما اقتنعت هذه المرة بان الزمن الذي يستطيع فيه فوق الوز انقاذ الكابيتول (٥٤) قد ولى وانقضى . ان الدستور والجمعية الوطنية واحزاب الاسرة المالكة والجمهوريين الزرق والحمر وابطال افريقيا (٥٥) والارهاد من فوق منصات الخطابة والابراق على صفحات الجرائد اليومية ، والادب بأسره والاسماء السياسية والسمعة الفكرية والقانون المدني وقانون الجراء و *liberté, égalité, fraternité** والاحد الثاني من ايار (مايو) ١٨٥٢ - كلها تلاقت كخيال الظل امام سحر رجل لم يكن اعداءه انفسهم يعتبرونه ساحرا من السحرة وبدا ان حق الاقتراع الشامل لم يمكث لحظة اضافية الا لكي يتمكن

* حرية ومساواة واخاء . للتأليف .

من ان يخط بيده امام اعين الدنيا قاطبة وصيته الاخيرة ويعلن باسم الشعب نفسه «ان كل ما ينبعث جدير بالزوال» .
ولا يكفي القول ، كما يفعل الفرنسيون ، بان امتهم قد اخذت على حين غرة فان الامة والمرأة لا تفتخر لهما تلك اللحظة التي تفقدان فيها العذر ويتمكن اول مغامر يمر بهما من ان ينتهكهما .
ان جملا كهذه لا تستطيع حل اللغز بل تصوغها بشكل آخر فقط . وينبغي ان نفكر كيف يستطيع ثلاثة نصابين ان يخلدوا على حين غرة ويأصروا دون مقاومة امة يبلغ تعدادها ستة وثلاثين مليون نسمة .

لنراجع الآن بايجاز المراحل التي مرت بها الثورة الفرنسية من ٢٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ لغاية كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ .

هنالك فترات رئيسية ثلاث لا ريب فيها فترة شباط (فبراير) ؛ الفترة من ٤ ايار (مايو) ١٨٤٨ الى ٢٨ ايار (مايو) ١٨٤٩ وهي فترة تأسيس الجمهورية او فترة الجمعية الوطنية التأسيسية ؛ والفترة من ٢٨ ايار (مايو) ١٨٤٩ الى ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ وهي فترة الجمهورية الدستورية او فترة الجمعية الوطنية التشريعية .

الفترة الاولى ، من ٢٤ شباط (فبراير) ، اي من وقت الاطاحة بلويس فيليب الى الرابع من ايار (مايو) ١٨٤٨ ، اي الى انعقاد الجمعية التأسيسية - فترة شباط بمعناها الحقيقي - يمكن ان توصف بأنها مقلعة الثورة وقد تجل طابعها بصورة رسمية

* هوته . فاوست . الفصل الاول ، المشهد الثالث (ومكتب فاوست) . الثاني .

عندما اعلنت الحكومة نفسها التي ارتجلتها هذه الفترة انها حكومة مؤقتة . وكل ما جرى اتخاذه او محاولته او التصريح به في اثناء هذه الفترة كان ، فانه في ذلك شان الحكومة ، يعلن عن نفسه بانه مؤقت فحسب لم يكن اي شيء او اي انسان يجرؤ على الادعاء بحق البقاء الدائم وبالعامل الحقيقي . وجميع العناصر التي اعدت الثورة او حددتها - اي المعارضة الاسرية (٥٦) والبرجوازية الجمهورية والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية الجمهورية والعمال الاشتراكيون الديمقراطيون - ، وجدت مكانها مؤقتا في حكومة فباط

وما كان بالامكان غير ذلك ان ايام فباط كانت تقصد بالاصل اجراء اصلاح انتخابي يتمخض عن توسيع دائرة المتمتعين بالامتيازات السياسية داخل الطبقة المملوكة ذاتها ويطيح بالسيطرة المطلقة لأريستقراطية المال . ولكن حين وصلت الامور الى النزاع الفعلي ، عندما احتل الشعب المتاريس واتخذ الحرس الوطني مواقف الانتظار السلبي واحجم الجيش عن المقاومة الجدية وهرب الملك ، ظهر تأسيس الجمهورية كانه مسألة طبعية . وكل حزب فسرهما بطريقته الخاصة . اما البروليتاريا التي ظفرت بهذه الجمهورية والسلاح في ايديها ، فقد طبعتها بطابعها واصلتها جمهورية اجتماعية . وهكذا رسم المحتوى العام للثورة المعاصرة ، وهو محتوى يتناقض تناقضا عجيبا الى اقصى حد مع اي شيء يمكن تحقيقه دفعة واحدة ومباشرة استنادا الى ما كان متوفرا من مواد وما بلغت الجملهير من مستويات التطور ، وفي الظروف والعلاقات المعنية ومن الناحية الاخرى لبُنيَت مطالب جميع العناصر الباقية التي اسهمت في نجاح ثورة فباط ، بحصة الاسد التي نالتها في الحكومة . ولذلك لا نجد في اي فترة اخرى خليطا

اكثر تنوعا من الكلام المنمق وانعدام الثقة الفعلي والعجز الفعلي ومن السعي الفائق الحماسة الى الجديد ومن السيطرة الراسخة الجذور للرتابة العتيقة ومن الاسجاء الظاهري الفشاش للمجتمع باسره والتنافر العميق بين عناصره . وبينما كانت بروليتاريا باريس ما تزال سادرة في الطرب بمنظر الافاق العراض التي انفتحت امامها ومنغمسة عن جد في مناقشات حول القضايا الاجتماعية كانت قوى المجتمع القديمة تتكتل وتحتشد وتستفيق وتجد تاييدا لم يكن متوقعا من جمهرة الامة ، من الفلاحين والبرجوازيين الصغار الذين اقتحموا كلهم المسرح السياسي دفعة واحدة بعد سقوط الحواجز التي اقامتها ملكية تموز (يوليو) (٥٧)

الفترة الثانية ، من الرابع من ايار (مايو) ١٨٤٧ حتى نهاية ايار (مايو) ١٨٤٩ ، هي فترة تشكيل ، تأسيس الجمهورية البرجوازية . بعد ايام فباط (فبراير) مباشرة لم تفاجا المعارضة الاسرية بالجمهوريين ولم يفاجا الجمهوريون بالاشتراكيين فحسب بل فوجئت فرنسا كلها بباريس . ان الجمعية الوطنية التي انعقدت في الرابع من ايار (مايو) ١٨٤٨ والتي انتخبته الامة كانت تمثل الامة كانت هذه الجمعية احتجاجا حيا على ادعاءات ايام فباط وكان من شأنها ان تهبط بنتائج الثورة الى مستوى المقاييس البرجوازية . وعبثا حاولت بروليتاريا باريس ، التي ادركت على الفور طابع هذه الجمعية الوطنية ، في اليوم الخامس عشر من ايار (مايو) (٥٨) ، اي بعد بضعة ايام من انعقادها ، ان تنفي وجودها بالقوة وان تحلها وان تفتت ثالية هذا الشكل العضوي الذي هددت فيه البروليتاريا روح الامة التي ارتدت ضدها ، الى الاجزاء التي يتالف منها . ومعلوم ان اليوم الخامس عشر من ايار

(مايو) لم يكن له من نتيجة سوى اقصاء بلانكي ورفاقه في الفكر ، اي القادة الحقيقيين للحزب البروليتاري ، من المسرح الاجتماعي طيلة كل الفترة التي نحن بصدددها .

ان الملكية البرجوازية لعهد حكم لويس فيليب لا يمكن ان تليها جمهورية برجوازية ، وبعبارة اخرى ، بينما كانت فئة محدودة من البرجوازية تحكم مسترة باسم الملك ، فان البرجوازية كلها ستحكم من الآن وصاعداً مسترة باسم الشعب . ان مطالب بروليتاريا باريس هي هراء خيالي ينبغي ان يوضع له حد . على هذا التصريح الصادر من الجمعية الوطنية التأسيسية اجابت بروليتاريا باريس بتمرد حزيران (يوليو) ، وهو اضخم حادث في تاريخ الحروب الاهلية في لوروبا وانتصرت الجمهورية البرجوازية . فال جانبها كانت تقف اريستقراطية المال والبرجوازية الصناعية والفئات الوسطى والبرجوازية الصغيرة والجيش وحشالة البروليتاريا . المنظمون في حرس متنقل (٥٩) والمشفون ورجال الاكليروس وسكان الارياف . والى جانب بروليتاريا باريس لم يكن يقف احد سواها . وبعد النصر على هذه البروليتاريا ذبح ما ينوف على ثلاثة آلاف متمرد ونفي خمسة عشر الفا دون محاكمة . وبهذه الهزيمة تمضي البروليتاريا الى مؤخرة المسرح الثوري . انها تحاول من جديد ان تتقدم الى الامام كلما لاح فيها ان الحركة تنهض من جديد ، ولكن هذه المحاولات تضعف اكثر فاكث وتُسفر عن نتائج تتضاءل اكثر فاكث . وحالما كان يعتري احدى الفئات الاجتماعية الكائنة فوقها جيشان ثوري ، كانت البروليتاريا تدخل في حلف معها وهكذا كان لها نصيب في جميع الهزائم المتوالية التي منيت

بها الاحزاب المختلفة . بيد ان هذه الضربات التي تلت كانت تضعف بقدر ما كان سطح المجتمع الذي تتوزع فوقه يتسع . ان ابرز قادة البروليتاريا في الجمعية وفي الصحافة تساقطوا على التعاقب ضحايا للمحاكم ، ويحل محلهم اشخاص يزداد امرهم اشتباها . ان قسما من البروليتاريا ينصرف الى تجارب نظرية غير عملية والى تأسيس البصائر المتعاضدية وجميعيات العمال اي ، بكلمة اخرى ، الى حركة تتخلل فيها البروليتاريا من فكرة احداث انقلاب في العالم القديم بمجموع الوسائل الجبارة المتوفرة في هذا العالم القديم بالذات ، بل تحاول تحقيق خلاصها من وراء ظهر المجتمع ، بسبيل خاص وفمن شروط وجودها المحدودة ، اي بسبيل يقود حثها الى الانفلاس . ويبدو ان البروليتاريا لم تعد قادرة لا على استعادة عظمتها الثورية السابقة في ذاتها ولا على اكتساب طاقة جديدة من الارتباطات التي دخلت فيها حديثا ، طالما لم تسقط جميع الطبقات التي ناضلت ضدها في حزيران (يونيو) طريحة الى جوارها . بيد ان البروليتاريا سقطت على الاقل بشرف جدير بالكفاح التاريخي العالمي العظيم . فليست فرنسا وحدها بل اوروبا جميعها ارتجفت من زلزال حزيران ، بينما كانت الهزائم اللاحقة التي منيت بها الطبقات العليا تغدى بضمن بخصم لدرجة انها كانت تقتضي مبالغاة عديمة الحياء من جانب الحزب المنتصر لكي يكون في الامكان اعطاؤها طابع الاحداث على العموم ، مع العلم ان هذه الهزائم كانت تزداد خزيا كلما ابتعد الحزب المهزوم عن الحزب البروليتاري

سحيح ان هزيمة متمردي حزيران (يوليو) قد هيأت ومهدت الارض التي يمكن عليها بناء صرح الجمهورية البرجوازية ، بيد انها اوضحت في الوقت نفسه ان المسألة في اوروبا لا تتعلق

بالخلاف حول موضوع «الجمهورية او الملكية» بل بشيء آخر فقد بينت هذه الهزيمة ان الجمهورية البرجوازية تعني هنا الاستبداد غير المحدود الذي تمارسه طبقة ضد الطبقات الاخرى ، واثبتت ان الجمهورية ، في الاقطار ذات الحضارة القديمة والتقسيم الطبقي المتطور وحيث ظروف الانتاج عصرية وحيث الوعي الفكري ذابت فيه بفعل القرون جميع الافكار التقليدية ، لا تعني بصورة عامة الا الشكل السياسي لتحويل المجتمع البرجوازي تحويلا ثوريا وليس شكل الحياة الذي يصون وجوده ، كما هي الحال مثلا في الولايات المتحدة باميركا الشمالية حيث توجد الطبقات ولكنها لم تتحدد حتى الآن بل انها تتغير على الدوام وتتبادل عناصرها في حركة دائمة وحيث نجد وسائل الانتاج الحديثة غير متفقة مع وجود فئس مزمن من السكان وليس هذا وحسب بل تعوض بالعكس عن النقص النسبي في الرؤوس والايدي ، واخيراً حيث لم تترك حركة الانتاج المادي النشطة ، والواخرة بالحماسة والقوة ، التي عليها ان تملك عالماً جديداً ، لا وقتاً ولا فرصة للقضاء على عالم الاشباح القديم .

خلال ايام حزيران (يونيو) ، اتحدت كل الطبقات والاحزاب في حزب النظام ضد الطبقة البروليتارية بوصفها حزب القومى والاشتراكية والفيومية . ووالقدت «المجتمع من «اعداء المجتمع» واختارت كلمة السر لجيشها شعار المجتمع القديم القائل «الملكية ، العائلة ، الدين ، النظام» وشجعت صليبي الثورة المضادة قائلة : وبهذه العلامة سوف تغلبون ا (٦٠)

ومنذ تلك اللحظة كان كل حزب من الاحزاب العديدة التي التفت حول هذه الراية ضد متمردى حزيران ، عالماً يريد ان يثبت اقدامه في ميدان القتال الثوري لمصلحته الطبقيّة الخاصة ،

يهزمونه تحت شعار «الملكية ، العائلة ، الدين ، النظام !» .
كان انقاذ المجتمع يتم كلما كانت دائرة حاكميه تقتلص وكلما
كانت مصلحة اغنيق تتغلب على مصلحة اوسع . وكل مطلب كان
ينطوي على ابسط اصلاح مالي برجوازي او على اية ليبرالية
مهما كانت عادية او على اية اتجاهات جمهورية مهما كانت شكلية
او على اشد انواع الديمقراطية ضحالة ، كان يعاقب عليه في
نفس الوقت بوصفه محاولة «اعتداء على المجتمع» ويوصم
بـ«الاشتراكية» . واخيراً طُرد كبار كهان الدين والنظام» انفسهم
ركلا من هياكلهم البيتية (٦١) وانتزعوا من اسرعتهم في غيبه
الليل ووضعوا في عربات السجن وزجوا في السجن او نفوا من
البلاد ، ولسف معبدهم من الاساس حتى سوي بالتراب وختم على
افواههم وكسرت اقلامهم ومزقت شريعتهم شر ممزق - باسم الدين
والملكية والعائلة والنظام - والمتعصبون للنظام من البرجوازيين
قتلوا بالرصاص وهم على شرفاتهم بايدي جماعات غوغائية من
الجنود السكاري وانتهكت حرمان معابدهم البيتية وقصفت
منازلهم بالمدافع لمجرد اللهو - باسم الملكية والعائلة والدين
والنظام . واخيراً شكلت حشالة المجتمع البرجوازي كتيبة النظام
المقلصة ودخل البطل كرابولنسكي • الى قصر التويلري بوصفه
«مقلد المجتمع» .

٢

دعونا نلتقط خيوط الحديث مرة اخرى
ان تاريخ الجمعية الوطنية التأسيسية منذ ايام حزيران
(يونيو) هو تاريخ سيطرة الكتلة الجمهورية من البرجوازية
* لويس بوناپرت . الناشر .

وإنحلالها ، تلك الكتلة التي تعرف بالاسماء التالية : الجمهوريون المثلثو الالوان ، الجمهوريون الصرف ، الجمهوريون السياسيون ، الجمهوريون الشكليون ، الخ ..

كانت هذه الكتلة في عهد ملكية لويس فيليب البرجوازية تشكل المعارضة الجمهورية الرسمية وكانت بالتالي عنصراً معترفاً به من العناصر التي تألفت منها عالم السياسة آنذاك . كان لها ممثلوها في المجالس التمثيلية وكان لها نفوذ واسع في الصحافة . وكانت صحيفة "National" (٦٢) التي تنطق بلسانها في باريس تعتبر ، بين الصحف من نوعها ، في نفس مستوى الاحترام كصحيفة "Journal des Débats" (٦٣) . وكان طابعها يتفق مع هذا المركز الذي احتلته في ظل الملكية الدستورية . انها لم تكن كتلة من البرجوازية تربطها مصالح مشتركة كبرى وتتميز بظروف انتاج معينة ، بل زمرة من البرجوازيين ذوي الاتجاهات الجمهورية ، ومن الكتاب والمحامين والضباط والموظفين ، تدين بنفوذها الى النفور الذي تكنه البلاد لشخص لويس فيليب والى ذكريات الجمهورية الاولى والى الايمان بالجمهورية لدى حنة من الخياليين ولكن في الدرجة الاولى الى القومية القروسية التي عمدت هذه الكتلة صفة دائمة الى اثاره كراهيتها لمعاهدات فيينا (٦٤) وللتحالف مع إنجلترا . ان جزءاً كبيراً من اتباع "National" في عهد لويس فيليب يعود سبب انضوائهم لها الى هذه الامبريالية المستترة ، التي استطاعت لهذا السبب بالذات ان تواجه "National" نفسها فيما بعد ، في عهد الجمهورية ، كمنافس مظفر في شخص لويس بوناپرت . لقد حاربت "National" اريستقراطية المال كما فعلت ذلك سائر المعارضة البرجوازية وقد كانت الحملات ضد الميزانية ، التي كانت في فرنسا تتجاوب كلياً مع الكفاح ضد

ارستقراطية المال ، تكتسب شعبية في غاية الرخص وتقدم المواد المطلوبة (leading articles البوريتالية في وفرة بالغة ، بحيث كان يتعذر عدم استغلالها . وقد كانت البرجوازية الصناعية ممتنة لـ "National" لدفاعها الدليل عن نظام الحماية الجمركية الفرنسي ، وهو الدفاع الذي قامت به على كل حال لاعتبارات قومية اكثر مما لاعتبارات اقتصادية وسياسية ، وكانت البرجوازية ككل ممتنة لها ايضا بسبب تشهيرها الشرير بالشيوعية والاشتراكية . وعلى كل حال ، كان حزب "National" حزبا **جمهوريا صرفا** ، اي انه كان يطالب بالشكل الجمهوري للحكم البرجوازي بدلا من الشكل الملكي ويطالب قبل كل شيء بحصة الاسد من هذا الحكم . اما فيما يتعلق بشروط هذا التغير السياسي ، فهذا ما لم يكن واضحا في ذهن هذا الحزب بصورة من الصور . ومن الناحية الاخرى كان واضحا وضوح الشمس بالنسبة له ، وكان معترفا به علنا في الولايم من اجل دعم الاصلاح في اواخر ايام حكم لويس فيليب ، انه غير شعبي عند البرجوازية الديموقراطية الصغيرة ، وبصورة اخص ، عند البروليتاريا الثورية هؤلاء الجمهوريون الصرف ، كما يليق للجمهوريين الصرف ، كانوا بالفعل مستعدين تماما للاكتفاء في بادئ الامر بوصاية دوق لورليان عندما اندلعت ثورة شباط (فبراير) وافرزت لابرز ممثلهم اماكن في الحكومة المؤقتة . وبديهي انهم منذ البداية حازوا على ثقة البرجوازية وعلى الاكثرية في الجمعية الوطنية التأسيسية واقصيت العناصر الاشتراكية في الحكومة المؤقتة على الفور من اللجنة التنفيذية التي شكلتها الجمعية الوطنية بعد انعقادها ، واستغل حزب

“National”، فرصة تمرد حزيران (يوليو) لصرف اللجنة التنفيذية ايضا وللتخلص بذلك من اقرب منافسيه ، الجمهوريين البرجوازيين الصغار لو الجمهوريين الديمقراطيين (ليدرو-رولان وغيره) . وحل كافينياك ، جنرال الحزب الجمهوري البرجوازي الذي قاد مذبحة حزيران (يوليو) ، محل اللجنة التنفيذية وغول نوعاً من السلطة الديكتاتورية واصبح ماراست ، رئيس التحرير السابق لـ “National”، الرئيس الدائم للجمعية الوطنية التأسيسية ، بينما كانت مناصب الوزراء ، وكذلك جميع المناصب الهامة الاخرى ، من نصيب الجمهوريين الصرف .

وهكذا تجاوز الواقع اجرا آمال كتلة الجمهوريين البرجوازيين التي كانت تعتبر نفسها منذ زمن بعيد الوريث الشرعي لملكية تموز (يوليو) الا ان هذه الكتلة قد حصلت على السلطة ، لا عن طريق فتنة ليبيرالية تقوم بها البرجوازية ضد العرش ، كما كانت تحلم زمن لويس فيليب ، بل عن طريق انتفاضة للبروليتاريا ضد رأس المال ، انتفاضة أخدمت بقنابل المدافع ان ما صورته لنفسها بأنه اكثر الاحداث ثورية اوضح انه في الحقيقة اكثرها تعاكساً مع الثورة . لقد سقطت الثمرة في حضنها ، لكنها سقطت من شجرة المعرفة لا من شجرة الحياة

ان حكم الجمهوريين البرجوازيين الصرف لم يدم الا من الرابع والعشرين من حزيران (يوليو) حتى العاشر من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ وكان حاصله وضع دستور جمهوري واطلاق حالة العصار في باريس .

والدستور الجديد لم يكن من حيث الجوهر سوى طبعة مصبوبة بالصيغة الجمهورية للميثاق الدستوري لسنة ١٨٣٠ (٦٥) . ان النصاب الانتخابي العالي لملكية تموز (يوليو) ،

الذي حرم من الحكم السياسي حق جزءاً كبيراً من البرجوازية ، لم يكن يتفق مع وجود الجمهورية البرجوازية . وقد اعلنت ثورة شباط (فبراير) فوراً حق الاقتراع الشامل المباشر بدلاً من هذا النصاب . ولم يكن في وسع الجمهوريين البرجوازيين ان يبطلوا هذا الامر . واضطروا الى الاكتفاء باضافة شرط تحفظي يقضي باقامة الناخب في الدائرة الانتخابية لمدة ستة اشهر . اما التنظيم القديم للإدارة وللجهاز البلدي والجهاز القضائي والجيش ، الخ . ، فقد بقي كما هو دون ان يُنتَهَكَ ، او أنْ يُتَغَيَّرَ ، حيثما كان الدستور يتناول هذه الأشياء بالتغيير ، كان يتعلق بقائمة المحتويات لا بالمحتويات ، بالاسم لا بالموضوع

ان الحريات الاساسية التي كانت اركاناً ملازمة لعام ١٨٤٨ ، اي الحرية الشخصية وحرية الصحافة والكلام وتنظيم الجمعيات وعقد الاجتماعات والتعليم والدين ، الخ . ، ارتدت رداء دستوريا جعلها غير قابلة للطعن ذلك ان كل واحدة من هذه الحريات اعلنت حقاً مطلقاً للمواطن الفرنسي ولكن ذلك كان يقترن دائماً بملاحظة على الهامش تنص على انها تكون غير محدودة الى المدى الذي لا تحددها فيه «حقوق الآخرين المتساوية والامن العام» او «التشريعات» التي كان يقصد منها بالضبط التدخل لايجاد هذا الانسجام للحريات الفردية سواء فيما بينها او بينها وبين الامن العام مثال ذلك وللمواطنين حق الانتظام في الجمعيات وعقد الاجتماعات السلمية وغير المسلحة والالتماس وابداء الرأي سواء في الصحافة او باية صورة اخرى . ان التمتع بهذه الحقوق لا يحده غير حقوق الآخرين المتساوية والامن العام . (الفصل الثاني من الدستور الفرنسي ، المادة الثامنة .) - والتعليم حر حرية التعليم يتم التمتع بها بمقتضى الشروط التي يحددها القانون

وتحت الرقابة العليا من الدولة» (نفس الفصل ، المادة التاسعة ١٠) - وليبت كل مواطن حرمة لا يمكن انتهاك هذه الحرمة إلا بالتقيد بالشكليات التي يعينها القانون» (الفصل الثاني ، المادة الثالثة ١٠ الخ ، الخ .. ولهذا فان الدستور يشير دائما الى القوانين الطوعية المقبلة التي سوف تفسر تلك الملاحظات الهامشية تفسيرا مفصلا وتنظم التمتع بهذه الحريات غير المحدودة بحيث تحول دون تصادمها سواء بعضها مع بعض او مع الامن العام . وفيما بعد اخرجت هذه القوانين الى الوجود من قبل اصدقاء النظام ، ونظمت جميع تلك الحريات بصورة لم تجد البرجوازية معها في تمتعها بها اي عائق في الحقوق المتساوية للطبقات الاخرى . وحيثما حرمت هذه الحريات تماما على «الآخرين» او سمح بالتمتع بها بشروط كان كل منها احيولة بوليسية ، كان هذا يحدث دائما في مصلحة «الامن العام» فحسب ، اي امن البرجوازية كما يوسم الدستور . ولهذا كان الطرفان كلاهما يشيران فيما بعد ، ومعهما كل الحق ، الى الدستور سواء اكلوا اصدقاء النظام الذين اغوا جميع هذه الحريات ، أم الديموقراطيين الذين طالبوا باعادة جميع هذه الحريات . وذلك لان كل فقرة في الدستور كانت تحتوي على نقيضها ، على مجلسها الاعلى ومجلسها الادنى ، اي على الحرية كلفظة عامة وعلى انهاء الحرية في الملاحظة الهامشية . وهكذا ، ما دام اسم الحرية يحظى بالاحترام ولا يمنع سوى تحقيقها العملي - وطبعاً ، على اساس قانوني - فان الوجود الدستوري للحرية بقي قائماً لم يمس ولم ينتهك مهما تكن الضربات التي سددت الى وجودها في واقع الحياة قاتلة

ان هذا الدستور الذي اكتسب حصانة بهذه الطريقة البارعة الماكرة كان مع ذلك ، ضالاً فان آخيل ، قابلاً للطعن في نقطة

واحدة ، ليس في الكعب بل في الرأس ، او بالاحرى في الرأسين اللذين كان يتتوج بهما : الجمعية التشريعية من جهة ، والرئيس من جهة اخرى . ان نظرة عاجلة الى الدستور تريك ان المواد التي تعدد علاقة الرئيس بالجمعية التشريعية هي وحدها المواد المطلقة والايجابية وغير المتناقضة وغير القابلة للتحريف لان القضية هنا كانت تتصل بتأمين الجمهوريين الرجوازيين مواقع متينة لانفسهم ان المواد ٤٥ - ٧٠ من الدستور قد صيغت بحيث ان الجمعية الوطنية تستطيع تنحية الرئيس دستوريا في حين ان الرئيس لا يستطيع تنحية الجمعية الوطنية الا خلافا للدستور اي الا بالغاء الدستور نفسه . وهنا ، بالتالي ، يدور الدستور بنفسه الى تصفيته بالعنف ، وهو لا يكفي بتثبيت تقسيم السلطات ، كميثاق ١٨٣٠ ، بل يضخم ذلك بحيث يغدو التقسيم تناقضا لا يطاق ان لعبة القوى الدستورية ، - كما سمي غزو المشاحنة البرلمانية بين السلطتين التشريعية والتنفيذية - كانت تلعب دائما في دستور ١٨٤٨ بحيث يفاخر كل طرف فيها بكل ما لديه . هنالك من ناحية سبعمائة وخمسون ممثلا من الشعب انتخبوا بموجب حق الاقتراع الشامل ، ويتمتعون بحق انتخابهم مجددا . انهم يؤلفون جمعية وطنية لا يمكن مراقبتها ولا حلها ولا تجزئتها ، جمعية وطنية تتمتع بالسلطة الكلية في شؤون التشريع وبت بصورة نهائية في شأن الحرب والسلام والمعاهدات التجارية وملك وحدها حق العفو العام وتحتل ، بفضل ديمومة اجتماعاتها ، مقدمة المسرح على الدوام . ومن ناحية اخرى هنالك الرئيس ، وله كل ما للسلطة الملكية من صفات ، له صلاحية تعيين وزرائه وهزلهم بصورة مستقلة عن الجمعية الوطنية وفي يديه كل وسائل السلطة التنفيذية ، يذق جميع المناصب ،

ويتصرف في فرنسا بالتالي في أرزاق مليون ونصف مليون شخص على الأقل ، لأن هذا هو بالضبط عدد الذين يتعلقون ماديا بالخمسمائة ألف موظف وبالضباط من مختلف الرتب . وتضع له القوات المسلحة بكاملها . وهو يتمتع بامتياز العفو عن المجرمين بمفردهم وحل وحدات الحرس الوطني وكذلك حل المجالس العامة ومجالس الكانتونات (الاقضية) والبلديات - بموافقة مجلس الدولة - التي ينتخبها المواطنون انفسهم وهو يتمتع بحق المبادرة الى عقد جميع المعاهدات مع الاقطار الاجنبية وباللدور القيادي في عقدها . وبينما تحتل الجمعية دائما مقدمة المسرح وتعرض لنقد الجمهور كل يوم ، يحيا الرئيس حياة منزلة في الايليزيه (٦٦) ، وهذا مع وجود المادة الخامسة والاربعين من الدستور امام عينيه وفي قلبه تصرخ له كل يوم : "frère, il faut mourir" . ان سلطتك تنتهي يوم الاحد الثاني من شهر ايار (مايو) الجميل في السنة الرابعة بعد انتخابك ! وعندئذ ينتهي جلالك ان هذه التمثيلية لا تعرض مرتين ، واذا كان عليك ديون فدير امر سددها في الوقت المناسب بالاستمارة الف فرك من الراتب الذي يمنحك اياه الدستور ، هذا اذا كنت لا تفضل الذهاب الى كليشي (٦٧) يوم الاثنين الثاني من شهر ايار (مايو) الجميل ! - وهكذا ، بينما يعطي الدستور الرئيس سلطة فعلية ، فهو يسمى لتأمين قوة اديبة للجمعية الوطنية ولكن ، فضلا عن استحالة خلق قوة اديبة بفقرات القانون ، يدحض الدستور نفسه هنا مرة اخرى بجعل الرئيس ينتخب بالاقتراع المباشر من

* وايضا الاخ ، استمد للموت ا - - تحية بتبادلها اعضاء الرهبة

الكاثوليكية المسماة برهبة الترابيين عندما يتقاطعون . القناصل .

قبل جميع ابناء الشعب الفرنسي . واذ نجد الاصوات الانتخابية في فرنسا كلها موزعة بين السبعمئة والخمسين عضواً في الجمعية الوطنية ، فهي هنا ، على النقيض ، مركزة على شخص واحد واذ نجد ان كل نائب من النواب لا يمثل على انفراد الا هذا الحزب او ذاك ، او هذه المدينة لو تلك ، او هذه النقطة الآهلة او تلك ، او انه لا يمثل الا مجرد ضرورة انتخاب نائب من أصل السبعمئة والخمسين دون التدقيق في الشخص ولا في القضية التي يمثلها - نجد الرئيس منتخب الأمة ونجد عملية انتخابه الورقة الرابعة التي يلعبها الشعب ذو السيادة مرة كل اربع سنوات ان الجمعية الوطنية المنتخبة تربطها بالامة علاقة ميتافيزية في حين ان علاقة الرئيس المنتخب معها شخصية . صحيح ان الجمعية الوطنية تمكس ، بممثليها المنفردين ، الجوانب المتعددة للروح القومية ولكن هذه الروح القومية تجد في الرئيس تجسيدا لها . وهو يملك ، بالمقارنة مع الجمعية الوطنية ، نوعا من الحق الالهي انه حاكم بتمنة الشعب .

ان فيتيذا ، الهة البحر ، تنبأت لاخليل بانه سيموت في ريعان الشباب . والدستور الذي كان له ، مثل اخليل ، نقطة ضعفه ، كان يساوره ، مثل اخليل ايضا ، هاجس بان المنية لا بد ان تعاجله . لم تكن هناك حاجة لفيتيذا الى ترك البحر قصد افشاء هذا السر لمؤسسي الجمهورية اي للجمهوريين الصرف اذ كان حسبهم ان يلقوا نظرة من السماء العالية لجمهوريتهم المثالية على العالم الدنس ليروا كيف ان عجرفة الملكيين والبونابرتيين والديموقراطيين والشيوعيين ، وكذلك ضياع اعتبارهم هم الجمهوريين ، كانا يزدادان يوميا بقدر ما كانوا يقاربون اتمام عملهم التشريعي الفني العظيم . لقد ارادوا ان يخدموا القدر بخدعة في الدستور ، من طريق المادة

١١١ منه ، التي يتحتم بمقتضاها ان يظفر كل الاقتراح لاعادة النظر في الدستور بتأييد ثلاثة ارباع الاصوات . على الاقل يدلى بها في ثلاث مناقشات متوالية يفصل فيما بينها شهر كامل ، هذا مع العلم انه ينبغي اشتراك ما لا يقل عن خمسمائة عضو من اعضاء الجمعية الوطنية في عملية التصويت ولكن ذلك لم يكن سوى محاولة عاجزة ترمي الى تأمين قوة لانفسهم حينما يصبحون اقلية برلمانية ، وهذا ما كانوا يستشفونه بصورة نبوية ، تأمين تلك القوة التي اخذت تغلت يوميا وباطراد من ايديهم الواهية ، حتى في هذه اللحظة وهم يسيطرون على الاكثية البرلمانية وعلى جميع وسائل السلطة الحكومية .

واخيرا اوكل الدستور امره ، في احدى فقراته الخاصة ، المضحكة المبكية ، الى «يقظة ووطنية الشعب الفرنسي بمجموعه وكل فرنسي بمفرده» ، وذلك بعد ان كان سابقا وفي مادة اخرى قد لوكل امر الفرنسيين «اليقظين» و«الوطنيين» الى العناية الناعمة الجزائية للمحكمة العليا - "haute cour" - التي ابتدعها عمدا لهذا الغرض .

هكذا كان دستور سنة ١٨٤٨ ، الدستور الذي لم يطح به في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ رأس السان بل هوى بلعسة من قبضته لا غير . الا ان هذه القبعة كانت ، من الصحيح ، قبعة نابوليونية ذات ثلاث زوايا .

بينما كان الجمهوريون البرجوازيون في الجمعية منهمكين في اختراع هذا الدستور ومناقشته والاقتراح عليه ، كان كافينياك يحتفظ خارج الجمعية بحالة الحصار في باريس . ان حالة انحصار في باريس كانت القابلة التي تساعد الجمعية التأسيسية في مخاض الجمهورية . واذا كان الدستور قد محي فيما بعد من الوجود

بالحراب فينبغي الا ننسى ان الحراب ايضا - الموجهة ضد الشعب - قد حمت هذا الدستور وهو في رحم امه وان الحراب ساعدته على رؤية النور ان اجداد «الجمهوريين الموقرين» قد مروا باوروبا كلها حاملين رمز الدستور ، اي العلم المثلث الالوان (٦٨) . ولكن «الجمهوريين الموقرين» بدورهم قد اخترعوا اختراعاً وجد بنفسه طريقه في جميع انحاء القارة ولكنه كان يعود الى فرنسا يحده حب لا يخمد ابداً بحيث اكتسب هذا الاختراع الجنسية الآن في نصف محافظاتها ان هذا الاختراع هو حالة الحصار وانه لاختراع مدهش يستخدم بصورة دورية في كل من الازمات التي تتعاقب الواحدة تلو الاخرى في مجرى الثورة الفرنسية ولكن الشكنة والمعسكر اللذين كانا ينيخان على هذا النحو بصورة دورية على المجتمع الفرنسي لكي يقمعا وعيه ويسكتاه ؛ والسيف والبندقية اللذين كان يسمح لهما بصورة دورية بان يؤديا دور القضاة والمديرين والاوصياء والمراقبين وان يقوموا بعمل الشرطي وبوظيفة الحارس الليلي ؛ والشارب والبزة العسكرية اللذين كان ينادى بهما بصورة دورية كاسمى حكمة في المجتمع وكمرشد له - لم يكن محتما لهذه الشكنة والمعسكر والسيف والبندقية والشارب والبزة العسكرية ان تخطر لها بالاحرى فكرة انقاذ المجتمع مرة واحدة والى الابد باعلان حكمها هي اعلى الاحكام وتحرير المجتمع البرجوازي بصورة تامة من مشقة الادارة الذاتية ؛ بل ان الشكنة والمعسكر والسيف والبندقية والشارب والبزة العسكرية كان محتوما ان تخطر لها هذه الفكرة خصوصا وانه كان بمستطاعها في هذه الحال ان تنتظر اجوراً نقدية اسخى على خدماتها الاسنى في حين انها لم تكن تتبلغ من مجرد حالة الحصار الدورية ومن عمليات انقاذ المجتمع العابرة تقوم بها بناء على

امر هذه الكتلة البرجوازية او تلك ، إلا ببلغ ضئيلة ، فيما عدا بعض القتل والجرحى وبعض التجهيم الودي يلوح على وجوه البرجوازيين . ولماذا لا يحاول العسكريون اخيراً ان يلمبوا لعبة حالة الحصار لمصلحتهم الخاصة ولمنفعتهم الخاصة وان يحاصروا في الوقت ذاته جيوب البرجوازيين ؟ وفضلاً عن هذا لا يجوز ان ننسى ، على سبيل الملاحظة العابرة ، ان العقيد برفار ، رئيس المجالس العسكرية نفسه الذي أبعد في عهد كافينياك خمسة عشر الفا من المتمردين دون محاكمة ، هو في هذه اللحظة للمرة الثانية على رأس المجالس العسكرية العاملة في باريس

واذا كان الجمهوريون الصرف ، «الموقرون» ، باعلانهم حالة الحصار في باريس ، قد غرسوا المستنبت الذي نما فيه فيما بعد بريتوريو الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ (٦٩) ، فلا بد من الاعتراف ايضاً بانهم يقومون بمأثرة من نوع آخر : فبدلاً من تسخير المشاعر القومية ، كما فعلوا ذلك في عهد لويس فيليب ، عمدوا الآن ، وهم يقبضون على كامل قوة الامة ، الى الحبو امام الاقطار الاجنبية ، وبدلاً من ان يحرقوا ايطاليا تركوها للنمساويين والنابوليين (٧٠) يستعبدونها من جديد . ان انتخاب لويس بوناپرت رئيساً للجمهورية في اليوم العاشر من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ قد وضع حداً لديكتاتورية كافينياك وللجمعية التأسيسية

تقول المادة الرابعة والاربعون من الدستور «لا يجوز ان يكون رئيس الجمهورية الفرنسية شخص فقد يوماً ما صفته كمواطن فرنسي» ان الرئيس الاول للجمهورية الفرنسية لويس نابوليون بوناپرت لم يكن قد فقد صفته كمواطن فرنسي فحسب ،

ولم يكن شرطياً خاصاً من الشرطة الانجليزية فحسب بل كان متجنساً بالجنسية السويسرية ايضاً (٧١)

لقد حث مفصلاً في غير هذا المكان مغزى انتخاب العاشر من كانون الاول (ديسمبر) * ولن اعود اليه هنا ويكفي ان اشير هنا الى انه كان ود فعل من الفلاحين ، الذين تربط عليهم ان يدفعوا نفقات ثورة شباط (فبراير) ، ضد الطبقات الباقية من الامة - ود فعل من الريف ضد المدينة . وقد صادف طفلاً كبيراً في الجيش الذي لم يقدم له جمهوريو "National" لا مجداً ولا زيادة في الرواتب ، ولدى البرجوازية الكبيرة التي حيث بوناپرت باعتباره جسراً الى الملكية ولدى البروليتاريا والبرجوازيين الصغار الذين حيوه باعتباره سوط عقاب لكافيتياك . ولسوف تتاح لي فيما بعد فرصة الخوض بصورة اكثر تدقيقاً في موقف الفلاحين من الثورة الفرنسية .

ان الفترة من العشرين من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ لغاية حل الجمعية التأسيسية في شهر ايار (مايو) ١٨٤٩ تشتمل على تاريخ سقوط الجمهوريين البرجوازيين فبعد ان أسس هؤلاء جمهورية للبرجوازية وطردوا البروليتاريا الثورية من الميدان واسكتوا البرجوازية الصغيرة الديمقراطية لفترة من الزمن ، طُرحوا هم انفسهم جانباً من قبل جمهرة البرجوازية التي استولت على هذه الجمهورية عن حق باعتبارها ملكاً لها . بيد ان هذه الجمهرة البرجوازية كانت ملكية . كان قسم منها ، وهو كبار مالكي الارض ، يحكم زمن العودة فكان بناء على ذلك شرعياً والقسم الآخر ،

* راجع كـ ماركس والنضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠ . القاصر .

وهو اقناب المال ورجال الصناعة الكبار ، كان يحكم اناء ملكية تموز (يوليو) وكان بالتالي لـ **أورليانيا** (٧٢) اما اصحاب المقامات العليا في الجيش وفي الجامعة والكنيسة ونقابة المحامين والاكاديمية والصحافة ، فكنا نجدهم موزعين بين كلا الجانبين وان بنسب مختلفة . وهنا ، في الجمهورية البرجوازية ، التي لم تكن تحمل لا اسم **بوربون** ولا اسم **أورليان** بل اسم **رأس المال** ، وجد هذان القسمان من البرجوازية شكل الدولة الذي استطاعا ان يسيطرا فيه صويلا . ان تمرد حزيران (يوليو) كان قد وحدهما في «حزب النظام» (٧٣) واليوم ان الاوان لاقضاء زمرة الجمهوريين البرجوازيين الذين كانوا ما يزالون يحتلون مواقعهم في الجمعية الوطنية . وبقدر ما كان هؤلاء الجمهوريون الصنف متوحشين في سوء استخدامهم للقوة البدنية ضد الشعب ، بقدر ما كانوا جناء ومتهافتين وخائرين ومتخاذلين وعاجزين عن القتال في تفهروهم ، عندما كان الامر يتطلب اللود من نزعهم الجمهورية وحقوقهم التشريعية ضد السلطة التنفيذية وضد الملكيين . ولست في حاجة لان اروي هنا تاريخ انحلالهم المعيب انهم لم يهلكوا بل انهم زالوا من الوجود لقد ادوا دورهم الى الابد . وسواء في داخل الجمعية او في خارجها كانوا يظهرون في الفترة التالية كاشباح الماضي فحسب ، اشباح كان يبدو انها تنبث ثانية كلما كان الامر يتناول مجرد اسم الجمهورية مرة اخرى ، وكلما كان النزاع الثوري يهدد بالهبوط الى المستوى الأدنى . واشير هنا بصورة عابرة الى ان صحيفة «National» التي اعطت اسمها لهذا الحروب ، انحازت الى الاشتراكية في الفترة التالية .

وقبل ان نفرغ من هذه الفترة لا بد لنا ان نلقي نظرة الى الورا على القوتين اللتين ابادتا احدهما الاخرى في ٢ كانون الاول

(ديسمبر) سنة ١٨٥١ ، بينما كالتا تعيشان متزاوجتين من ٢٠ كالون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ حتى توارى الجمعية التأسيسية ونحن نعتي بهما لويس بوناپرت من جهة وحزب الملكيين المؤتلفين ، حزب النظام ، حزب البرجوازية الكبيرة ، من جهة اخرى . ان بوناپرت قام ، فور توليه رئاسة الجمهورية ، بتشكيل وزارة من حزب النظام وضع على رأسها اوديلون بارو الزعيم القديم ، - ولنلاحظ هذا ، - للكتلة الاكثر ليبرالية من البرجوازية البرلمانية . لقد امسك المسيو بارو اخيراً بحقيبة وزارية كان شبحها يملأ عليه خياله منذ عام ١٨٣٠ ، فضلاً عن انها حقيبة رئيس الوزراء بيد انه توصل الى هذا على غير ما كان يحلم به في عهد لويس فيليب ، لا بصفته الزعيم الاكثر تقدماً للمعارضة البرلمانية بل كحليف لجميع خصومه الالاء ، اليسوعيين والشرعيين فضلاً عن ان مهمته هي اعدام البرلمان لقد جلب أخيراً العروس الى الكنيسة ولكن بعد ان تم انتهاك بكارتها . وبدا كان بوناپرت قد طمس نفسه تماماً فان حزب النظام كان يقوم بالعمل نيابة عنه .

وفي الاجتماع الاول بالذات لمجلس الوزراء تقرر توجيه الحملة العسكرية على روما وتم الاتفاق على ان يجري القيام بهذه الحملة من وراء ظهر الجمعية الوطنية وعلى ان تنتزع الاموال اللازمة لها من الجمعية الوطنية بذريعة كاذبة . وهكذا بدأت الوزارة نشاطها بغش الجمعية الوطنية وبالتآمر سراً مع الدول المستبدة في الخارج ضد الجمهورية الرومانية الثورية . وبالطريقة ذاتها وبالمناورات ذاتها اهد بوناپرت انقلابه في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ضد الجمعية التشريعية الملكية وجمهوريةها الدستورية . وينبغي الا ننسى ان الحرب نفسه الذي شكل وزارة

بونايرت في العشرين من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٤٨ كان يشكل الاكثرية في الجمعية الوطنية التشريعية في ٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ .

وفي شهر آب (اغسطس) قررت الجمعية التأسيسية الا تحل نفسها الا بعد الفراغ من وضع واصدار سلسلة كاملة من القوانين العضوية لاستكمال الدستور . وفي السادس من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ ، جعل حزب النظام نائبا يدمى راتو يقترح ان تدع الجمعية هذه القوانين العضوية وشأنها وان تتخذ بالاحرى قراراً بشأن حلها من تلقاء ذاتها . وليست الوزارة وحدها ، وعلى رأسها المسيو لوديلون بارو ، بله جميع النواب الملكيين في الجمعية الوطنية كانوا يرددون لها بلهجة الوعيد حينئذ بان حلها كان ضروريا لاعادة الثقة وتوطيد دعائم النظام ولوضع حد للوضع الموقت غير المحدد ولايجاد حالة من الاستقرار النهائي ، كما كانوا يرددون ان الجمعية تعرقل قيام الحكومة الجديدة بالنشاط المثمر وانها لا تريد اطالة بقائها الا بدافع العناد الشرير فحسب وان البلاد قد تعبت منها . واخذ بونايرت علماً بكل هذه الحملات على السلطة التشريعية وحفظها عن ظهر قلب واثبت للملكيين البرلمانيين في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ ، انه قد تعلم منهم بعض الشيء . فقد وجه شعاراتهم نفسها ضدهم .

ولم تقف وزارة بارو وحزب النظام عند هذا الحد . فقد استكتبوا هرافى الى الجمعية الوطنية في جميع انحاء فرنسا مطالبا بادب بان تشد الرحال . وهكذا قادوا الجماهير الشعبية غير المنظمة الى نيران المعركة ضد الجمعية الوطنية ، وهي التعبير لدستوري التنظيم من ارادة الشعب . لقد علموا بونايرت ان يلجأ الى الشعب ضد الجمعيات البرلمانية . واخيراً ، في ٢٩ كانون

الثاني (يناير) ١٨٤٩ ، حان اليوم الذي كان يترتب فيه حل الجمعية التأسيسية ان ثبت في امر حل نفسها . في هذا اليوم وجدت الجمعية التأسيسية البناية التي تعقد فيها جلساتها محتلة من قبل وحدات الجيش ، وهمد شانفارييه ، جنرال حزب النظام ، الذي اجتمعت في يديه القيماة العليا للحرس الوطني والجيش النظامي ، الى اقامة عرض عسكري كبير في باريس كما لو ان معركة حربية كانت على الابواب ، واعلن الملكيون المؤلفون للجمعية التأسيسية بلهجة التهديد والوعيد ان القوة ستستخدم لو ثبت انها غير موافقة . ولكنها ابدت موافقتها ، الا انها حصلت على المهلة القصيرة للغاية التي ساومت عليها وماذا كان التاسع والعشرون من كانون الثاني (يناير) غير *coup d'état* . الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ قام بتنفيذه الملكيون بالتحالف مع بوناپرت ضد الجمعية الوطنية الجمهورية ؟ ان السادة الملكيين لم يلاحظوا ، او لم يشاؤوا ان يلاحظوا ، ان بوناپرت استغل احداث اليوم التاسع والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ لكي يجعل قسما من الجيش يمر امامه قبالة قصر التويلري ، وانه اعتمد بشراة هذا الاستدعاء العلني الاول بالذات للقوة العسكرية ضد القوة البرلمانية لكي يلحق لهم الى كاليغولا (٧٤) . وبديهي انهم لم يروا سوى رجلهم شانفارييه .

ان احد الدوافع التي كانت تحفز حزب النظام بشكل خاص على تقصير اجل الجمعية التأسيسية بالقوة كان يكمن في القوانين العضوية المستكملة للدستور ، كقانون التعليم وقانون ممارسة الشعائر الدينية الخ .. لقد كان المهم للغاية بالنسبة للملكيين

المؤلفين ان يقوموا هم انفسهم بسن هذه القوانين والا يدعوا الجمهوريين الذين غدوا متشككين يسئولها بيد انه كان هنالك ايضا بين هذه القوانين العضوية قانون حول مسؤولية رئيس الجمهورية . وفي سنة ١٨٥١ كانت الجمعية التشريعية منهمكة في صياغة قانون كهذا القانون بالضبط ، عندما عاجل بونايرت حل coup د coup * الثاني من كانون الاول (ديسمبر) . والملكيون المؤلفون كانوا مستعدين لاعطاء كل شيء في اثناء حملتهم البرلمانية الشتوية سنة ١٨٥١ ليجدوا قانون مسؤولية رئيس الجمهورية جاهزا بين ايديهم ، حق ولو صاغته جمعية الجمهوريين المعادية والمتشككة !

بعد ان حطمت الجمعية التأسيسية بنفسها آخر سلاح لها في التاسع والعشرين من كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٩ قامت وزارة بارو واصدقاء النظام بمطاردتها بلا هوادة . انهم لم يضيعوا فرصة واحدة لاذلالها وانترحوا من الجمعية العاجزة واليائسة مر نفسها قوانين كلفتها آخر بقية من احترام كانت لها في عيون المجتمع . وكان لدى بونايرت ، الذي كانت تشغله فكرة النابوليوية الثابتة ، ما يكفي من الصفاقة لاستغلال هذا الحط من شان السلطة البرلمانية على ملا من الناس فعندما اتخذت الجمعية الوطنية ، في الثامن من ايار (مايو) ١٨٤٩ ، قرارا بلو . الوزارة بسبب احتلال تشيفيتاغيكيا من قبل الجنرال اودينو وامرتها بارجاع الحملة الرومانية الى غرضها المرسوم (٧٥) نشر بونايرت في ذلك المساء نفسه في "Moniteur" (٧٦) رسالة الى اودينو هناء فيها على مآثره البطولية واطهر نفسه ، على نقيض

البرلمانيين اهل القلم ، بمظهر الحامي للشهم للجيش وقابل
 الملكيون ذلك بالابتسام اذ كانوا على يقين بانه مجرد مغفل في
 ايديهم . واخيراً وعندما ظن ماراست ، رئيس الجمعية التأسيسية ،
 للحظة ان سلامة الجمعية الوطنية في خطر وقام ، استناداً الى
 الدستور ، باستدعاء احد العقداء وفوجه ، رفض العقيد ذلك
 مستنداً الى الانضباط واحال ماراست على شانغاربييه الذي
 رفض الطلب مشيراً بسخرية الى انه لا يحب *baïonnettes* *
 "intelligentes" وعندما استعد الملكيون المؤتلفون في شهر
 تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥١ لان يبدأوا صراعهم الحاسم ضد
 بوناپرت ، حاولوا ، عن طريق مشروع قانونهم السيئ الذكر
 المعروف باسم مشروع قانون الكويستور (٧٧) ، اقرار مبدأ
 استدعاء وحدات الجيش من قبل رئيس الجمعية الوطنية مباشرة .
 وقد وقع احد جنرالاتهم المدعو ليفلو على مشروع القانون .
 ولكن مبثا اقترح شانغاربييه الى جانبه واطرى تيير الحكمة البعيدة
 النظر التي كانت تتمتع بها المرحومة الجمعية التأسيسية . لقد
 اجابه وزير الحربية سان-لوفو بمثل ما اجاب شانغاربييه ماراست
 وذلك وسط تصفيق والجل !

وهكذا فان حزب النظام ، عندما لم يكن بعد سوى الوزارة ،
 لا الجمعية الوطنية ، قام بنفسه بتلطيح سمعة الحكم البرلماني .
 وهو يرفع عقيرته صائحاً عندما طرد انقلاب اليوم الثاني من كانون
 الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ هذا الحكم من فرنسا !
 اننا لنتقن له سقراً ميموناً !

٣

في ٢٨ ايار (مايو) سنة ١٨٤٩ انعقدت الجمعية الوطنية التشريعية وفي ٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ حلت وهذه الفترة تشمل عمر الجمهورية الدستورية او البرلمانية .

في الثورة الفرنسية الاولى تعاقب الدستوريون فالجبرونيديون فاليعاقبة (٧٨) على الحكم وكان كل حزب من هذه الاحزاب يعتمد على الحزب الاكثر منه تقدمية وحالما كان كل حزب يوصل الثورة الى مدى لا يستطيع بعده ان يسايرها ، بله ان يتزعمها ، كان يُطرح جانباً من لبل الحليف الاجراً الذي يقف وراءه ويرسل الى المقصلة . وهكذا كانت الثورة تسير في خط صاعد

عكس ذلك حدث في ثورة سنة ١٨٤٨ فان الحزب البروليتاري يبدو فيها كتابع للحزب الديموقراطي البرجوازي الصغير . وقد خانه هذا الحزب الاخير وساعد على اسقاطه في السادس عشر من نيسان (ابريل) (٧٩) وفي الخامس عشر من ايار (مايو) وفي ايام حزيران (يونيو) . والحزب الديموقراطي كان يستند بدوره الى اكتاف الحزب الجمهوري البرجوازي ولكن ما ان ظن الجمهوريون البرجوازيون ان الامور قد استقرت لهم حق نفضوا عنهم رفيقهم المزعج واستندوا الى اكتاف حزب النظام غير ان حزب النظام هر بكتفيه وترك الجمهوريين البرجوازيين يسقطون وسارع الى القاء نفسه على اكتاف القوة المسلحة وتوهم هذا الحزب انه كان ما يزال يجلس على اكتافها عندما رأى هذه الاكتاف ذات صباح جميل وقد استعالت الى حراب كان كل حزب يركل الحزب الذي يدفعه من وراء ، وكان في الوقت نفسه يدفع ظهر الحزب الذي امامه والذي يدفع به الى

الوراء . فلا حجب ان يفقد توازنه وهو في هذا الوضع المضطرب وان يهوي بتقطيحات الوجه التي لا بد منها وهو ينط نطات هزينة . وهكذا كانت الثورة تسير في خط نازل . ولقد وجدت نفسها في هذه الحال من الحركة التقهقرية قبل ان يزول آخر متراس من متاريس شباط (فبراير) وتشكل اول سلطة ثورية

ان الفترة التي نحن بصدها تضم خليطا من المتناقضات الصارخة مبرقشا الى اقصى حد دستوريون يتآمرون علنا ضد الدستور ؛ ثوريون يعترفون بصراحة بانهم انصار الاعمال في اطار الدستور ؛ جمعية وطنية تريد ان تكون كلية القدرة ، وتظل دائما برلمانية ؛ حزب « الجبل » الذي يجد دعوته في الصبر والذي يعوض عن هزائمه الحالية بالتنبؤ بانتصارات مقبلة ؛ ملكيون في دور *patres conscripti* الجمهورية ومرغمون بحكم الظروف على ان يبقوا خارج البلاد البيوت المالكة المتعادية التي يشايعونها وعلى ان يدعموا في فرنسا الجمهورية التي يكرهونها ؛ سلطة تنفيذية تجد قوتها في ضعفها ذاته ومكانتها في الاحتقار الذي تثيره في النفوس ؛ الجمهورية ليست سوى الجمع بين القدر جوانب ملكيتين عهد العودة وملكية تموز (يوليو) وعليه لافحة امبراطورية ؛ احلاف تقوم على الانفصال ؛ كفاحات قائلونها الاساسي عدم السير بها الى النهاية ؛ تهيج طائش اجوف باسم السكينة ؛ اوكد انواع التبشير بالسكينة باسم الثورة ؛ عاطفة بلا صدق وصدق بلا عاطفة ؛ ابطال بلا بطولات وتاريخ بلا احداث ؛ تطور يبدو ان القوة الدافعة الوحيدة له هي التقويم الزمني ، تطور مرهق بسبب من دوام تكرار ذات

النهضات والسقطات ؛ معاكسات يبدو كأنها لا تتأزم دورياً حتى تبلغ الأوج الا لتفقد حدتها بعد ذلك ولتسقط دون ان تستطيع الوصول الى حل ؛ جهود تعرض بمباهاة وادعاء ورعب تافه من خطر نهاية العالم الزاحفة في وقت ينصرف فيه مخلصو العالم الى احقر المكائد والى مهازل البلاط فلا يذكروننا ، بسبب من لامبالائهم ، بيوم الحساب بقدر ما يذكروننا بايام الفروند (٨٠) ؛ كل العبقرية الرسمية لفرنسا كلها تفتدو صفراً امام الحمالة الماكرة لفرد واحد ؛ الارادة الجماعية للامة ، كلما تفصح عن ذاتها من طريق الاقتراح الشامل ، تبحث عن التعبير الملائم عن نفسها في الاعداء اللدء لمصالح الجماهير حتى تجده آخر الامر في ارادة قرصان واحد . ولو ان حقبة من التاريخ طليت بلون رمادي على رمادي لكانت هي هذه الحقبة بالضبط ان الناس والاحداث يظهرون كجليملات معكوسة ، كظلال فقدت اجسامها فاثورة نفسها تشل اولئك الذين يحملون اعباءها وتمنح خصومها وحدهم قوة الحنف الفائرة . وعندما يظهر اخيراً والشبح الاحمر ، الذي يستحضره دعاة الثورة المعاكسة ويطردونه باستمرار ، فهو لا يظهر والقبعة الفريجية الفوضوية (٨١) فوق رأسه بل يظهر في بزة النظام ، في سراويل حمراء

لقد رأينا ان الوزارة التي نصبها بونابرت في العشرين من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ ، يوم اعتلائه سدة الرئاسة ، كانت وزارة من حزب النظام ، وزارة الائتلاف الشرصي والاورلياني وقد عاشت وزارة بارو-فالو هذه بعد زوال الجمعية التأسيسية الجمهورية التي قصرت الوزارة اجلها بالحنف قل او كثر ، ووجدت نفسها ما تزال تقبض على زمام السلطة . وقد ظل شانغارنييه ، جنرال الملكيين المؤتلفين ، يجمع في

لمنحه القيادة العليا لفرقة الجيش الاولى وللحرس الوطني في باريس واخيراً امنت الانتخابات العامة لحزب النظام اقلية ضخمة في الجمعية التشريعية . وقد واجه نواب لويس فيليب ونبلاؤه هنا جيشاً مقدساً من الشرعيين تحولت بطاقات الاقتراع العام الكثيرة بالنسبة لهم الى بطاقات لدخول المسرح السياسي اما النواب البوناپرتيون فقد كانوا من ضالة العدد بحيث تعذر عليهم ان يشكلوا حزباً برلمانياً مستقلاً فظهروا بمظهر *mauvaise queue* لحزب النظام وهكذا استولى حزب النظام على السلطة الحكومية وعلى الجيش والهيئة التشريعية ، وبكلمة ، على سلطة الدولة بكاملها التي تعززت معنوياً بالانتخابات العامة التي جعلت سيطرة حزب النظام تظهر كأنها تعبير عن ارادة الشعب وبالانتصار الذي احرزته الثورة المضادة في الوقت ذاته في القارة الاوروبية باكملها

لم يسبق ان افتتح حزب من الاحزاب حملته وهو يتمتع بموارد الضخم او يحظى بطالع ايمن .

اما **الجمهوريون** **الصرف** الذين تحطمت بهم السفينة ، فلم يبقوا في الجمعية الوطنية التشريعية الا زمرة مؤلفة من حوالي خمسين رجلاً وعلى رأسها الجنرالات الافريقيون كافينياك ولاموريسير ، ويبدو بيد ان حزب المعارضة الكبير كان يتألف من «**الجبيل**» ، وهذا اسم برلماني اطلقه الحزب الاشتراكي-الديموقراطي على نفسه وقد كان له في الجمعية الوطنية ما ينيف على مائتي صوت من ٧٥٠ صوتاً ولهذا فقد كان له من القوة ما يعدل على الاقل قوة اية كتلة من الكتل الثلاث التي

تولف حزب النظام لو احدث على افراد . اما اقليته العديده النسبية ، بالمقارنة مع الائتلاف الملكي بأكمله ، فقد كان يبدو ان ظروفها خاصة عوزت عنها . فالانتخابات التي جرت في المقاطعات لم تبين انه كسب اتباعا كثيرين بين سكان الارياف فحسب بل كان يعد في صفوفه جميع نواب باريس تقريبا وقد كشف الجيش عقائده الديموقراطية بانتخابه ثلاثة من ضباط الصف ، كما ان زعيم «الجبلة» ، ليدرو-رولان ، على نقض ممثلي حزب النظام جميعا ، رفعته الى شرف عضوية البرلمان خمس مقاطعات اجتمعت على تقديم اصواتها له ونظراً للاصطدامات التي كان لا مناص من وقوعها فيما بين الملكيين انفسهم ، وبين حزب النظام بأكمله وبين بوناپرت ، فقد كان يبدو ان كل عناصر النجاح كانت بذلك متوفرة لحزب «الجبلة» في الثامن والعشرين من ايار (مايو) سنة ١٨٤٩ ولكنه بعد اسبوعين كان قد فقد كل شيء ، بما في ذلك الشرف .

ولبل ان نواصل تتبعنا للتاريخ البرلماني لا بد ان نبدي بعض الملاحظات لتفادي الاخطاء الشائعة لدى تقدير الطابع العام لهذه الحقبة التي امانا اذا نظرنا الى فترة الجمعية الوطنية التشريعية بعبون الديموقراطيين فسنجد ان ما عنيت به هذه الفترة هو نفس ما عنيت به فترة الجمعية التأسيسية الصراع البسيط بين الجمهوريين والملكيين اما الحركة نفسها فهم يلخصونها في كلمة واحدة هي «الوجهية» ، اي الليل اذ تبدو القطط كلها فيه رمادية ، ويسمح للديموقراطيين بان يكرروا على الاسماع بلا حائق العبارات السطحية المعهودة التي يرددها الحارس الليالي والحق ان حزب النظام يبدو لنا ، لأول وهلة ، عبارة من متاهة محيرة من التكتلات الملكية المختلفة التي لا

تتآمر احداها ضد الاخرى فحسب - لكي تجلس على العرش من
تأييده من المدعين به وتقصى عنه المدعي الذي تأيده الكتلة
المعارضة - بل هي كلها قد جمعتها ايضا الكراهية المشتركة
والجمهورية ، والنضال المشترك ضدها وعلى النقيض من هؤلاء
المتآمرين الملكيين يظهر «الجبل» من جهته كمدافع عن
«الجمهورية» ان حزب النظام يبدو منهما على الدوام في حملة
«رجعية» موجهة ضد الصحافة والجمعيات وما شاكل ذلك
بصورة لا تزيد ولا تقل عما هو حاصل في بروسيا ، ويتم
تنفيذها ، كما هو في بروسيا ايضا ، في شكل تدخل بوليسي
وحشي من جانب البيروقراطية والدرك والمحاكم و«الجبل»
من جهته منهمك ايضا ، كأنهمالك حزب النظام تماما ، بصورة
متواصلة في صد هذه الهجمات والدفاع عن «حقوق الانسان
السرمدية» كما فعل ، الى هذا الحد او ذاك ، خلال فترة القرن
ولصف القرن الاخيرة ، كل حزب من هذه الاحزاب التي تسمى
احزاب الشعب . ولكن اذا جلل المرء الوضع والاحزاب بمزيد
من الامعان ، لاختفى هذا المظهر السطحي الذي يعجب الصراخ
الطباقي والسيما المميزة لهذه الفترة

ان الشرعيين والاورليانيين كانوا يشكلون ، كما قلنا ،
الكتلتين الكبيرتين اللتين تآلف منهما حزب النظام ترى ، ألم
يكن ما شد كلا من هاتين الكتلتين الى المدعي بالعرش الذي
تريده وما فصل هاتين الكتلتين الواحدة عن الاخرى سوى الزبقة
(٨٢) ، والعلم المثلث الالوان ، سوى آل بوربون وآل اورليان
او الانواع المختلفة من النوعة الملكية ؟ هل كانت المسألة كلها
مسألة اعتقاد بالملكية ؟ ان الملكية العقارية الكبيرة هي التي
كانت تحكم في عهد اسرة بوربون ، مع كهاها وخدمها ، بينما

كان سلطان رأس المال - أي الصناعة الكبيرة ، والتجارة الكبيرة وارستقراطية المال - وحاشيته المؤلف من المحامين والاساتذة والخطباء المداعنين هو الذي يحكم في عهد آل اورليان . ان الملكية الشرعية لم تكن الا التعبير السياسي من الحكم الوراثي لمالكي الارض ، كما ان ملكية تموز (يوليو) لم تكن الا التعبير السياسي من الحكم الذي اغتصبه حديثو النعمة البرجوازيون . ان ما فصل هاتين الكتلتين الواحدة عن الاخرى لم يكن لهذا السبب ما يسمى بالمبادئ بل كان شروط البقاء المادية لكل منهما ، كان نوعين مختلفين من الملكية ، كان التناقض القديم بين المدينة والريف ، المنافسة بين رأس المال والملكية العقارية . اما ان الذكريات القديمة والخصومات الشخصية ، والمظروف والامال ، والخرافات والادعوى ، ومشاعر العطف والكراهية ، والمعتقدات ورموز الايمان ، والمبادئ ، قد ربطتهم في الوقت نفسه ايضا الى هذا البيت المالك او ذاك فمن ذا الذي ينكر هذا ؟ ففوق الاشكال المختلفة للملكية ، فوق شروط البقاء الاجتماعية ، ينهض بناء فوقي كامل من المشاعر والادعوى والنماط التفكير ووجهات النظر الى العالم ، المتميزة بعضها من بعض والمشكلة تشكيلا خاصا . ان الطبقة بامرها تخلقها وتكونها على اساس شروطها المادية وعلى اساس العلاقات الاجتماعية التي تقابلها . ولقد يتصور الشخص الفرد الذي يستمد هذه المشاعر والآراء تقليديا من العرف والتربية انها هي التي تشكل البواض الحقيقية ونقطة البدء في تصرفه . فبينما كان الاورليانيون والفرعويون ، بينما كانت كل كتلة تسمى لتجعل نفسها وتجعل الكتلة الاخرى تعتقد ان ما كان يفصلهما اما هو الولاء لبيئتهما المالكين ، اثبتت الحقائق فيما بعد ان تضاد مصالحهما هو الذي

كان يحول بالاحرى دون توحيد البيتين المالكين . وكما ان المرء يفرق في الحياة العادية بين ما يحمله الانسان من رأي وما يقوله عن نفسه وبين ما هو عليه في الواقع وما يفعله ، هكذا ايضا في الصراعات التاريخية لا بد للمرء بالاحرى ان يميز بين اقوال الاحزاب وتخيلاتها وبين طبيعتها الحقيقية ومصالحها الحقيقية ، بين فكرتها عن نفسها وبين حقيقتها . لقد وجد الاورليانيون والشرميون انفسهم جنبا الى جنب في الجمهورية ولهم ادعاءات متساوية . واذا كان كل جانب يسعى الى إعادة بيته المالك ضد الجانب الآخر فهذا لا يعني سوى ان كلا من الكتلتين الكبيرتين التي انقسمت اليهما البرجوازية - الملكية العقارية والراسمال المالي - كانت تسعى الى اعادة سيادتها واخضاع الاخرى لها ونحن نتحدث عن كتلتين اثنتين للبرجوازية لان الملكية العقارية الكبيرة ، على الرغم من دلها الاقطاعي ومن فخرها بحسبها ونسبها ، قد غدت برجوازية تماما بفعل تطور المجتمع الحديث . وهكذا تصور التوريون (٨٣) في انجلترا مدة طويلة انهم كانوا متحمسين للسلطة الملكية والكنيسة ومواطن الجمال في الدستور الانجليزي القديم حتى جاء يوم الخطر فانتزع منهم الاعتراف بانهم متحمسون للريخ الطقاري وحده

ان الملكيين المؤلفين كانوا يكيدون بعضهم البعض في الصحف ، وفي ايمز وفي كليرمونت (٨٤) ، خارج البرلمان . ووراء الكواليس كانوا يرتدون من جديد حللهم الاورليانية والشرعية القديمة وينهمكون من جديد في مبارزتهم القديمة اما على المسرح العام فقد كانوا ، في تمثيلياتهم وبصفتهم حزبا برلمانيا كبيرا ، يكتفون بالحناءات الاحترام امام البيتين المالكين ويوجلون

اعادة الملكية *in infinitum* * وكانوا يؤدون ضلهم الحقيقي بوصفهم حزب النظام ، اي في صفة اجتماعية لا صفة سياسية ، بوصفهم ممثلي النظام البرجوازي العالمي ، لا فرسانا لأميرات جوالات ، بوصفهم الطبقة البرجوازية ضد سائر الطبقات ، لا ملكيين ضد جمهوريين . وبوصفهم حزب النظام كانوا يمارسون سلطانا اقل تقييدا واشد وطأة على الطبقات الاخرى في المجتمع من اي سلطان مارسوه في وقت من الاوقات في عهد العودة او عهد ملكية تموز (يوليو) ، سلطانا لم يكن ممكنا بصورة عامة الا في ظل شكل الجمهورية البرلمانية لانه لا يمكن ، الا في ظل هذا الشكل ، للكتلتين الكبيرتين من البرجوازية الفرنسية ان تتحدا وان تدرجا بذلك في جدول الاعمال حكم طبقتهما لا حكم كتلة ذات امتياز منها واذا كانوا ، برغم ذلك ، بوصفهم حزب النظام ، لقد اهلوا الجمهورية ايضا واهربوا عن نفورهم منها فان هذا لم يكن يحدث بسبب الذكريات الملكية فحسب فان الضريبة لوحث لهم ان الجمهورية هي ذروة حكمهم السياسي ، بيد انها تقوض في الوقت نفسه اساسه الاجتماعي لانه كان عليهم ان يواجهوا الآن الطبقات المقهورة ويتنازعوا معها مباشرة ، بدون التغطية التي هي التاج ، بدون صرف اهتمام الامة بالصراعات الثانوية التي تدور بينهم ومع الحكم الملكي . ان الشعور بالضعف هو الذي دعاهم الى النكوص عن الشروط الخالصة لحكم طبقتهم ذاتها والى الحنين الى الاشكال السابقة لهذا الحكم ، الاشكال الاقل كمالا ، والاقل تطورا ، ولهذا السبب بالذات الاقل خطرا بالعكس ، كلما كان الملكيون المؤتلفون يصطدمون بالمدهي

بالعرش المعادي لهم ، اي ببوناپرت ، وكلما كانوا يعتقدون ان
سلطانهم البرلماني الكلي في خطر من السلطة التنفيذية ، وكلما كان
يترتب عليهم بالتالي وبالدرجة الاولى ان يشتوا صفتهم السياسية
التي تعطيه الحق في حكمهم ، كانوا يظلمون على الناس كجمهوريين
لا ملكيين ، ابتداء من تيير الاورلياني الذي اكد للجمعية الوطنية
ان مسألة الجمهورية تفرقهم الى اقل مدى ممكن ، وانتهاء برييه
الشرعي الذي وقف ، في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ،
وبصفته مخاطبا عن الامة مقمطا بوشاح مثلث الالوان يجلجل باسم
الجمهورية في الناس المحتشدين امام دار بلدية الدائرة العاشرة
صحيح ان صدى ساخراً كان يجاوبه قائلا : *Henri V ! Henri V !*
وفي بواحة الائتلاف البرجوازي ، قام ائتلاف بين البرجوازيين
الصغار والعمال ، وهو ما يدعى بالحزب الاشتراكي الديمقراطي .
فالبرجوازيون الصغار راوا انهم كوفئوا مكافاة سيئة بعد ايام
حزيران (يوليو) ١٨٤٨ وان مصالحهم المادية قد منيت
بالخسائر وان الضمانات الديمقراطية التي كان عليها ان تؤمن
لهم امكانية الدفاع عن هذه المصالح قد وضعتها الثورة المعاكسة
موضع تساؤل وبناء على ذلك ، تقربوا من العمال ومن
جهة اخرى ، عاد ممثلهم البرلماني ، «الجبيل» الذي طرح جانبا
اثناء ديكتاتورية الجمهوريين البرجوازيين ، وظفر من جديد ،
في النصف الاخير من حياة الجمعية التأسيسية ، بشعبيته السابقة
وذلك بفضل الصراع ضد بوناپرت والوزراء الملكيين . وقد عقد
«الجبيل» حلفا مع الزعماء الاشتراكيين . وفي شهر شباط (فبراير)
١٨٤٩ اقيمت الالانم احتفالا بالمصالحة ووضع المتحالفون

برنامجاً مشتركاً وشكلوا لجناً انتخابية مشتركة وقدموا مرشحين مشتركين وقد جُرِّدَت المطالب الاجتماعية للبروليتاريا من العدة الثورية وصُيِّبَت بصيغة ديموقراطية ، بينما جُرِّدَت المطالب للديموقراطية للبرجوازية الصغيرة من الشكل السياسي البحت السابق وصُيِّبَت بصيغة اشتراكية . وهكذا نشأ الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . اما «الجيل» الجديد ، وهو نتيجة هذه المساومة ، فقد كان يضم ، بصرف النظر عن بعض الافراد التافهين من الطبقة العاملة وبعض من المنزولين الاشتراكيين ، نفس العناصر التي كان يضمها حزب «الجيل» القديم ، والفرق الوحيد ان عدد هذه العناصر كان اكثر . بيد انه قد تغير في مجرى التطور ، مع تغير الطبقة التي كان يمثلها ان الطابع المميز للحزب الاشتراكي-الديموقراطي يتجلى في كونه يطالب بالمؤسسات الجمهورية الديمقراطية كوسيلة لا لازالة نقيضين هما : رأس المال والعمل المأجور بل لاضعاف تناحرهما وتحويله الى انسجام ومهما اختلفت الوسائل المقترحة لبلوغ هذه الغاية ومهما كانت التصورات التي تزدان بها ثورية الى هذا الحد او ذاك ، فان المفزى يبقى واحداً ، الا وهو تحويل المجتمع بطريقة ديموقراطية ولكنه تحويل ضمن حدود البرجوازية الصغيرة . غير انه لا يجوز للمرء ان يكون فكرة ضيقة الافق تزعم ان البرجوازية الصغيرة ترغب ، من حيث المبدأ ، في تحقيق مصلحتها الطبقية الانانية . انها تعتقد بالعكس ان الشروط الخاصة لانتمائها هي في الوقت ذاته الشروط العامة التي لا يمكن انقاذ المجتمع المصري وتفادي النضال الطبقي فيه الا ضمن نطاقها . كذلك لا يجوز للمرء ان يتصور ان ممثلي الديموقراطية هم جميعاً بالفعل من اصحاب الحوانيت او مدافعون متحمسون من اصحاب الحوانيت . فانهم بحسب تعليمهم ووضعهم

الفردى قد يكونون بعيدى من ذلك بعد السماء من الارض ان ما يجعلهم ممثلين للبرجوازية الصغيرة هو انهم عاجزون من ان يتعدوا في تفكيرهم النطاق الذي لا تتعداه حياة البرجوازيين الصغار ، وانهم يتوصلون بالتالى ، نظريا ، الى القضايا والحلول ذاتها التي تساق البرجوازية الصغيرة اليها عمليا بدافع مصلحتها المادية ووضعها الاجتماعى هذه ، بصورة عامة ، هي العلاقة بين الممثلين السياسيين والفكرين لطبقة من الطبقات وبين الطبقة التي يمثلونها

بعد التحليل الذي قدمناه يكون من الواضح ان «الجبل» ، اذ يناضل بصورة متواصلة ضد حزب النظام من اجل الجمهورية وما يسمى بحقوق الانسان ، فلا تكون الجمهورية ولا حقوق الانسان هدفه النهائي شأنه في ذلك شأن جيش يريدون ان يجردوه من سلاحه فيقاوم ويخوض المعركة لا من اجل الاحتفاظ بسلاحه وحسب .

على اثر انعقاد الجمعية الوطنية مباشرة عمد حزب النظام الى استفزاز «الجبل» لقد شعرت البرجوازية الآن بضرورة القضاء على البرجوازية الصغيرة الديموقراطية تماما مثلما ادركت قبل عام ضرورة القضاء على البروليتاريا الثورية . ولكن وضعية الخصم كانت تختلف هذه المرة فقوة الحزب البروليتارى كانت في الشوارع بينما كانت قوة البرجوازيين الصغار في الجمعية الوطنية نفسها . فالقضية اذن كانت قضية استدراجهم من الجمعية الوطنية الى الشوارع وجعلهم يحطمون بانفسهم قوتهم البرلمانية ، قبل ان يتسنى توطيدها بفعل الزمن والظروف . واندفع «الجبل» الى الشرك على غير هدى .

ان قصف روما بالمدفعية من قبل القوات الفرنسية كان الطعم

الذي أُلقي به إليه . لقد كان هذا يشكل خرقاً للمادة الخامسة من الدستور التي تحظر على الجمهورية الفرنسية استخدام قواتها العسكرية ضد حرية شعب آخر . وفضلاً عن ذلك تحظر المادة الرابعة والخمسون على السلطة التنفيذية اعلان الحرب دون موافقة الجمعية الوطنية ، كما ان الجمعية التأسيسية كانت قد شجبت الحملة الرومانية ، في قرارها الذي اتخذته في الثامن من ايار (مايو) . وبناء على هذا ، قدم ليدورولان للجمعية لائحة اتهام ضد بونايرت ووزرائه في اليوم الحادي عشر من حزيران (يونيو) ١٨٤٩ . واذا احتفظت ليدورولان قوارص الكلام التي كان يطلقها تير ، فقد سمح لنفسه ان ينحرف الى درجة التهديد بانه سوف يدافع عن الدستور بكل الوسائل وحتى مقوّة السلاح . وقام اعضاء «الجبل» قومة رجل واحد وكرروا هذه الدعوة الى السلاح . وفي اليوم الثاني عشر من حزيران (يونيو) رفضت الجمعية الوطنية لائحة الاتهام وترك «الجبل» البرلمان . اما حوادث الثالث عشر من حزيران (يونيو) فمعروفة : البيان الذي اصدره فريق من «الجبل» والذي اعلن فيه بونايرت ووزرائه «خارجين على الدستور»؛ الموكب الذي نظمه في الشوارع افراد الحرس الوطني الديموقراطيون الذين تشبثوا ، وهم غير المسلحين ، عند التقائهم بقوات شانغارنييه ، الخ . الخ . . وقد فر قسم من «الجبل» الى الخارج ، وقدّم قسم آخر الى المحاكمة امام المحكمة العليا في بورجيه ، بينما اخضع الباقون ، كالتلامذة ، وفقاً للنظام البرلماني ، لرقابة حقيرة يمارسها رئيس الجمعية الوطنية . واهلنت حالة الحصار في باريس مرة اخرى وحل الجزء الديموقراطي من الحرس الوطني الباريسي . وهكذا صُنّي نفوذ «الجبل» في البرلمان وقوة البرجوازيين الضغار في باريس

ان مدينة ليون ، حيث اصبحت حوادث اليوم الثالث عشر من حزيران (يوليو) اشارة لانتفاضة دموية قام بها العمال ، قد اعلنت فيها كذلك هي وخمس مقاطعات مجاورة لها حالة الحصار التي ما تزال سارية المفعول هناك حتى اللحظة الراهنة .

ان الشطر الاعظم من اعضاء «الجبل» قد خانوا طليعتهم اذ رفضوا توقيع البيان الذي اصدره . كذلك فرت الصحافة من الميدان ، ولم يجروا غير صحيفتين على نشر هذا البيان . وخان البرجوازيون الصغار ممثليهم وذلك اما بعدم حضور افراد الحرس الوطني او بعزلتهم بناء المتاريس حيشما ظهروا . وخدع الممثلون البرجوازيين الصغار اذ لم يظهر اي اثر لحلفائهم المزعومين في الجيش . ثم ان الحزب الديموقراطي اخيراً ، بدلا من ان يكتسب المزيد من القوة من البروليتاريا ، اصابها هو بعدوى ضعفه وكما هو شأن جلائل الاعمال التي يقوم بها الديموقراطيون عادة ، خسر الزعماء بالرضى اذ استطاعوا ان يتهموا «شعبهم» بالخيانة وخسر الشعب بالرضى اذ استطاع ان يتهم الزعماء بالتدجيل عليه .

قلما اُعلن عن اجراء من الاجراءات بضجيج يفوق ذلك الذي اعلن به عن الحملة التي كان «الجبل» يوشك على القيام بها ، وقلما دوت الابواق بحدث من الاحداث في فقة اعظم وقليل وقوعه بمدة اطول ، كما جرى ذلك هذه المرة حول الاعلان عن حتمية انتصار الديموقراطية ان الديموقراطيين يؤمنون بلا شك بقوة الابواق التي نهارت امام اصواتها اسوار اريحا (A8) وهم يسعون ، كلما وقفوا امام اسوار الاستبداد ، الى تقليد هذه المعجزة . فلو ان «الجبل» اراد ان ينتصر في البرلمان ، لما كان له ان يدعو الى اللجوء الى السلاح ، ولو دعا الى اللجوء الى السلاح في البرلمان لما كان يجوز ان يتصرف تصرفا برلمانيا في الشوارع . ولو كان ينوي

جديا القيام بمظاهرة سلمية ، لكان من الحمالة الظن انها لن تستقبل استقبالا حريبا . ولو كان يقصد الكفاح الحقيقي ، لكان من غريب التفكير ان يلقي السلاح الذي به يخاض الكفاح . ولكن التهديدات الثورية التي يطلقها البرجوازيون الصغار وممثلوهم الديموقراطيون هي مجرد محاولات لارهاب الخصم . فعندما يقع هؤلاء في مازق ، عندما يكونون قد اوقعوا انفسهم في الشبهات لدرجة يتحتم عليهم معها ان يضعوا تهديداتهم موضع التنفيذ ، حينذاك يفعلون هذا بطريقة غامضة ولا يتفادون شيئا اكثر من الوسائل اللازمة لبلوغ الغاية ويسعون وراء الدرائع للانهزام فالافتتاحية المدوية التي تعلن بدء الكفاح تفدو هممة وجلة ما ان يبلغ الامر حد الكفاح بالذات ؛ اذ ذلك يتوقف الممثلون عن اخذ الامور مأخذ الجد وتتوقف التمثيلية ، وتتلاشى كالفقاعة التي وخرتها ابرة .

ما من حزب يبالغ في تقدير الوسائل المتوفرة لديه اكثر من الحزب الديموقراطي وما من حزب يخدع نفسه من حقيقة الوضع باستخفاف اكثر منه . فبما ان قسما من الجيش اقترح لحزب «الجبيل» فقد اصبح هذا الحزب الآن على يقين من ان الجيش سوف يشور من اجله . وفي اية مناسبة ؟ في مناسبة لم يكن لها في نظر الجنود من معنى سوى ان الثوريين انحازوا الى جانب الجنود الرومانيين ضد الجنود الفرنسيين . ومن ناحية اخرى كانت ذكريات ايام حزيران (يوليو) ١٨٤٨ الضر من ان تسمح باي شيء سوى المقت الشديد من جانب البروليتاريا تجاه الحرم الوطني والارتياح التام بالقادة الديموقراطيين من جانب قادة الجمعيات المرية . ولكي تتسنى تسوية هذه الخلافات ، كان لا بد من ان تكون هنالك مصالح جديّة مشتركة معرضة للخطر . وخرق بفترة مجردة

من فقرات الدستور لا يمكن ان يبحث مثل هذا الاهتمام الم يخرق الدستور مراراً عديدة ، بحسب تأكيدات الديموقراطيين انفسهم ! الم تصه اكثر الجرائد شعبية بانه شيء من صنع اعداء الثورة ! بيد ان الديموقراطي ، لانه يمثل البرجوازية الصغيرة ، اي طبقة **التقالية** تتشلم فيها مصالح طبقتين بصورة متبادلة ، يتصور لهذا السبب انه فوق التناحر الطبقي بصورة عامة والديموقراطيون يسلمون بانهم يواجهون طبقة ذات امتيازات ولكنهم هم ، مع سائر فئات الامة ، يشكلون **الشعب** . ان ما يدافعون عنه ، هو ، كما يقولون ، **حقوق الشعب** وما يعبرون عنه ، هو ، كما يقولون ، **مصالح الشعب** . ولذلك ليست بهم من حاجة ، عندما يوشك صراع على النشوب ، لان يتفحصوا مصالح الطبقات المختلفة ومواقفها . وليست بهم من حاجة لان يزنوا وسائلهم نفسها بميزان النقد الدقيق . كل ما عليهم هو ان يعطوا الاشارة وعندما ينقض **الشعب على الظالمين** ، بكل ما لديه من وسائل لا تنفذ . اما اذا تبين ان مصالحهم لا تهم الآخرين وان قوتهم هي عجز ، فاما ان يكون الذنب حينئذ هو ذنب لولئك السفسطين المؤذين الذين يشقون صفوف **الشعب غير المنقسم** الى معسكرات متعادية مختلفة واما ان الجيش قد توحش او انعمى لدرجة تعذر عليه معها ان يدرك ان الاهداف الخالصة للديموقراطية هي احسن الاشياء بالنسبة له هو نفسه ، واما ان تكون القضية كلها فشلت من جراء خطأ في التفاصيل ارتكب اثناء التنفيذ ، ولما ، اخيراً ، ان تكون صدفة غير متوقعة قد آلت بالقضية الى الفشل في هذه المرة . وعلى اية حال يخرج الديموقراطي من اشد العزائم خزيًا طاهر الدليل بقدر ما كان بريئًا عندما دخل فيها ، بعد ان يكون قد تعزز اقتناعه بانه لا بد ان ينتصر ، وانه لا ينبغي عليه

هو وحزبه ان يتخليا عن موقفيهما القديم بل بالعكس ، فان الظروف هي التي يجب عليها ان تنضج حتى تغدو ملائمة له .

وعلى هذا ، لا ينبغي ان تصور ان حزب «الجبل» قد غدا بانسأ غاية البؤس ، على الرغم مما اصابه من تنكيل وتحطيم ورغم ان عدد اعضائه قد قل كثيراً ، ورغم الازلال الذي لحق به من جراء النظام البرلماني الجديد . فاذا كان اليوم الثالث عشر من حزيران (يونيو) قد ألقى رؤساءه فهو قد افصح المجال ، من جهة اخرى ، لـ «عاقرة» من الدرجة الثانية كان يتملقهم هذا الوضع الجديد

واذا كان عجزهم في البرلمان لم يعد موضع شك فقد صار من حقهم الآن ان يقصروا عملهم على فورات الغضب انتصارا للفضيلة وعلى الخطابة الطنانة الصاخبة . واذا كان حزب النظام قد شاء ان يرى كل فئات الفوضى متجسمة فيهم ، بوصفهم آخر ممثلين رسميين للثورة ، فان في وسعهم ان يكونوا بالتالي اكثر تفاهة واعتدالا في واقع الامر . انهم عوزوا انفسهم على هزيمة الثالث عشر من حزيران (يونيو) بالقول البليغ « ليتجاسروا على مس حق الاقتراع الكامل ، ليتجاسروا وان مرة ! فاننا حينئذ سوف نريهم اي رجال نحن ! ! *Nous verrons ! » .

اما فيما يتعلق «بالجبلين» الذين فروا الى الخارج فيكفي ان نشر هنا الى ان ليدورولان قد وجد نفسه مدعوا الآن الى تشكيل حكومة فرنسية *in partibus* ** وذلك بعد ان نجح في فترة لا تتجاوز الاسبوعين في تدمير الحزب القوي الذي كان يرأسه حتى انعدمت كل امكانية لانقاذه ؛ وان فسطحه بدا الآن

* سوف نرى ! التافه .

** على الورق . التافه .

عن بعد ، وهو مقصي من مسرح العمل ، وكان قامته قد ازدادت ارتفاعاً بقدر ما هبط مستوى الثورة وتضاءلت اشخاص اصحاب الامر والنهي الرسميين في فرنسا الرسمية ؛ وانه استطاع ان يظهر بوصفه المدهي الجمهوري لانتخابات سنة ١٨٥٢ ؛ وانه اصدر تعميمات دورية الى الولايشيين وغيرهم من الشعوب توعد فيها طغاة القارة باغاميته هو وحلفائه وهل كان برودون مخطئا كل الخطا عندما صاح في وجوه هؤلاء السادة

* « Vous n'êtes que des blagueurs ! »

ان حزب النظام لم يحطم قوة «الجبل» فحسب في اليوم الثالث عشر من حزيران (يونيو) ، بل انه توصل ايضا الى اخضاع الدستور للقرارات الاكثرية في الجمعية الوطنية . وقد فهم الجمهورية كما يلي : في الجمهورية ، تسود البرجوازية باشكل برلمانية دون ان تواجه اية حدود من مثل حق السلطة التنفيذية في النقض او حق هذه السلطة في حل البرلمان كما هي الحال في الحكم الملكي . وتلك هي الجمهورية البرلمانية ، بحسب تحديد تيير . ولكن البرجوازية ، اذ امنت لنفسها ، في اليوم الثالث عشر من حزيران (يونيو) ، السلطان التام في داخل البرلمان ، لم تنزل بالبرلمان نفسه ضربة قاضية بطرد اكثر نوابه شعبية ، في مواجهة السلطة التنفيذية والشعب وبذلك اضعفته ؛ ان البرجوازية بتسليمها نواباً عديدين دون تكلف الى المحاكم قد الفت حصانتها البرلمانية ذاتها كما ان النظام المهيمن الذي فرضته على نواب «الجبل» قد رفع من شان رئيس الجمهورية بذات القدر الذي غض فيه من شان كل ممثل من ممثلي الشعب على افراد . واذ هي وصفت انتفاضة استهدفت حماية الدستور بانها عمل فوضوي

* « ولستم سوى فواشيش ! » انتاهي .

يهدف الى هدم المجتمع ، حرمت نفسها من امكانية الدعوة الى الانتفاضة اذا ما عمدت السلطة التنفيذية الى خرق الدستور من اجل محاربتها . ومن سخرية التاريخ ان لودفيغو ، ذلك الجنرال الذي قصف روما بالمدفعية بناء على تعليمات بوناپرت ، فهيا بذلك المناسبة المباشرة للعصيان الدستوري في الثالث عشر من حزيران (يونيو) ، لفيض له ان يكون الرجل الذي قدمه حزب النظام الى الشعب في ضراعة وعلى غير طائل بوصفه القائد المنافع من الدستور ضد بوناپرت في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . وبطل آخر من ابطال الثالث عشر من حزيران (يونيو) فييرا الذي اطري من على منبر الجمعية الوطنية بسبب الاعمال الوحشية التي ارتكبها في مكاتب الصحف الديموقراطية على رأس مصابة من افراد الحرس الوطني تنتمي الى دوائر اريستقراطية المال - فييرا هذا نفسه كان مطلعا على مؤامرة بوناپرت وساهم مساهمة كبيرة في حرمان الجمعية الوطنية ساعة موتها من اية حماية من جانب الحرس الوطني .

وقد كان للثالث عشر من حزيران (يونيو) معنى آخر ايضا ان «الجل» كان يبذل جهده لمحاكمة بوناپرت ولذلك كانت هزيمته نصراً مباشراً لبوناپرت وطقراً شخصياً له على اعدائه الديموقراطيين . ان حزب النظام هو الذي احرز هذا النصر ، وكل ما كان على بوناپرت هو ان يسجل هذا النصر في سجله . وقد فعل ذلك . ففي اليوم الرابع عشر من حزيران (يونيو) كان المرء يقرأ على جدران باريس منشوراً يطل فيه الرئيس من صومعته ، وهو متردد ، كالنا لا شان له بكل هذا ، كانه ارغم ارجاماً واكرهه على ذلك مجرد ضغط الاحداث ، ويشكو ، كالنا هو الفضيلة التي اسمى فهمها ، من الافتراءات التي يوجهها اليه

خصومه ؛ وفي الوقت الذي يبدو فيه وكأنه يجعل قضية شخصه هي قضية النظام ، كان يجعل في الواقع من قضية النظام قضية شخصه . أضف الى هذا ان الجمعية الوطنية ، وان وافقت فيما بعد على الحملة على روما ، بيد ان بوناپرت هو الذي تولى المبادرة في الموضوع . وهو بعد ان أعاد تنصيب الحبر صموئيل في الفاتيكان أصبح لديه أمل في دخول التويلري باعتباره الملك داود (٨٦) لقد كسب الكهنة الى صفه .

ان تمرد الثالث عشر من حزيران (يوليو) قد اقتصر ، كما رأينا ، على موكب سلمى في الشوارع . وبالتالي لم يكن ممكناً لهذا السبب ان تكون الغلبة سبيلاً الى الظفر بغار الحروب . وعلى الرغم من هذا فان حزب النظام ، في وقت كهذا الوقت فقير بالابطال والاحداث ، حوّل هذه المعركة التي لم تسل فيها دماء الى اوسترلتز ثانية (٨٧) . المنابر والصحف اثنت على الجيش بوصفه قوة النظام ، على نقيض الجماهير الشعبية التي تمثل عجز الفوضى ، ومجدت شانفارييه باعتباره « حصن المجتمع » - خداع انطلى عليه هو نفسه آخر الامر . وفي هذه الاثناء كانت القطعات العسكرية التي كان مشكوكا في ولائها قد نقلت من باريس خلصة وكذلك نفيت الفصائل التي اظهرت في الانتخابات مشاعر ديموقراطية اكثر من سواها من فرنسا الى الجزائر ، واحيل المشاغبون من الجنود الى مفارز العقاب واخيراً نفذت عملية عزل الصحافة عن الشكنات والشكنات عن المجتمع المدني بصورة منتظمة

وهنا نكون قد وصلنا الى نقطة الانعطاف الحاسمة في تاريخ الحرس الوطني الفرنسي . كان الحرس الوطني في سنة ١٨٣٠ العامل الحاسم في تقرير مصير عهد العودة (٨٨) . وفي عهد لويس فيليب كان كل تمرد يقف فيه الحرس الوطني الى جانب الجنود

يمنى بالفشل . وعندما اظهر الحرس الوطني في ايام شباط (فبراير) ١٨٤٨ موقفا سلبيا تجاه الانتفاضة وموقفا مبهما تجاه لويس فيليب ، سلم هذا بهزيمته وهزم فعلا . وهكذا رسخ الاعتقاد بانه لا يمكن للثورة ان تنتصر بدون الحرس الوطني ولا للجيش ان ينتصر والحرس الوطني نفسه . كانت هذه خرافة الجيش فيما يتصل بقدرة المدنيين الكلية . وقد لويت هذه الخرافة في ايام حزيران (يوليو) ١٨٤٨ عندما قام الحرس الوطني بأمسه ، بالاشتراك مع قوات الميدان ، باخماد الانتفاضة . وبعد ان تسلم يونابرت منصب رئيس الجمهورية طرأ على مركز الحرس الوطني بعض الضعف بعد ان جمعت قيادة قوات الحرس الوطني مع قيادة فرقة الجيش الأولى في شخص شانفارييه ، بصورة غير دستورية .

وكما ان قيادة الحرس الوطني ظهرت هنا كصفة من صفات القيادة العسكرية العليا ، كذلك ظهر الحرس الوطني نفسه كمجرد ذيل لقوات الميدان . واخيراً ، في الثالث عشر من حزيران (يونيو) كسرت شوكتة نهائياً ، ولم يكن ذلك بتسريحه تدريجياً جزءاً بعد آخر فحسب ابتداء من هذا اليوم في جميع أنحاء فرنسا ، حتى لم يتبق منه سوى شراذم ضئيلة . فان مظاهرة الثالث عشر من حزيران (يوليو) كانت قبل كل شيء مظاهرة قام بها القسم الديموقراطي من الحرس الوطني صحيح ان الحرس الوطني لم يقاوم الجيش بكامل سلاحه بل بجزءه العسكرية فقط ولكن في هذه البرة بالذات كان يكمن الظلم . لقد اقتنع الجيش بان هذه البرة كانت قطعة من الصوف شأنها شأن غيرها . وزال السحر . ان البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في شخص الحرس الوطني قد اتحدتا في ايام حزيران (يوليو) ١٨٤٨ مع الجيش ضد البروليتاريا . وفي الثالث عشر من حزيران (يوليو) ١٨٤٩ شنت البرجوازية الحرس الوطني

البرجوازي الصغير بمساعدة الجيش وفي اليوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ لم يكن الحرس الوطني البرجوازي موجوداً ، وكل ما فعله بوناپرت ، عندما وقع فيما بعد على مرسوم تسريحه ، هو انه دون هذه الحقيقة الواقعة . وهكذا حطمت البرجوازية بنفسها آخر سلاح لها ضد الجيش ، ولكن كان عليها ان تفعل ذلك في اللحظة التي لم تعد فيها البرجوازية الصغيرة تقف وراءها تابعة لها بل كانت تقف امامها ثائرة عليها . ثم ان البرجوازية كانت ملزمة ، بصورة عامة ، بان تدمر بايديها كل وسائل دفاعها ضد الاستبداد حالما اصبحت هي نفسها مستبدة وفي هذه الاثناء احتفل حزب النظام بظفـره مجدداً بسلطة كانتها ما ضاعت في سنة ١٨٤٨ الا ليجدها ثانية في سنة ١٨٤٩ وقد تحررت من قيودها كلها ، احتفل بهجمات عنيفة شنها ضد الجمهورية وضد الدستور ، وبلغات صباها على جميع الثورات المقبلة والحاضرة والماضية ، بما فيها تلك التي قام بها قادته انفسهم واخيراً باصدار قوانين كمت الصحافة وقضت على حرية تأليف الجمعيات ، وصدقت على حالة الحصار بوصفها نظاماً طبيعياً . ثم ارجأت الجمعية الوطنية جلساتها من منتصف آب (اغسطس) حتى منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ، بعد ان عينت لجنة دائمة خلال فترة غيابها . وفي خلال هذه العطلة حاك الفرنسيون الدسائس مع ايمز ، والاورليانيون مع كليرمونت ، وحاك بوناپرت دسائسه بواسطة الجولات المدبرة تدبيراً فخماً كما حاكت مجالس المقاطعات الدسائس في المداولات حول اعادة النظر في الدستور ؛ وهي الوقائع التي كانت تتكرر بصفة منتظمة اثناء العطل الدورية للجمعية الوطنية ، والتي ليس في نيتي ان ابحثها بالتفصيل الا عندما تصبح احدانا . وحسبنا هنا ان نشير ، فضلاً عن هذا ، الى

انه كان من قصر النظر بالنسبة للجمعية الوطنية ان تختفي عن المسرح فترات طويلة نسبياً وتترك شخصاً واحداً فقط ، ولو انه مخلوق بانس ، على رأس الجمهورية ، هو لويس بوناپرت ، بينما كان حزب النظام يتفتت الى الاجزاء الملكية التي كان يتالف منها والتي لها رغباتها المتعارضة بشأن عهد العودة ، مما عرضه للفضائح امام الناس . وكلما كانت ضجة البروليهان المصمة تخفت خلال هذه العطل وتدوب هيئته في الامة ، كان يتضح على نحو لا لبس فيه ان شيئا واحداً فقط كان ما يزال ناقصاً حتى يتم الشكل الصحيح لهذه الجمهورية : ان تصبح المطلة البروليهانية دائمة ، وان يستعاض عن شعارها القائل *Liberté, égalité, fraternité* بكلمات صريحة واضحة لا تفسح المجال لتفسيرها تفسيراً مزدوجاً وهي : *Infanterie, Cavalerie, Artillerie!*

٤

في منتصف شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٤٩ استأنفت الجمعية الوطنية جلساتها . وفي اليوم الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) فاجأها بوناپرت برسالة اعلن فيها اقالة وزارة بارو - فالو وتشكيل وزارة جديدة ولم يسبق ان طُرد خادم بغيره تكلف اكبر مما فعل بوناپرت مع وزرائه . ان الركلات التي قصد بوناپرت بها الجمعية الوطنية قد اصابت هذه المرة بارو وفركاه .

-
- الحرية والمساواة والاخاء . التناهي .
 - • • المفاة والخيالة والمدفعية . التناهي .

ان وزارة بارو كانت ، كما راينا ، مؤلفة من شرعيين
واورليانيين ، وزارة من حزب النظام . وقد كان بوناپرت في
حاجة اليها ليحل الجمعية التأسيسية وليدبر الحملة على روما
وليكرس شوكة الحزب الديمقراطي . وقد طمس نفسه وقتذاك ،
كما كان يبدو ، وراء هذه الوزارة وتنازل عن السلطة الحكومية
ووضعها في ايدي حزب النظام ، وارتمى قناع التواضع الذي
كان يرتديه في باريس رؤساء تحرير الجرائد في عهد لويس
فيليب - قناع *homme de paille* * . ولكنه عمد الآن الى طرح
قناع لم يعد بعد حجابا خفيفا يستطيع ان يخفي سيماه ورائه
بل غدا قناعا حديديا كان يمنعه من اظهار سيماه خاصة به
لقد دعا وزارة بارو الى الحكم قصد حل الجمعية الوطنية
الجمهورية باسم حزب النظام ، وعزل هذه الوزارة لكي يعلن
اسمه مستقلا عن الجمعية الوطنية لحزب النظام هذا
ولم تكن تنقصه الذرائع المقبولة الظاهر التي يبرر بها هذا
العزل فان وزارة بارو قد اهملت حق المجاملات التي
ينبغي التقيد بها حيال رئيس الجمهورية بوصفه سلطة قائمة
الى جانب الجمعية الوطنية ففي اثناء عطلة البرلمان نشر
بوناپرت رسالة وجهها الى ادغار لبي كان يبدو فيها انه لا
يوافق على الموقف المتزمت الذي وقفه البابا . . ، تماما كما
نشر من قبل رسالة امتدح فيها اودينو بسبب الهجوم على
الجمهورية الرومانية ، مخالفا في ذلك الجمعية التأسيسية .
وعندما صدقت الجمعية الوطنية على الميزانية الخاصة بالحملة
الرومانية طرح فكتور هوغو ، بدافع من الليبرالية المزعومة ،

* المسؤول الاسمي . الظاهر .

** بيوس التاسع . الظاهر .

هذه الرسالة للمناقشة وعهد حزب النظام بصيحات الانكار المشوب بالازدراء الى خنق الفكرة القائلة ان تصرفات بونايرت غير الذكية يمكن ان تكون لها اية اهمية سياسية ولم يلتقط واحد من الوزراء القفاز الذي ألقي في وجه بونايرت وفي مناسبة اخرى عهد بارو ، بما هو معهود فيه من بلاغة جوفاء ، الىلقاء كلمات غاضبة من على المنبر حول «الدسائس المنكرة» التي كانت تجري ، حسب تأكيده ، بين الحاشية المباشرة للرئيس . والخرأ رفضت الوزارة بصورة قاطعة تقديم اي اقتراح لزيادة مخصصات رئيس الجمهورية ، في الوقت الذي توصلت فيه الى الحصول من الجمعية الوطنية على مرتب ارملة لدوقة اورليان ولكن المدعي بالتاج الامبراطوري قد الدمج لوثق الاندماج في شخص بونايرت بالمغامر الخائب حتى ان الفكرة العظيمة التي كانت تساوره وهي انه مدعو لاعادة الامبراطورية كانت تتممها عنده دائما فكرة عظيمة اخرى هي ان الشعب الفرنسي مدعو لسداد ديونه .

ان وزارة بارو - فالو كانت اول وآخر وزارة بوليمالية اخرجها بونايرت للوجود . وعلى ذلك كان عزلها يشكل نقطة تحول حاسمة . فقد خسر حزب النظام بها الى غير رجعة حصنا ضروريا للحفاظ على الحكم البرلماني الا وهو قيادته للسلطة التنفيذية وواضح انه في بلد كفرنسا ، حيث يأمر بأمر السلطة التنفيذية جيش من الموظفين يتجاوز عدده نصف مليون اي ان السلطة التنفيذية تحتفظ لذلك بصورة دائمة بكتلة ضخمة من المصالح والافخاص في حالة اعتماد مطلق عليها ، وحيث تلف الدولة المجتمع المدني بشباكها وتراقبه وتوجهه وتعيمن عليه وتقوم على اموره ابتداء من اكثر مظاهر حياته شمولاً الى اقل حركاته شائناً ، ومن اهم اشكال وجوده الى حياة الافراد الخاصة ، وحيث

تكتسب هذه الهيئة الطفيلية ، من جراء المركزية الخارقة للعادة ، وجوداً كلياً ومعرفة كلية وقدرة على المرونة والحركة المتزايدتين اللتين لا تجدان لهما نداً الا في عدم الاستقلال العاجز للهيئة الاجتماعية الفعلية وفي ميوعتها وانعدام شكلها - واضح ان الجمعية الوطنية تخسر في بلد كهذا كل نفوذ حقيقي لها عندما تفقد سيطرتها على توزيع المناصب الوزارية ان لم تعتمد في الوقت نفسه الى تبسيط ادارة الدولة وتخفيض جيش الموظفين بقدر الامكان ، واخيراً ان لم تدع المجتمع المدني والرأي العام يخلقان اجهزة خاصة بهما مستقلة عن السلطة الحكومية بيد ان المصالح المادية للبرجوازية الفرنسية متشابكة اولق التشابك مع الاحتفاظ بجهاز الدولة الواسع هذا بما له من تشعبات متعددة فهي تجد هنا الوظائف لمن يفيض من بينها وتعوض ، على شكل المرتبات الحكومية ، مما تعجز عن اخذه لجيبها على شكل الارباح والفوائد والريع والمكافآت ومن ناحية اخرى كانت مصالحها السياسية قد ارغمتها على ان تزيد كل يوم اجراءات القمع ، اي ان تزيد يومياً موارد سلطة الدولة وموظفيها ، بينما كان عليها ان تخوض في الوقت نفسه حرباً غير منقطعة ضد الرأي العام وان تعتمد بدافع الارتياح الى شل الاجهزة المستقلة للحركة الاجتماعية وتعطيلها حيثما لم تنجح في بترها تماماً . وهكذا كانت البرجوازية الفرنسية مرغمة بحكم وضعها الطبقي على ان تبني شروط وجود كل سلطة برلمانية ، وبالتالي سلطتها البرلمانية هي ايضا ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان تجعل السلطة التنفيذية المعادية لها سلطة قاهرة

لقد دعت الوزارة الجديدة باسم وزارة دوبول وليس معنى هذا ان الجنرال دوبول قد تسلم منصب رئيس الوزراء .

بل ان بوناپرت قد عمد بالاحرى- وفي نفس الوقت الذي اقال فيه بارو- الى القضاء هذا المقام الذي كان يحكم على رئيس الجمهورية فضلا بان يظل في وضع الصفر القانوني الذي يكون فيه الملك الدستوري ، ولكن ملك دستوري بلا عرش ولا تاج ، بلا صولجان ولا سيف ، بلا امتياز حصانة وبلا حيازة وراثية على مقام في الدولة ،- واسوا ما في الامر- بلا مخصصات كانت وزارة دوبول تضم شخصا واحدا فحسب ذا مكانة برلمانية وهو المرابي فولد ، الذي كان من اسوأ رجال اريستقراطية المال ذكرا . وقد نال منصب وزير المالية. ولو رجع المرء الى لوائح اسعار بورصة باريس لوجد ان الاوراق المالية الفرنسية ، اعتبارا من اول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٩ فصاعدا ، كانت ترتفع وتهبط تبعا لارتفاع مكانة بوناپرت وهبوطها وهكذا ما ان وجد بوناپرت حليفا له في البورصة حتى استولى في الوقت نفسه على الشرطة بتعيين كارلييه مديرا لشرطة باريس .

بيد ان النتائج التي اسفر عنها تغيير الوزارة لم يكن ممكنا ان تظهر الا في مجرى التطور . في بداية الامر لم يسر بوناپرت هذه الخطوة الى الامام ليندفع الى الوراثة على نحو اهد جلاء وقد اردف رسائله الفظة تلك ببيان في منتهى التذلل يعلن فيه ولاءه للجمعية الوطنية . وكلما كان الوزراء يجربون على القيام بمحاولة وجلة لاضفاء شكل مشاريع القوانين على اهواله الشخصية ، كان يبدو انهم يقومون رغما عن ارادتهم وبحكم مناصبهم فحسب ، باموريات مضحكة كالوا مقتنعين سلفا بعدم جدواها وكلما كان بوناپرت يهذر في الكلام عن مقاصده من وراء ظهور وزرائه ويلعب بـ «idées napoléoniennes» الخاصة به (٨٩) كان وزراؤه

هو يتصلون منه من على منبر الجمعية الوطنية وكان يبدو كانه لا يعرب عن شهواته الاغتصائية الا لكي لا تسكت الضحكات الشامتة التي يطلقها اعداؤه . كان يتصرف كانه عبقرى غير معترف به وتنتظر اليه الدنيا كلها نظرتها الى ابله لم يسبق له قط ان تمتع من قبل باحتقار جميع الطبقات الى مدى اعظم مما حدث في هذه الفترة . ولم يسبق للبرجوازية ان حكمت حكما اكثر استبدادا ، ولم يسبق لها ان عرضت على الملأ شعائر سلطتها بهذا القدر من المباهاة

ليس من شأني هنا ان اكتب تاريخ نشاطها التشريعي ، وهو النشاط الذي يتلخص في هذه الفترة في قانونين القانون الذي يعيد فرض ضريبة الخمر وقانون التعليم الذي يلغى الالحاد واذا كانت البرجوازية تمرقل استهلاك الفرنسيين للخمر ، فالها عمدت مقابل ذلك الى منحهم ماء الحياة الطاهرة على نحو اوفر واغزر . واذا كانت البرجوازية ، باصدار القانون الخاص بضريبة الخمر ، قد اعلنت نظام الضرائب القديم المقيت نظاما مصونا ، فهي قد سعت بواسطة قانون التعليم الى ان تضمن بين الجماهير بقاء الحالة العقلية القديمة التي تتيح لها احتمال نظام الضرائب هذا وان المرء ليدعش اذ يرى الاورليانيين ، البرجوازيين الليبراليين ، اتباع الفولتيرية والفلسفة الاختيارية القدامى هؤلاء ، يمهدون الى اعدائهم الالاء التقليديين ، اليسوعيين ، بالافراف الروحي على الفرنسيين . وايا كانت الخلافات بين الاورليانيين والشرعيين فيما يتصل بامر المدعي بالعرش ، فقد كانوا يدركون ان حكمهم الموحد يقتضي توحيد وسائل القمع في العهدين وان وسائل الاستعباد التي اتبعت في عهد ملكية تموز

(يوليو) كان ينبغي ان تكمل وتموز بوسائل الاستعباد التي ابنت في عهد العودة .

أما الفلاحون ، الذين خيب جميع آمالهم وسحقهم اكثر من اي وقت مضى هبوط اسعار القمح من جهة والعبء المتزايد للضرائب وديون الرهن من جهة اخرى ، فقد بدأوا يتحركون في المقاطعات . وقد اجبوا على ذلك بحملة ضد اساتذة المدارس الذين اخضعوا لرجال الاكليروس وبحملة ضد رؤساء البلديات الذين اخضعوا لحكام المقاطعات واخيراً بنظام التجسس الذي اخضع له الجميع . وفي باريس والمدن الكبرى تتسم الرجعية ذاتها بسيماء عصرها وهي تزج اكثر مما تضغط وفي الريف تصبح خسيمة ، خشنة ، فافهة ، متعبة ومزعجة ، وبكلمة واحدة جندرية . وفي وسع المرء ان يدرك كيف ان ثلاث سنوات من حكم الجندرية ، يكرسها حكم القسيس ، كان لا بد ان تفسد اخلاق الجماهير غير الناضجة .

ومهما كان مبلغ الانفعال او الخطب الحماسية التي كان حزب النظام يلجأ اليها ضد الاقلية من على منبر الجمعية الوطنية فان كلامه ظل ذا مقطع واحد ككلام المسيحيين الذين كان عليهم ان يقولوا : نعم ، نعم ، لا ، لا ! كذلك على المنابر كما في الصحافة ، غث كلفز حله معروف سلفاً . وسواء كان الامر يتعلق بحق الالتماس او ضريبة الخمر ، بحرية الصحافة او التجارة ، بالنوادي او دستور البلديات ، بضمان الحرية الشخصية او تحديد ميزانية الدولة ، فان كلمة السر الواحدة تتكرر دائماً والموضوع يبقى واحداً على الدوام ، والحكم جاهز ابدأ ، وهو دائماً بلا تغيير « الاشتراكية ! » . حتى الليبرالية البرجوازية كانوا يعلنونها اشتراكية ، والاستنارة البرجوازية والاصلاح المالي

البرجوازي اشتراكية لقد كانت اشتراكية ان تبنى سكة حديد
حيثما كانت قناة من قبل ، وكانت اشتراكية ان يدافع المرء عن
نفسه بخيررانة حين يهاجمه احد بالشيش .

لم يكن هذا مجرد جملة او موضة او اسلوب في النضال
الحزبي . فان البرجوازية ادركت ادراكا صحيحا ان جميع انواع
الاسلحة التي اعدتها لمحاربة الاقطاع قد ادارت رؤوسها ضدها
في وان جميع وسائل التعليم التي اوجدتها قد ثارت ضد مدنياتها
في وان جميع الالهة التي خلقتها قد تخلت عنها لقد فهمت ان
كل ما يدعى بحريات المواطنين واجهزة التقدم كانت تتناول على
حكيمها الطبقي وتهده من جانب اساسه الاجتماعي وقمته السياسية
في الوقت نفسه ، وانها اصبحت لهذا السبب «اشتراكية» . وفي
هذا التهديد وهذا التناول رأت بحق سر الاشتراكية التي قدرت
معناها واتجاهها باصح مما تقدر نفسها هذه التي تدعى بالاشتراكية
والتي لا تستطيع ان تفهم لهذا السبب لماذا يقسو قلب البرجوازية
كل هذه القسوة عليها ، سواء وهي تنذب آلام البشرية على
نحو مؤثر ، او تعظ عظة مسيحية حول العصر الالفي السعيد
والمحبة الاخوية الشاملة ، او تلفو حول الروح والتعليم والحرية
على طريقة اهل البر والانسانية ، او تعتمد كدأب النظريين المتحلقين
الى اختلاق نظام للتوفيق ونشر الرخاء بين جميع الطبقات بيد
ان البرجوازية لم تدرك شيئا واحدا هو ان نظامها البرلماني نفسه ،
وان سيطرتها السياسية بصورة عامة ، اذا كنا منسجمين في
المحاكمة ، لا بد لهما الآن ان يتعرضا ايضا للشجب العام بوصفهما
شيئا اشتراكيا وطالما ان سيطرة البرجوازية لم تنظم تنظيمها
تاما بعد ، وطالما انها لم تكتسب التعبير السياسي الخالص ، فان
التناحر بين البرجوازية وبين الطبقات الاخرى لم يكن يستطيع

كذلك ان يظهر في شكله الخالص ولم يكن ، حيثما ظهر ، يستطيع ان يتجه الاتجاه الخطير الذي يتحول معه كل صراع ضد سلطة الدولة الى صراع ضد رأس المال . واذا كانت البرجوازية ترى في كل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية تهديداً «للسكينة» فكيف كانت تريد ان تحتفظ على رأس هذا المجتمع بنظام القلق ، بنظامها هي بالذات ، النظام البرلماني ، هذا النظام الذي يعيش ، على حد تعبير احد الناطقين باسمها ، في الصراع وبالصراع ؟ وكيف يستطيع النظام البرلماني الذي يعيش بالنقاش ، ان يمنع النقاش ؟ ان كل مصلحة وكل اجراء اجتماعي يتحولان هنا الى فكرة عامة ، ويُعتبران فكرة ، فكيف يتصنّف لاية مصلحة او اية اجراءات ان تُنصّب فوق التفكير وتفرض كرمز للايمان ؟ ان كفاح الخطباء على المنابر يستتبع كفاح المثبّجين على صفحات الجرائد ، وسادي النقاش في البرلمان تكمله بالضرورة نوادي النقاش في الصالونات والحانات والنواب الذين يجمعون على الدوام الى الرأي العام يعطون بالتالي الرأي العام الحق في الافصاح من وجهات نظره الحقيقية في العرائض . ان النظام البرلماني يترك كل شيء لقرار الاكثية ، فكيف ؟ ترغب الاكثية العظمى خارج البرلمان في اتخاذ القرارات ؟ اذا كان رب الحكم ضارباً بالدف فما عسى ان نتظر ممن هم دونه غير الرقص ؟

وهكذا فان البرجوازية ، اذ تصم الآن «بالاشتراكية» ما كانت تمجده سابقاً باعتباره «ليبرالياً» ، تعترف بان مصالحها الخاصة تملّي عليها ان تتخلص من خطر حكمها ذاتها ، وبضرورة تسكين برلمانها البرجوازي بادی ذي بدء من اجل اعادة السكينة الى البلاد ، وبان سلطتها السياسية ينبغي ان تكسر بغية المحافظة على سلطتها الاجتماعية دون مساس ، وبان البرجوازيين

الأفراد يستطيعون ان يواصلوا استغلالهم للطبقات الاخرى وان يتمتعوا دونما ازعاج بخيرات الملكية والعائلة والدين والنظام ولكن بشرط ان يحكم على البرجوازية بوصفها طبقة ، فانها في ذلك فان الطبقات الاخرى ، بالتحفة السياسية المتساوية ، وبانه يجب خلق التاج عنها لكي تحافظ على محفظتها ، وبان السيف الذي يحميها ينبغي ، في الوقت ذاته ، ان يظل مسلطاً فوق رأسها كسيف داموكليس .

اما في مجال المصالح العامة للبرجوازية فقد اثبتت الجمعية الوطنية انها عديمة الانتاج تماماً حتى ان المناقشات بشأن بناء سكة حديد باريس - الفينيون ، على سبيل المثال ، وهي التي بدأت في شتاء ١٨٥٠ ، لم تكن ناضجة بعد للختام في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . فحيثما لم تكن الجمعية الوطنية تقمع او تسلك مسلكاً رجعياً كانت مصابة بعقم لا شفاء منه بينما كانت وزارة بوناپرت ، من جهة ، تأخذ زمام المبادرة في صياغة القوانين وفقاً لروح حرب النظام وتشدد من جهة اخرى قساوة تنفيذ هذه القوانين ، كان بوناپرت يسعى ، من جهته الى كسب الشعبية بما يقدمه من مقترحات صبيانية مخيفة مظهراً عداوته للجمعية الوطنية ولملمحاً الى دفيئة سرية حالت الظروف مؤقتاً فحسب دون ان يفتح كنوزها هذه للشعب الفرنسي من هذا القبيل كان الاقتراح القاضي بزيادة رواتب ضباط الصف بمقدار ٤ سوات * يومياً ومن هذا القبيل كان مشروع ومصرف الشرف لاقراض العمال المال موهوباً والمال مداناً - هذه هي

* سو - sou - الجزء العشرون من الفرنك او خمسة سنتيمات .

الآفاق التي كان يعلل النفس بأن يغوي بها الجماهير الهبات والقروص ، ان الفن المالي لثالة البروليتاريا - سواء كانوا من درجة عالية لو واطئة - لم يكن يتعدى هذا . هذه هي اللوالب الوحيدة التي كان بونابرت يعرف كيف يحركها . ولم يسبق من قبل ان ضارب مدح على سفالة الجماهير بمثل هذه السفالة

ان الجمعية الوطنية قد ثارت مراراً وتكراراً على هذه المحاولات التي لا لبس فيها لكسب الشعبية على حسابها في ظروف خطر متزايد كان يتمثل في احتمال مجازفة هذا المفامر الذي كانت تنخسه ديونه والذي لم تكن تردعه سمعة راسخة - بعمل يائس . كانت الخلافات بين حزب النظام والرئيس توشك ان تتخذ طابعاً خطيراً عندما التقى به حادث غير منتظر مرة اخرى تاباً بين ذراعي الحزب . ونعني بذلك الانتخابات الانصافية في العاشر من آذار (مارس) سنة ١٨٥٠ . لقد اجريت هذه الانتخابات بغية ملء مقاعد النواب التي شغرت بعد الثالث عشر من حزيران (يونيو) بسبب السجن او النفي . ان باريس لم تنتخب الا المرشحين الاشتراكيين-الديموقراطيين بل انها ركزت معظم الاصوات على احد المشتركين في التفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، على ديفلوت . وهكذا ثارت البرجوازية الصغيرة الباريسية ، بالتحالف مع البروليتاريا ، للهزيمة التي حاقت بها في الثالث عشر من حزيران (يوليو) ١٨٤٩ . وبدا ان البرجوازية الصغيرة ما اختفت من ميدان القتال في لحظة الخطر الا لتظهر هناك من جديد في ظروف اكثر مؤاناة ، حائرة على قوات قتالية اكبر وراثة فعاراً قتالياً اجرا . وبدا ان هرفاً واحداً كان قد زاد من خطر هذا النصر الانتخابي : فان الجيش اقترح في باريس لمتعمد حزيران (يونيو) ضد لاهيت ، احد وزراء بونابرت ، واقترح في المقاطعات الى حد

بميد للجبليين الذين اكدوا هنا ايضا رجحان كفتهم على خصومهم وان لم يكن بالدرجة الحاسمة التي كان عليها في باريس

ورأى بوناپرت نفسه فجأة مرة اخرى ازاء ثورة وكما كان الامر في ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ وكما كان في ١٢ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ ، كذلك في العاشر من آذار (مارس) ١٨٥٠ اختفى بوناپرت وراء حزب النظام . انحنى امتثالا واستماح العدر جبنا وصغاراً واحرب من استعدادة لأن يشكل ، بناء على امر الاكثية البرلمانية ، اية وزارة ترضى عنها بل انه توسل الى زعماء الاورليانيين والشرعيين ، الى امثال تيمر ويريه وبروغلي وموليه ، وبالاختصار الى من يدعون بالبرجراف (٩٠) ، ان ياخذوا زمام الدولة بايديهم واثبت حزب النظام عجزه عن اغتنام هذه الفرصة التي لن تعود فهو بدلا من ان يستولي بجرأة على السلطة التي عرضت عليه ، لم يرغب بوناپرت حتى على اعادة الوزارة التي اقالها في اليوم الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) . واكتفى باذلاله بالصفح عنه وبضم المسيو باروش الى وزارة دوبول . وكان باروش هذا ، بصفته مدعياً عاماً ، قد ارغى وازبد امام المحكمة العليا في بورجيه ، المرة الاولى ضد ثوريي الخامس عشر من ايار (مايو) والمرة الثانية ضد ديموقراطيي الثالث عشر من حزيران (يونيو) ، وكلتا المراتين إتهمهم بالاعتداء على الجمعية الوطنية ولم يساهم احد من وزراء بوناپرت فيما بعد اكثر منه في الغرض من شأن الجمعية الوطنية ، وبعد اليوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ نصادفه مرة اخرى في ذلك المنصب المريح العالي الاجر ، منصب نائب رئيس مجلس الشيوخ لقد بصق في حساء الثوريين حتى يتمكن بوناپرت من التهامه

اما الحزب الاشتراكي - الديموقراطي فقد بدا من جهته ،

وكان لا هم له الا ايجاد الذرائع للمخاطرة بانتصاره مرة اخرى ولتشليم حده ان فيدال وهو احد النواب الذين انتخبوا حديثا عن باريس ، كان قد انتخب في الوقت نفسه من ستراسبورغ وقد حمل على ان يرفض النيابة عن باريس وان يقبلها عن ستراسبورغ . وهكذا ، بدلا من ان يجعل الحزب الديموقراطي نصره في الانتخابات نصراً فاصلاً ويرغم بذلك حزب النظام فوراً على ان ينازعه اياه في البرلمان ، بدلا من ان يرغم خصمه على القتال ، في لحظة الحماسة الشعبية والجو المؤاتي في الجيش ، عمد هذا الحزب الى اتعاب باريس خلال شهري آذار (مارس) ويسان (ابريل) بدعاية انتخابية جديدة ، وتركه المواطن الشعبية الفائرة تستنفذ قوتها في هذه اللعبة الانتخابية الجديدة الموقته ، واطفا الطاقة الثورية بالنجاحات الدستورية وبعزق هذه الطاقة في المكائد الصغيرة والخطب الطنانة الجوفاء والتظاهر بالحركة ، وترك البرجوازية تتمالك نفسها وتأخذ اهبتها ، وهو قد اضعف اخيراً مفزى انتخابات آذار (مارس) بتعليق عاطفي عليها ، بانتخابات ليسان (ابريل) الفرعية ، بالخطاب لوجين سو . وبكلمة واحدة جعل من العاقر من آذار (مارس) كذبة اول ليسان (ابريل) ان الاكثية البرلمانية قد فهمت ضعف عدوها وبما ان بونايرت قد ترك لحزب النظام ادارة الهجوم ومسؤوليته فقد اعد البرجوازيون السبعة عشر قانوناً انتخابياً جديداً عهد امر تقديمه الى المميو فوشيه الذي توصل لينال هذا الشرف . وفي اليوم الثامن من ايار (مايو) قدم فوشيه القانون الذي كان سيلفي حق الاقتراع الشامل ويفرض على الناخبين شرط الإقامة لمدة ثلاث سنوات في الدائرة الانتخابية هذا مع العلم ان اثبات مدة هذه الإقامة كان متوقفاً في حالة العمال على شهادة من ارباب اعمالهم .

واذا الديموقراطيون الذين هاجوا وماجوا كثيراً على نحو ثوري اثناء الكفاح الانتخابي الدستوري ، ياخذون الآن ، ولقد اقتضت الامور ان يشبتوا جدية ذلك النصر الانتخابي والسلاح في ايديهم ، يبشرون على نحو دستوري بالنظام والهدوء المهييب (calme majestueux) والاعمال المطابقة للقانون اي الازمان

الاعمى لارادة الثورة المضادة التي ادعت بانها هي القانون وفي اثناء المناقشات خجل «الجبل» حزب النظام معارضا انفعاله الثوري بموقف التافه الشريف غير المتأثر بالمواطف الذي يراعي حدود القانون ، وبطرحة ذلك الحزب ارضا بتوجيه التائب المخيف له بانه يتصرف بطريقة ثورية . وحق النواب المنتخبين حديثا بدلوا قصاراهم ليشبتوا بسلوكهم المحتشم الرزين مبلغ الخطل في التنديد بهم على اعتبار انهم فوضيون وتفسير انتخابهم بانه نصر للثورة وفي اليوم الحادي والثلاثين من ايار (مايو) اقر قانون الانتخاب الجديد ، واكتفى «الجبل» بدس احتجاج للرئيس خلسة واعقب قانون الانتخاب قانون جديد للصحافة احدث بموجبه الصحافة الثورية تماماً (٩١) وقد استحققت هذه الاخيرة مصرها وبعد هذه الهزيمة الشنعاء لم يبق غير صحيفتي «National» و «Presse» (٩٢) البرجوازيتين باعتبارهما اكثر المراكز الامامية للثورة تقدماً

لقد رأينا كيف ان الزعماء الديموقراطيين فعلوا كل شيء خلال شهري آذار (مارس) ونيسان (ابريل) ليورطوا سكان باريس في قتال صوري وكيف انهم فعلوا كل شيء بعد الثامن من ايار (مايو) ليصدوهم عن القتال الحقيقي وفضلاً عن هذا لا يجوز ان ننسى ان سنة ١٨٥٠ كانت من اروع سنوات الازدهار الصناعي والتجاري وان العمل كان لذلك متوفراً تماماً

لبروليتاريا باريس غير ان قانون الانتخاب الصادر في الحادي والثلاثين من ايار (مايو) ١٨٥٠ حرمها من اية مساهمة في السلطة السياسية وعزلها حتى عن حلبة الصراع ذاتها . وقد رد هذا القانون العمال الى مركز المنبوذين الذي كانوا يحتلونه قبل ثورة شباط (فبراير) واذ سمح العمال بان يقودهم الرعاء الديموقراطيون في وجه حدث كهذا الحدث ونسوا المصالح الثورية لطبقته من اجل الرعاء الوقتي فقد تطلوا عن شرف كونهم قوة ظافرة واستسلموا لمصيرهم واثبتوا ان هزيمة حزيران (يوليو) ١٨٤٨ قد جعلتهم عاجزين عن القتال لسنوات طويلة وان العملية التاريخية كان لا بد لها في الوقت القريب ان تمضي مرة اخرى من فوق رؤوسهم . اما الديموقراطية البرجوازية الصغيرة التي صرخت في الثالث عشر من حزيران (يونيو) وليتجاسروا على مس حق الاقتراع الشامل ، ليتجاسروا وان مرة ١ ، فانها قد عزت نفسها الآن بالادعاء القائل ان الضربة التي هوى عليها بها اعداء الثورة لم تكن ضربة وان قانون الحادي والثلاثين من ايار (مايو) لم يكن قانونا ففي يوم الاحد الثاني من شهر ايار (مايو) ١٨٥٢ سيظهر كل فرنسي في مركز الاقتراع وقد حمل بطاقة الاقتراع بيد وحمل السيف باليد الاخرى كانت تعزي نفسها بهذه النبوءة . واخيراً كان الجيش قد ضبطه رؤسائه لانتخابات آذار (مارس) ونيسان (ابريل) ١٨٥٠ تماماً كما ضبطوه لانتخابات ٢٨ ايار (مايو) ١٨٤٩ بيد انه في هذه المرة قال لنفسه حازماً ولن نخدعنا الثورة مرة ثالثة

ان قانون ٢١ ايار (مايو) سنة ١٨٥٠ كان coup d'état قامت به البرجوازية . ان جميع انتصاراتها السابقة على الثورة

كان لها طابع مؤقت فحسب . وكانت تتعرض للخطر حالما كانت الجمعية الوطنية القائمة تنسحب من المسرح وكانت تعتمد على المصادفات التي يحملها اي انتخاب عام جديد معه وتاريخ الانتخابات منذ عام ١٨٤٨ اثبت بصورة لا تدحض ان سلطان البرجوازية الادبي على الجماهير الشعبية كان يضعف بنفس المقدار الذي كانت تزداد به سيطرتها الفعلية في العاشر من آذار (مارس) ظهر ان حق الاقتراع الشامل يعارض سيطرة البرجوازية معارضة مباشرة . فاجابت البرجوازية على ذلك بالغاء حق الاقتراع الشامل . ولذا كان قانون ٢١ ايار مظهراً من المظاهر الملزمة للصراع الطبقي ومن ناحية اخرى كان الدستور يستلزم حداً ادنى يبلغ مليوني صوت لجعل انتخاب رئيس الجمهورية صالحاً . فاذا لم ينل احد المرشحين للرئاسة هذا الحد الأدنى كان على الجمعية الوطنية ان تختار الرئيس من بين المرشحين الخمسة الذين يفوزون باكثر عدد من الاصوات . وعندما اعدت الجمعية التأسيسية هذا القانون كان عدد الناخبين المسجلين في جداول الاقتراع عشرة ملايين . وعلى هذا كان خمس النامس الذين يحق لهم الاقتراع يكفي ، بموجب هذا القانون ، لجعل انتخاب الرئيس صالحاً . ان قانون ٢١ ايار (مايو) شطب ثلاثة ملايين صوت على الاقل من الجداول الانتخابية وخفض عدد الذين يتمتعون بحق الاقتراع الى سبعة ملايين وابقى مع ذلك الحد الأدنى القانوني - وهو مليونان - اللازم لانتخاب الرئيس . ولذلك ارتفع الحد الأدنى القانوني من خمس الاصوات الانتخابية جميعاً الى حوالى الثلث اي بكلمة اخرى ، فعل هذا القانون كل شيء لتهريب انتخاب الرئيس من ايدي الشعب الى ايدي الجمعية الوطنية . وهكذا يبدو ان حزب النظام قد حصن حكمه بقانون

٢١ ايار (مايو) الانتخابي مرتين ، وذلك بتسليم انتخاب نواب الجمعية الوطنية وانتخاب رئيس الجمهورية الى القسم المحافظ في المجتمع .



وما أن مرت الازمة الثورية وألغي حق الاقتراع الشامل حتى نشب الصراع ثانية بين الجمعية الوطنية ويونايرت حدد الدستور مرتب يونايرت بـ ٦٠٠.٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ولم تكد تمضي ستة اشهر على تنصيبه حتى نجح في زيادة هذا المبلغ الى الضعف لأن لوديلون بارو انتزع من الجمعية التأسيسية حلاوة اضافية قدرها ٦٠٠ فرنك سنوياً لسد نفقات ما يسمى بنفقات التمثيل . وبعد اليوم الثالث عشر من حزيران (يونيو) تقدم يونايرت بطلبات ماثلة ولكن دون ان يجد في هذه المرة اذناً صاغية لدى بارو . والآن ، بعد الحادي والثلاثين من ايار (مايو) ، استغل يونايرت على الفور اللحظة المؤاتية وجعل وزراءه يقترحون في الجمعية الوطنية مخصصات للرئاسة تبلغ ثلاثة ملايين فرنك سنوياً ان حياة طويلة من التشرد والمغامرة قد اكسبته حاسة شديدة للغاية لاقصى لحظات الحرج التي يمكن ان يعتصر فيها المال من البرجوازيين كان يولول الابتزاز حقاً وفعلًا . كانت الجمعية الوطنية قد انتهكت سيادة الشعب بمساعدته وباطلاعه ، فهدد بشجب جريمتها امام محكمة الشعب ما لم تحل كيسها وتشتري سكوتة بثلاثة ملايين فرنك سنوياً . ولقد سلبت الجمعية الوطنية ثلاثة ملايين فرنسي حقهم الانتخابي فطلب ، مقابل كل فرنسي وضع خارج التدلول السياسي ، فرنكا واحداً قيد التداول اي ثلاثة ملايين

لذلك بالتام . وطالب ، وهو منتخب ستة ملايين ، بتعويضات عن الاصوات التي قال انها سرقت منه بالخش في وقت لاحق ورفضت لجنة الجمعية الوطنية طلب هذا الملحاح . واخذت الصحافة البوناپرتية تهدد هل في وسع الجمعية الوطنية ان تقطع صلاتها مع رئيس الجمهورية في لحظة كانت قد قطعت فيها ، من حيث المبدأ ، صلاتها مع جمهور الامة بصورة نهائية ؟ صحيح انها رفضت المخصصات السنوية ولكنها منحت لمرء واحدة علاوة اضافية قدرها مليونان ومائة وستون ألف فرنك وهكذا ادانت نفسها بضعف مزدوج بمنحها المال وباطهارها في الوقت ذاته ، بالضييق الذي ابدته ، انها منحتة هل غير ارادتها . وسوف نرى فيما بعد لاي فرض كان بوناپرت يحتاج هذا المال بعد هذه العاقبة المزعجة التي جاءت في اثر الغاء حق الاقتراع الشامل ، والتي استعاض فيها بوناپرت عن الموقف المتواضع الذي وقفه ابان ازمة آذار (مارس) ونيسان (ابريل) بالتحدي الوقح للبرلمان الغاصب ، اجلت الجمعية الوطنية جلساتها ثلاثة اشهر من ١١ آب (اغسطس) حتى ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) وخلفت مكانها لجنة دائمة مؤلفة من ثمانية وعشرين عضواً لم تكن تضم بوناپرتيين ولكنها قد ضمت بعض الجمهوريين المعتدلين ان اللجنة الدائمة لسنة ١٨٤٩ ضمت اعضاء حزب النظام وبوناپرتيين فحسب بيد ان حزب النظام قد اعلن آنذاك انه ضد الثورة بصفة دائمة وفي هذه المرة اعلنت الجمهورية البرلمانية انها ضد الرئيس بصفة دائمة وبعد قانون ٢١ ايار (مايو) كان هذا هو المنافس الوحيد الذي ما زال يواجه حزب النظام .

عندما انعقدت الجمعية الوطنية مرة اخرى في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٠ ، بدا انه غدا لا مناص من لشوب صراع كبير قاس ، صراع حياة او موت بين السلطتين ، بدلا من المناوشات الطفيفة التي قامت حتى الآن بين البرلمان والرئيس . وكما في سنة ١٨٤٩ ، كذلك اثناء العطلة البرلمانية لعام ١٨٥٠ انقسم حزب النظام الى كتل متفرقة انهمكت كل واحدة بمكائدها لاعادة الملكية ، وهي المكائد التي حصلت على غذاء جديد بوفاة لويس فيليب . بل ان ملك الشرعيين ، هنري الخامس ، حين وزارة رسمية اتخذت باريس مقرا لها وشغل بعض الاعضاء في اللجنة الدائمة مقاعد فيها . ولهذا كان من حق بونايرت ، بدوره ، ان يقوم برحلات في المقاطعات الفرنسية يفشي فيها مشاريع الاعادة الخاصة به بقدر متفاوت من الصراحة ويتصيد الاصوات الانتخابية لنفسه وفقا لمزاج المدينة التي كان يسعدها بحضوره . وفي هذه المواقف ، التي كانت تحتفل بها الصحيفة الرسمية الكبرى «Moniteur» ، والصحف الصغرى الخصوصية التابعة لبونايرت بطبيعة الحال بوصفها مواكب ظفر ، كان يرافقه دائما اشخاص ينتمون الى جمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) وهذه الجمعية يرجع تاسيسها الى سنة ١٨٤٩ فبحة تاسيس جمعية خيرية تم تنظيم حشالة البروليتاريا في باريس في اقسام سرية يقود كل قسم منها وكلاء بونايرتيون ويرأس الجميع جنرال بونايرتي وجنبا الى جنب مع الفجرة الذين بددوا اموالهم والمشكوك في وسائل معاشهم والمشكوك في اصلهم ومع المغامرين المنفلتين من اوباش البرجوازية الفاجرين كان هنالك متشردون وجنود مسرحون وزبائن سجون مطلقو السراح وهاربون من الاشغال الشاقة ونصابون ومشعوذون

ومتسكمون (٩٣) ونشالون ومحتالون ومقامرون وقوادون واصحاب مواخير وحمالون ولساخون وضاربو ارغن وجماعو اسمال وسنانو سكاكين ولحامو معادن ومتسولون - وباختصار كل هذا الجمهور السائب ، المتنوع ، غير المحدد الذي تدفعه الظروف هنا وهناك والذي يسميه الفرنسيون *la bohème* . من هذه العناصر القريبة منه ، كوتن بوناپرت نواة جمعية العاشر من كانون الاول - «جمعية خيرية» - اذ كان يشعر جميع اعضائها ، شأنهم شان بوناپرت ، بالحاجة الى اجتلاب الخيرات لانفسهم على حساب قسم الامة الكادح . وبوناپرت هذا الذي يجعل من نفسه رئيساً لـ «لجنة البروليتاريا» والذي يرى فيها وحدها انعكاساً جماعياً لمصالحه الشخصية والذي يرى في هذا الزبد والسقط والقمامة من جميع الطبقات الطبقة الوحيدة التي يستطيع ان يستند اليها دون قيد او شرط ، هو بوناپرت الحقيقي ، بوناپرت *sans phrase* . انه ، وهو الفاسق الماكر القديم ، ينظر الى الحياة التاريخية للشعوب والى جميع المآسي التي تحملها هذه الحياة نظره الى ملهاة باكثر المعاني اتذالا والى مسخرة لا تقصد الملابس الفخمة والكلمات والمواقف فيها الا ان تخفي احقر التذالات فهكذا في غزوة ستراسبورغ ادى عقاب سويسري مدرب دور النسر النابوليوني وائناء الفارة التي شنّها على بولون ، الّبس بعض الخدم اللندنيين البزات العسكرية الفرنسية انهم كانوا يمثلون الجيش (٩٤) . وفي جمعية العاشر من كانون الاول حشد عشرة آلاف من الاوغاد

• بوهيما المتأخر .

•• دون زينة . المتأخر .

عليهم ان يؤدوا دور الشعب كما نوى نك بوتوم ان يؤدي دور الاسد . وفي اللحظة التي كانت البرجوازية نفسها تؤدي فيها الملهاة باتم صورها ، ولكن باكثر المظاهر جدية ، دون ان تخفق اي شرط من الشروط المتحدقة لاصول فن الدراما في فرنسا ، وكانت هي نفسها ما بين منخدعة ومقتنعة بمهابة المسرحية التي تقوم بها ، كان لا بد للمضامر ، وهو الذي اخذ الملهاة مجرد ملهاة ، ان ينتصر . وهو لم يخدُ فريسةً لفكرته الخاصة من العالم ، وهو المهرج الجاد الذي لم يعد يعتبر تاريخ العالم ملهاة بل الملهاة التي يقوم بها تاريخ العالم ، الا عندما قضى على خصمه الوقور ، عندما صار ياخذ بنفسه الآن دوره الامبراطوري بصورة جدية ويتصور وهو تحت القناع النابوليوني انه نابوليون الحقيقي . وقد كانت جمعية العاشر من كانون الاول ، وهي القوة المقاتلة الحزبية التي يتميز بها بوناپورت ، تقوم عنده مقام المشاغل الوطنية عند العمال الاشتراكيين والحرس المتنقل عند الجمهوريين البرجوازيين . في اثناء رحلاته كان على قطعات هذه الجمعية المرصوفة في محطات السكك الحديدية ان ترتجل جمهوراً له وان تمثل مناظر الحماسة العمومية وان تزار «Vive l'Empereur!» وان تهين الجمهوريين وتضربهم ، بحماية البوليس بالطبع . وفي رحلات ايايه الى باريس كان عليها ان تولى حرس الطليعة ، ان تستبق المظاهرات المعاكسة او تفرقها . ان جمعية العاشر من كانون الاول كانت تخصه ، كانت عمله ، كانت فكرته الخاصة بالذات . اما كل ما يحوزه فيما عدا ذلك ، فقد وضع بيديه بحكم الظروف . وكل ما يفعله فيما عدا ذلك ،

تفعله الظروف له او يكتفي بالنسخ من اعمال الآخرين بيد ان بوناپرت بالعبارات الرسمية حول النظام والدين والعائلة والملكية فقال علنا وعلى ملا من البرجوازيين بينما يستند سراً الى جمعية شوفتير له وشبيغلبرغ واغرابهما ، جمعية الفوضى والدعارة والسرقة - اما هو بوناپرت نفسه في صفة المؤلف الاصلي ، وتاريخ جمعية العاشر من كانون الاول هو تاريخه الخاص لقد حدث ذات مرة حادث خارق : فان بعض النواب من حزب النظام وقع تحت هراوات اعضاء جمعية العاشر من كانون الاول بل اكثر من ذلك فان يون ، مفوض الشرطة المكلف بالسهر على سلامة الجمعية الوطنية ، ابلغ اللجنة الدائمة ، استناداً الى تصريح من شخص يدعى آليه ، ان فرعاً من فروع جمعية العاشر من كانون الاول قرر اغتيال الجنرال شافارنييه ودوبان ، رئيس الجمعية الوطنية ، وانه قام بالفعل بتعيين الاشخاص الذين كان عليهم تنفيذ هذا الفعل . ويستطيع المرء ان يتصور مدى الجوع الذي تملكه المسيو دوبان وبدا انه لا مناص من القيام بتحقيق برلماني يتناول جمعية العاشر من كانون الاول ، اي من فضح العالم البوناپرتي السري وقبيل انعقاد الجمعية الوطنية عمد بوناپرت ، على سبيل التحوط ، الى تسريح جمعيته ، على الورق فحسب بطبيعة الحال ، وذلك لان مدير الشرطة كارلييه كان ما يزال يسعى مبشاً في مذكرة تفصيلية وضعها في نهاية عام ١٨٥١ الى دفعه الى حل هذه الجمعية بصورة حقيقية .

وكان لجمعية العاشر من كانون الاول ان تبقى جيش بوناپرت الخصوصي حتى نجح في تحويل جيش الدولة الى جمعية العاشر من كانون الاول . ولقد قام بوناپرت بالمحاولة الاولى في هذا الصدد بعد ارفض الجمعية الوطنية بوقت قصير وبالمال ذاته

الذي اغتصبه منها . وهو ، بوصفه قادراً ، يعيش في العقيدة القائلة ان هنالك قوى ملوية معينة لا قبل للانسان ، وخاصة الجندي ، بمقاومتها ، وهو يعد من بين هذه القوى اولا وقبل كل شيء لفافات السيجار والشمبانيا ولحم الطيور البارد والمقانيق المحشوة بالثوم . وبناء على ذلك ، عمد بادى' ذي بدء الى تضييف الضباط وضباط الصف في مقاصير الايليزيه لفافات السيجار والشمبانيا ولحم الطيور البارد والمقانيق المحشوة بالثوم . وفي الثالث من تشرين الاول (اكتوبر) ، اعاد هذه المناورة مع جمهرة من الجنود في استعراض سان-ماور ، وفي العاشر من تشرين الاول كرر المناورة نفسها على نطاق اكبر في استعراض الجيش الرئيسي في ساتوري . لقد تذكر العم حملات الاسكندر في آسيا وتذكر ابن اخيه زحوف باخوس المظفرة في البلاد ذاتها . صحيح ان الاسكندر كان نصف الله ولكن باخوس كان الها حقيقياً بل كان الاله الحامي لجمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر)

بعد استعراض الثالث من تشرين الاول (اكتوبر) ادانت اللجنة الدائمة وزير الحربية دوبول فوعد بالا يتكرر هذا الخرق للانضباط . ونحن نعرف كيف حافظ بونايرت في العاشر من تشرين الاول على كلمة دوبول ان شانغارنييه ، بوصفه قائداً هاماً لجيش باريس ، قد قاد الاستعراضين وهو ، اذ كان في وقت واحد عضواً في اللجنة الدائمة ورئيساً للحرس الوطني و« منقذ » ٢٩ كانون الثاني (يناير) و ١٣ حزيران (يوليو) و« حصن المجتمع » ومرشح حزب النظام لشرف الرئاسة و« مولك » المظنون لملكيتين ، لم يعترف حتى الآن مطلقاً بأنه دون وزير الحربية منزلة وكان يردري دائماً للدستور الجمهوري بصورة مكشوفة ويتتبع بونايرت بحماية مبهمة فيها استعلاء . وقد استعبدت به

الآن الحماسة للودود عن الانضباط ضد وزير الحربية وعن الدستور ضد بوناپرت . وبينما كان فريق من الفرسان في العاهر من تشرين الاول (اكتوبر) يصيحون « Vive Napoléon! Vivent les saucissons! » وضع شانغاربييه ترتيباً لجعل المشاة الذين يمرون امام المنصة تحت قيادة صديقه نيماير على الاقل يراعون السمات المطبق وعقاباً على ذلك أحفى وزير الحربية الجنرال نيماير من وظيفته في باريس بتحريض من بوناپرت ، بحجة تعيينه قائداً عاماً للفرقتين العسكريتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة وقد رفض نيماير هذا التبادل في الوظائف فكان عليه بذلك ان يستقيل اما شانغاربييه فقد اذاع من جانبه امراً في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) منع فيه الجنود من الانضمام في المصراخ السياسي او المظاهرات من اي نوع ما داموا تحت السلاح . وهاجمت جرائد الايليزيه (٩٥) شانغاربييه وهاجمت جرائد حزب النظام بوناپرت ، وعقدت اللجنة الدائمة جلسات سرية متكررة اقترحت فيها تكراراً اعلان الوطن في خطر . وبدا ان الجيش انقسم الى معسكرين متعادين لهما هيتان متعاديتان للاركان العامة ، واحدة في الايليزيه حيث كان يسكن بوناپرت والاخرى في التويلري حيث كان مقر شانغاربييه وبدا ان انعقاد الجمعية الوطنية قد يقدو الاشارة للمعركة وحكم الجمهور الفرنسي على هذا الاحتكاك بين بوناپرت وشانغاربييه كما فعل ذلك الصحفي الانجليزي الذي حدد الوضع بالكلمات التالية :

« ان خادمت منزل فرنسا السياسيات يكنس حم الثورة بمكاس متيقة ويتشاجرن الواحدة مع الاخرى وهن يؤدين عملهن »

• « عاش نابوليون ! عاشت المقاتل ! » انتاخر .

وفي هذه الاثناء بادر بوناپرت الى اقالة وزير الحربية
دوبول وارساله باقصى السرعة الى الجزائر وتعيين الجنرال شرام
وزيراً للحربية مكانه . وفي ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) بعث الى
الجمعية الوطنية برسالة اميركية الاسهاب ، مشحونة بالتفاصيل ،
عابقة بشذا النظام ، راغبة في المصالحة ، مدعنة للدستور تتناول
كل شيء اجمالاً وافراداً ما عدا *questions brûlantes* * في الوقت
الراهن . وكانها بصورة عابرة ابدى ملاحظة مفادها ان التصرف
في الجيش ، وفق احكام الدستور الصريحة ، هو من شان الرئيس
وحده . واختتمت الرسالة بهذه الكلمات المهيبة :

«ان فرنسا تطالب ، قبل كل شيء ، بالسكينة ... وبما في
وطني مرتبط بقسم فسوف نكرم العهود الفيلة التي رسمها لي ...
ويقدر ما يتعلق الامر بي ، بوصفي منتخباً من قبل الشعب وادين له
وحده بالسلطة ، فاني سأنهض دائماً لارادته المعبر عنها بصورة شرعية
فاذا ما استقر رأيكم في هذه الدورة على اعادة النظر في الدستور فسوف
تتولى الجمعية التأسيسية تنظيم وضع السلطة التنفيذية . والا فان الشعب
سيعلن قراره على نحو مهيب في عام ١٨٥٢ ولكن مهما كانت حلول
المستقبل فدعونا نصل الى تفاهم بحيث لا ندع مطلقاً للعاطفة او المفاجاة
او العنف سبيلاً لتقرير مصير الامة العظيمة ان ما يشغل اهتمامي
في الدرجة الاولى ليس هو من يحكم فرنسا في سنة ١٨٥٢ بل كيف
استخدم الوقت الباقى تحت نصري بحيث تمر الفترة الانتقالية دون تهيج
او اضطراب لقد فتحت قلبي لكم باخلاص وستجيبون على صراحتي
بثقتكم وعلى مسامي الحميدة بتعاونكم والباقي على الله » .

ان لغة البرجوازية الموقرة ، المناققة في اعتدالها ، الفشة في فضيلتها ، لتكشف عن اعمق معانيها في لم اوتوقراطي جمعية العاشر من كانون الاول وبطل وليمتي سانسماور وساتوري

ان بورجرافيي حزب النظام لم يضللوا انفسهم لحظة في شان الثقة التي يستحقها فتح القلب هذا اما الايمان فقد طال عهد بشمهم منها ، اذ كانوا يضمنون بين صفوفهم محنكين وموهوبين في الحنث بالايمان السياسية ، ولكن لم يفتهم مع ذلك ان يسمعوا الفقرة المتعلقة بالجيش فقد لاحظوا ساخطين ان الرسالة في تعدادها المستفيض للقوانين التي شرعت مؤخراً قد اغفلت اهم هذه القوانين جميعاً ، وهو قانون الانتخاب ، بصمت متعمد ، بل انها تركت انتخاب الرئيس سنة ١٨٥٢ في حالة عدم اعادة النظر في الدستور ، الى الشعب ان القانون الانتخابي كان كرة الرصاص التي قيدت بها ارجل حزب النظام فمنعته من المشي بله منعته من الالتحام ! ناهيك بان بوناپرت ، بتسريجه الرسمي لجمعية العاشر من كانون الاول وبعرله وزير الحرية دوبول ، قد قرّب بيديه اكباش الفداء على مذبح الوطن لقد تلم حدة الصدام المرتقب . واخيراً كان حزب النظام نفسه حريصاً ، بدافع الجبن ، على ان يتفادى اي اشتباك حاسم مع السلطة التنفيذية وان يلفظفه ويطمسه وخوفاً من ان يخسر انتصاراته ضد الثورة ، سمح لمنافسه بان يجني ثمارها وان فرنسا تطالب ، قبل كل شيء ، بالسكينة . هذا ما صرخ به حزب النظام بوجه الثورة منذ شباط (فبراير) . وهذا ما صرخت به رسالة بوناپرت الآن بوجه حزب النظام وان فرنسا تطالب ، قبل

كل شيء ، بالسكينة ، ان بونايرت اتخذ تدابير تهدف الى الاقتصاب ولكن حزب النظام يخذو مذنباً في «تعمير السكينة» اذا اثار ضجيجاً حول هذه التدابير وفسرها تفسيراً سوداورياً موسوساً . ان مقائق ساتوري كانت تسكت سكوت السمك عندما لم يكن يتكلم عنها احد . وان فرنسا طالب ، قبل كل شيء ، بالسكينة . ولذا طالب بونايرت بان يتركوه يتصرف في سلام وسكينة . وكان الحزب البرلماني يشله خوف مزدوج خوف من ان يتسبب ثانية بتعمير ثوري للسكينة وخوف من ان يظهر هو نفسه بمظهر المحرض على تعمير السكينة في عيون طبقة ذاتها ، في عيون البرجوازية . ولما كانت فرنسا طالب بالسكينة قبل كل شيء فان حزب النظام لم يجرؤ على ان يجيب «حرباً» بعد ان تكلم بونايرت في رسالته «سلاماً» اما الجمهور الذي توقع مشاهد من الفضائح الكبرى لدى افتتاح الجمعية الوطنية فقد خابت توقعاته فنواب المعارضة الذين طالبوا بعرض محاضر مناقشات اللجنة الدائمة حول حوادث تشرين الاول (اكتوبر) خذلتهم الاغلبية . وتجنبت الجمعية ، من حيث المبدأ ، جميع المناقشات التي كان ممكناً ان تؤدي الى اهاجة المشاعر . ان اجراءات الجمعية الوطنية خلال تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) ١٨٥٠ كانت عديمة الاهمية وفي لواخر كانون الاول (ديسمبر) فقط ، بدأت صدامات صغيرة حول عدد من صلاحيات البرلمان وقد تفهت الحركة وانحصرت في مناقشات صغيرة حول صلاحيات كلتا السلطتين منذ ان تخلصت البرجوازية من الصراع الطبقي للاوقات القريبة القادمة بالغائها حق الاقتراع الشامل .

لقد اصدرت المحكمة حكمها بحق موغين ، احد النواب ، بسبب ديونه . ورداً على استفسار رئيس المحكمة ، اعلن روييه ، وزير العدلية ، وجوب اصدار الامر بالقاء القبض على المدين دون مزيد من الاخذ والرد . وهكذا زج بموغيين في حبس المدينتين . ومارت ثائرة الجمعية الوطنية عندما علمت بالاعتداء على حصانة النواب . ولم تكتف باصدار الامر باطلاق سراحه في الحال بل انها عملت على احضاره بالقوة من كليشي في المساء ذاته بواسطة كاتبها بيد انها لكي تثبت ايمانها بقداسة الملكية الخاصة ومع الفكرة التي كانت تساورها بفتح ملجأ ، اذا اقتضى الامر ، «للجبليين» الذين غدوا مزعجين ، اعلنت ان حبس النواب بسبب الدين يمكن السماح به بعد الحصول على موافقة سابقة منها ونسيت ان ترمم بانه يمكن حبس الرئيس ايضاً بسبب الدين لقد قضت على آخر مظهر من مظاهر الحصانة التي كانت تحيط باعضاء هيئتها نفسها .

لقد اشرنا اعلاه الى ان يون ، مفوض الشرطة ، قد اخبر عن تدبير فرع من فروع جمعية العاشر من كانون الاول لخطه اغتيال دوبان وشانفارنييه ، بناء على اخبارية من شخص يدعى آليه . ونظرا لهذا قدم الكويستور في الجلسة الاولى ذاتها اقتراحا بتشكيل شرطة خاصة بالبرلمان ، تدفع مرتباتها من الميزانية الخاصة للجمعية الوطنية وتكون مستقلة استقلالاً مطلقاً عن مدير الشرطة . واحتج وزير الداخلية ، باروفس ، على هذا الاعتداء على ميدان اختصاصه بعد هذا ، تمت مساومة بالسة بهذا الشأن اصبح راتب مفوض شرطة البرلمان بموجبها يدفع حقيقة من ميزانيته الخاصة ويعين ويعزل من قبل كويستور البرلمان ولكن بعد اتفاق سابق مع وزير الداخلية فحسب . وفي هذه الأثناء

باشرت الحكومة بالملاحقات القضائية بحق آليه وكان من السهل هنا اظهار اخباريته بأنها خزعبله واطهار دويان وشانفارييه ويون والجمعية الوطنية بكاملها بمظهر مضحك ، وذلك على لسان المدمي العام وبعد هذا ، يكتب الوزير باروش في ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) رسالة الى دويان يطالب فيها بعزل يون . ويقرر ديوان الجمعية الوطنية ابقاء يون في منصبه ، بيد ان الجمعية الوطنية ، ولقد ذعرت من عنفها في قضية موغين واعتادت ان تتلقى من السلطة التنفيذية ضربتين مقابل كل ضربة تجرات على توجيهها اليها ، لم تصادق على هذا القرار . وعزلت يون مكافاة له على ما ابداه من حماسة في الوظيفة وسلبت نفسها صلاحية برلمانية لا تحق عنها ازاء شخص لا يقرر ليلا ما ينفذه نهاراً بل يقرر نهاراً وينفذ ليلا .

لقد راينا كيف ان الجمعية الوطنية في مناسبات جديده بارزة خلال شهري تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) قد تفادت لو رفضت الصراع مع السلطة التنفيذية . ونحن الآن نجدها مرغمة على مباشرته في اصغر المناسبات شأناً . ففي قضية موغين تؤكد ، من حيث المبدأ ، حبس النواب بسبب الدين ولكنها تحتفظ بحق تطبيقه على النواب الذين تمقتهم فحسب ، وتتشاجر حول هذا الامتياز الشائن مع وزير العدلية وبدلاً من ان تستفيد من بيا اعداد مؤامرة القتل فتأمر باجراء تحقيق في نشاط جمعية العاشر من كانون الاول وتكشف بذلك القناع لهائياً عن بونايرت امام فرلسا ولوروبا ، بحيث يستحيل ستره بعد ذلك ، وبحيث يبدو في صفته الحقيقية رئيساً لحثالة البروليتاريا في باريس ، حشرت النزاع في مشاجرة بينها وبين وزير الداخلية هي ايها صاحب الصلاحية في تعيين مفوض شرطة

وعزله . وهكذا ترى حزب النظام ، خلال هذه الفترة بأسرها ، قد ارفعه موقفه المبهم على تبيد صراعه مع السلطة التنفيذية وتحويله الى هذر ولفو وتفتيته في مناوشات صغيرة حول حدود الصلاحيات ومماحكات صغيرة ولزاعات قانونية سفسطائية وخلافات على تحديد السلطات ، وعلى جعل المسائل الشكلية الفارغة موضوعا لنشاطه انه لا يجرى على الدخول في القتال في اللحظة التي يكون فيها للصراع معنى من حيث المبدأ ، عندما تكون السلطة التنفيذية قد فضحت نفسها حقا وتكون قضية الجمعية الوطنية هي قضية الامة وهو اذ يفعل ذلك يكون قد اعطى الامة الاوامر بأن تهاجم في حين انه ليس له ما يخشاه اكثر من ان تتحرك الامة ولذا يرفض في مثل هذه المناسبات اقتراحات «الجبيل» وينتقل الى اجراءات دورية وبعد ما امتنع حزب النظام عن النضال الواسع النطاق ، اخذت السلطة التنفيذية تتحين بهدوء الوقت الذي يمكن لها فيه ان تخوض هذا النضال ثانية في مناسبات صغيرة تافهة ، اي عندما يكون الامر ، كما يقال ، ذا اهمية برلمانية محلية فحسب وعندئذ ينفجر غضب حزب النظام المكبوت ، عندئذ يزيح حزب النظام الستار عن الكواليس ، عندئذ يكشف القناع عن الرئيس ، عندئذ يعلن الجمهورية في خطر ، ولكن عندئذ ايضا تبدو غيرته ضعيفة وتبدو مناسبة الصراع ذريعة ملؤها النفاق او غير جذيرة مطلقا بالصراع . وتصبح العاصفة البرلمانية عاصفة في فئجان ، ويصبح الصراع مكيدة والنزاع فضيحة . وبينما تتامل الطبقات الثورية مليا بشماعة الادلال الذي صارت اليه الجمعية الوطنية وذلك لان حماسها لصلاحيات هذه الجمعية البرلمانية تعادل تماما حماسة الاخيرة للحريات العامة ، لا تدرك البرجوازية خارج البرلمان كيف تقدر البرجوازية داخل البرلمان

على اضاءة الوقت في مشاحنات صغيرة كهذه وتهديد السكينة بمثل هذه المنافسات الحقيرة مع الرئيس ، وتنتابها البلبلة من ستراتيجية يعقد بموجبها الصلح في لحظة تتوقع فيها الدنيا كلها المعارك ، ويبدأ بموجبها الهجوم في اللحظة التي تعتقد فيها الدنيا كلها ان الصلح قد عقد

في العشرين من كانون الاول (ديسمبر) تقدم باسكال دوبوا باستجواب الى وزير الداخلية بشأن يانصيب قضبان الذهب . ان هذا اليانصيب كان وابنة الايليزيوم» (٩٦) وقد جلبه للدنيا بوناپرت واتباعه ووضعه مدير الشرطة كارلييه تحت حمايته الرسمية ، رغم ان القانون الفرنسي يحرم جميع انواع اليانصيب ما عدا اليانصيب الذي يخص للاغراض الخيرية فقد صدرت سبعة ملايين تذكرة يانصيب ، ثمن التذكرة فرنك ، يخصص ريعه في ظاهر الامر لتسفير مشردي باريس الى كاليفورنيا فمن جهة كان للاعلام الذهبية ان تحمل محل الاحلام الاشتراكية لبروليتاريا باريس وللأمل المغري في الفوز بالجائزة الاولى ان يحل محل الحق النظري في العمل ومن الطبيعي ان عمال باريس لم يتعرفوا في بريق قضبان كاليفورنيا الذهبية على الفرنكات المتواضعة التي سحبها الاغواء من جيوبهم. وعلى العموم، كان هذا اليانصيب «نصبا» صريحا ان المشردين الذين ارادوا فتح مناجم ذهب كاليفورنيا دون ان يرجعوا انفسهم بترك باريس كالوا بوناپرت نفسه وحاشيته المثقلة بالديون . فان الملايين الثلاثة التي وافقت الجمعية الوطنية على اعتمادها قد بعزت وكان لا بد من املاء صناديق المال الفارغة ثانية بطريقة او باخرى وحشا افتتح بوناپرت اكتتابا وطنيا. لانشاء ما يسمى cités ouvrières • وظهر هو نفسه

على رأس القائمة بمبلغ كبير . ان البرجوازيين قساة القلوب
انتظروه بارتياح حتى يسدد حصته ، ولما لم يحدث هذا بطبيعة
الحال ، اندثرت المضاربة بالقصور العوالي الاشتراكية كقفاعات
الصابون وكان سحب قضبان الذهب افضل ان بوناپرت
وشركاه لم يكتفوا بان يملأوا جيوبهم بجزء من دخل اليانصيب
بقي من السبعة ملايين فرنك بعد حسم قيمة القضبان المعروضة
في اليانصيب بل صنعوا تذاكر يانصيب مزورة ، اذ اصدروا عشر
 وخمس عشرة بل وعشرين تذكرة تحمل ذات الرقم - وهي عملية
 مالية تنسجم مع روح جمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ا
 ان الجمعية الوطنية لم تواجه هنا رئيس الجمهورية الوهمي بل
 واجهت بوناپرت بلحمه ودمه هنا كان في وسعها ان تمسكه
 متلبساً بفضلته ، ليس خلافا للدستور بل خلافا لـ Code pénal*
 واذا كانت الجمعية الوطنية قد اجابت على استجواب دوبوا
 بالانتقال الى الاجراءات الدورية ، فان هذا لم يحدث لمجرد ان
 اقتراح جيراردين بانه ينبغي ان تعلن وارتياحها قد ذكر حزب
 النظام بالفساد المنتظم القائم بين صفوفه ان البرجوازي ، وفي
 الدرجة الاولى البرجوازي الذي تضخم فأصبح رجل دولة ، يكمل
 لومه العملي بالاسراف النظري . وهو يصبح ، بوصفه رجل دولة ،
 شأن سلطة الدولة التي تواجهه ، كأننا اهل لا يمكن محاربته
 الا بشكل اهل واحد تكريسا .

ان بوناپرت الذي كان يتمتع بوصفه وليد البوهيما وزعيما
 لعتالة البروليتاريا ، بمزية على البرجوازي النذل من حيث انه
 استطاع ان يقود الصراع بوسائل سافلة رأى الآن ، بعد ان

* قانون العقوبات . التناهي .

قاده الجمعية نفسها بيدها بنجاح عبر مزالق الولايم العسكرية والاستعراضات وجمعية العاشر من كانون الاول واخيراً Code pénal ، ان اللحظة التي يستطيع فيها ان ينتقل من الدفاع الظاهري الى الهجوم قد حانت . وقليل ما ازعجته الهزائم الصغيرة التي حلت في هذه الاثناء بوزير العدلية ووزير الحرية ووزير البحرية ووزير المالية والتي اهربت الجمعية الوطنية من خلالها من امتيائها المزمجر . فهو لم يكتف بان يمنع الوزراء من ان يستقيلوا فيعترفوا بذلك بسيادة البرلمان على السلطة التنفيذية بل انه استطاع الآن ان يتم ما بداه اثناء عطلة الجمعية الوطنية اي فصل السلطة العسكرية عن البرلمان اذ انه اقصى شانغارنييه .

نشرت صحيفة من صحف الايليزيه امراً يومياً زعم انه وجه في شهر ايار (مايو) الى الفرقة العسكرية الاولى وانه صدر بالتالي من شانغارنييه ، وفيه أوصي الضباط بالا تاخذهم في حالة التمرد رافة بالخونة في صفوفهم بل بان يرموهم بالرصاص على الفور وان يرفضوا مد الجمعية الوطنية بالجند ، فيما لو استدعتهم . وفي ٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٥١ تلقت الوزارة استجواباً بشأن هذا الامر وطلب الوزارة ، من اجل اجراء تحقيق في هذه القضية ، مهلة ثلاثة اشهر في لول الامر ، ثم اسبوعاً واخيراً اربعاً وعشرين ساعة لحسب . وتصر الجمعية على تفسير فوري ، وينهض شانغارنييه ويصرح بانه لم يصدر امراً كهذا على الاطلاق ويضيف انه سيبادر دائماً الى الامتثال لطلبات الجمعية الوطنية وانها تستطيع في حالة حدوث اصطدام ان تعول عليه . وتستقبل الجمعية تصريحه بتهليل وتصفيق لا يوصف وتصدر قراراً بالثقة فيه . انها تتخطى من السلطة وتصدر حكماً



بجزها هي وبقدرة الجيش الكلية بوضع نفسها تحت الحماية الخاصة لجنرال بيد ان الجنرال يخطئ عندما يضع تحت امر البرلمان ضد بوناپرت قوة حازها بمثابة اقطاع فقط من بوناپرت نفسه ، وعندما يتوقع ، هو بدوره ، ان يحميه هذا البرلمان ، هذا اللائد به الذي يحتاج الى الحماية . بيد ان شانغاربييه يؤمن ، على كل حال ، بالقوة الفاضلة التي اسبغتها البرجوازية عليه منذ ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ انه يعتبر نفسه السلطة الثالثة التي تقوم جنبا الى جنب مع سلطتي الدولة الاخرين وهو يشارك سائر ابطال هذه الفترة ، او بالاحرى قديسيها ، مصيرهم ، وهم الذين تقوم عظمتهم ، بوجه التحديد ، على الفكرة العظيمة المتحيزة التي شيعها عنهم حزبهم والذين ينكمشون الى اشخاص عاديين حالما تدعهم الظروف الى القيام بالمعجزات ان عدم الايمان هو ، بصورة عامة ، العدو المميت لهؤلاء المحسوبين ابطالا والقديسين الحقيقيين ومن هنا ينشا غضبهم الفاضل الجليل على هذا الفقر في الحماسة الذي يديه المتندرون والساخرون

في المساء نفسه يدعى الوزراء الى قصر الايليزيه ويصر بوناپرت على عزل شانغاربييه ويرفض خمسة وزراء توقيع العزل وتعلن «Moniteur» نشوء ازمة وزارية بينما تهدد صحف حزب النظام بتشكيل جيش برلماني تحت قيادة شانغاربييه . وقد كان لدى حزب النظام الحق الدستوري في اتخاذ هذه الخطوة . ولم يكن عليه الا ان ينتخب شانغاربييه رئيسا للجمعية الوطنية ويستمدى العدد الذي يشاؤه من الجنود لحمايتها وكان في وسعه ان يفعل ذلك باطمئنان تام لأن شانغاربييه كان ما يزال بالفعل على رأس الجيش والحرس الوطني في باريس وكان ينتظر

فقط ان يستدعى هو والجيش لتقديم المساعدة ولم تجر
الصحف البونابرتية لغاية الآن حتى على مناقشة حق الجمعية
الوطنية في استدعاء الجنود مباشرة ، وهو تشكك قانوني لم يكن
يبشر في تلك الظروف بأي حظ من النجاح . اما ان الجيش كان
سيطيع اوامر الجمعية الوطنية فهو امر محتمل كثيراً اذا تذكر
المرء ان بوناپرت اضطر الى ان يفتش باريس كلها مدة اسبوع
لكي يجد جنرالين - باراغه ديليه وسان-جان دانجيلي - اعلنا
استعدادهما لاضافة توقيعهما على امر عزل شانغاربييه اما
ان حزب النظام كان سيجد في صفوفه نفسها وفي البرلمان العدد
اللازم من الاصوات لاتخاذ قرار كهذا فهذا اكثر من مشكوك فيه
لو اخذ المرء بالحسبان انه انفصل ٢٨٦ نائباً عن الحرب بعد
اسبوع وانه في شهر كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ ، في
ساعة الفصل الاخيرة ، كان «الجبل» يرفض اقتراحاً مماثلاً
ورغم هذا ، ربما كان ما يزال في وسع البورجوازيين ان ينجحوا
في دفع جمهرة حزبهم الى بطولة الاختفاء خلف غابة من الحراب
والى قبول خدمات جيش التحقق بمعسكرهم وبدلاً من هذا ،
توجه السادة البورجوازيون مساء ٦ كانون الثاني (يناير) الى
قصر الايليزيه ليحملوا بوناپرت ، باستخدام الاساليب والحجج
الدبلوماسية ، على عدم اتخاذ قرار بالقالة شانغاربييه . وكل
من تسعى لاقتناعه فانما تعترف بانه سيّد الموقف . وفي ١٢
كانون الثاني عمد بوناپرت ، وقد بعثت هذه الخطوة التي اتخذها
البورجوازيون في نفسه الاطمئنان ، الى تشكيل وزارة جديدة بقي
فيها زعيما الوزارة القديمة ، فولد وباروش . واصبح رينودي سان-
جان دانجيلي وزيراً للحربية ، ونشرت «Moniteur» مرسوم
اقالة شانغاربييه وتوزيع وظيفتيه بين باراغه ديليه الذي استلم

لرقة الجيش الاولى ، وبيرو الذي استلم الحرس الوطني وأُقيل
«ومن المجتمع» ، وبينما لم يتسبب هذا في سقوط اية آجرة
من الاسطحة فان اسعار البورصة قد ارتفعت بالمقابل

ان حزب النظام ، اذ صد الجيش الذي يضع نفسه في
شخص شانغارلييه تحت تصرفه وتنازل عنه بذلك بصورة
قطعية للرئيس ، قد أثبت ان البرجوازية قد فقدت القدرة على
الحكم . ولم يعد هناك وزارة برلمانية . وهو اذ فقد الآن بالفعل
قبضته على الجيش والحرس الوطني فما هي وسائل القهر لديه
التي يتمكن بها من ان يحتفظ في آن واحد بسلطة البرلمان
المفتصة على الشعب وبسلطته الدستورية ضد الرئيس ؟ لا
شيء . لم يبق له الآن الا ان يلجأ الى المبادئ العاجزة ، الى
المبادئ التي اعتبرها هو نفسه دائما مجرد قواعد عامة يشير
بها على الآخرين لكي يتمكن من ان يتصرف هو بحرية اكبر

ان عزل شانغارلييه وسقوط السلطة العسكرية بيدي بوناپرت
يختتمان الجزء الاول من هذه الفترة التي نحن بصدها ، فترة
الصراع بين حزب النظام والسلطة التنفيذية . وقد اعلنت الحرب
بين السلطتين الآن بصورة رسمية ، وهي تخاض بصورة مكشوفة ،
ولكن بعد ان فقد حزب النظام السلاح والجند . واذا غدت الجمعية
الوطنية بلا وزارة ولا جيش ولا شعب ولا رأي عام ، ولم تبق بعد
اصدارها القانون الانتخابي للحادي والثلاثين من ايار (مايو)
تمثل الامة ذات السيادة ، واذا غدت بلا عيون ولا آذان ولا
اسنان ولا اي شيء ، تحولت تدريجيا الى برلمان فرنسي قديم
(٩٧) عليه ان يترك العمل للحكومة ويكتفي هو بمهمة
الاغترافات post festum .

* بعد العيد ، اي بعد وقوع الحادث . القاهر .

واستقبل حزب النظام الوزارة الجديدة بعاصفة من السخط .
 واعاد الجنرال بيدو الى الدهن اللطف الذي ابدته اللجنة الدائمة
 اثناء العطلة والاعتبار الزائد الذي اظهرته بالعدول من نشر
 محاضر جلساتها . واخذ وزير الداخلية بنفسه يصر الآن على
 نشر هذه المحاضر التي عدت في هذا الوقت بطبيعة الحال راکدة
 كمياء آسنة لا تكشف عن اية حقائق جديدة وليس لها ادنى
 تأثير على الجمهور المتعب الضجر وبناء على اقتراح ريموز ،
 عينت الجمعية الوطنية ، بالاعتماد على جلسات لجائها ، لجنة
 الاجراءات فوق العادة ، اما باريس فلم تخرج في حياتها من
 مجراها العادي اذ ان التجارة كانت في هذه اللحظة رائجة
 والمؤسسات الصناعية ناشطة واسعار الحنطة منخفضة والمواد
 الغذائية فائضة وصناديق التوفير تتلقى يوميا الودائع الجديدة
 وتمخضت «الاجراءات فوق العادة» التي اعلن عنها البرلمان
 بكل تلك الضجة فولدت قراراً في اليوم الثامن عشر من كانون
 الثاني (يناير) بحجب الثقة من الوزراء حتى دون ان يأتي
 للجنرال شانفارييه ذكر . وقد اضطر حزب النظام الى صياغة
 قراره بهذه الصورة لكي يؤمن لنفسه اصوات الجمهوريين ، ذلك لأن
 عزل شانفارييه كان من بين جميع الاجراءات التي اتخذها
 الوزارة هو الاجراء الوحيد الذي يوافق عليه الجمهوريون بينما
 لم يكن حزب النظام في الواقع في وضع يمكنه من سحب الاعمال
 الوزارية الاخرى اذ انه هو الذي املاها بنفسه على الوزارة .

ان قرار حجب الثقة الصادر في ١٨ كانون الثاني (يناير)
 قد اتخذ بأربعمائة وخمسة عشر صوتاً مقابل مائتين وستة
 وثمانين ، اي انه لم يتخذ الا بائتلاف الشرعيين والاورليانيين
 المتطرفين مع الجمهوريين الصرف و«الجبيل» . فبين ذلك ان

حزب النظام لم يفقد في نزاعاته مع بوناپرت الوزارة وحدها ولا الجيش وحده بل فقد ايضا اغلبيته البرلمانية المستقلة ، وان فريقا من النواب قد انفضوا عن معسكره بدافع الميل الاعمى الى المساومة او الخوف من الصراع او الكلل او الحرص العائلي على مرتبات الدولة القريية اليهم العريزة عليهم او الامل في الحصول على المناصب الوزارية الخالية (اوديلون بارو) او بدافع الانانية الحقيرة التي تجعل البرجوازي العادي يجنح دائما الى تضحية المصلحة العامة لطبقته لهذا لباعث الشخصي او ذلك ومنذ البداية لم يتشبث النواب البوناپرتيون بحزب النظام الا في الصراع ضد الثورة . ومنذ ذلك الحين عمد مونتالمبير ، زعيم الحزب الكاثوليكي ، الى القاء نفوذه الشخصي في الكفة البوناپرتية لانه يشس من قدرة الحزب البرلماني على الحياة . واخيرا اضطر زعيما هذا الحزب ، الاورلياني تيير والشرمي برييه ، الى ان يعطنا نفسيهما جمهوريين بصورة مكشوفة وان يعترفوا بأن قلوبهما ملكيان ولكن راسيهما جمهوريان وان الجمهورية البرلمانية كانت الشكل الوحيد الممكن لحكم البرجوازية ككل وهكذا ، اضطروا على ملا من الطبقة البرجوازية نفسها ، الى ان يصما مشروعات العودة التي واصلا العمل على تحقيقها . بلا كلل من وراء ظهر البرلمان ، بأنها مكيدة فيها من الخطر بقدر ما فيها من فراغ العقل .

ان قرار حجب الثقة الصادر في ١٨ كانون الثاني (يناير) قد اصاب الوزارة لا الرئيس . ولكن ليست الوزارة بل الرئيس هو الذي هول شالغارنييه . أفلم يكن يجب ان يضع حزب النظام بوناپرت نفسه موضع الاتهام ؟ بسبب رغبات العودة التي لديه ؟ ولكن الاخيرة كانت مجرد تكلمة لرغباته هو . بسبب مؤامره المتصلة بالاستعراضات العسكرية وجمعية العاشر من كانون

الاول (ديسمبر) ؟ ولكنه دلف هذه الموضوعات منذ زمن طويل تحت جداول الاعمال البسيطة اليومية بسبب عزل بطل ٢٩ كانون الثاني (يناير) و١٢ حزيران (يونيو) ، الرجل الذي هدد في ايار (مايو) ١٨٥٠ باضعال النار في اركان باريس الاربعة في حالة حدوث تمرد ؟ ولكن حلفاءه من «الجبل» وكافينياك لم يسمحوا له حق بأن يؤيد «حصن المجتمع» الساقط بواسطة شهادة رسمية بالعطف عليه . بل ان حزب النظام نفسه لم يستطع انكار حق الرئيس الدستوري في عزل الجنرالات انه لم يتهيج الا لان الرئيس استخدم حقه الدستوري ضد البرلمان ولكن لم يستخدم حزب النظام نفسه باستمرار صلاحيته البرلمانية ضد الدستور ، خصوصا فيما يتعلق بالغاء حق الاقتراع الشامل ؟ ولذا لم يبق له غير ان يتمسك بدقة بالحدود البرلمانية وبغير هذا الداء الغريب الذي استشرى منذ عام ١٨٤٨ في طول القارة الاوروبية وعرضها ، وهو داء البلاء البرلمانية ، والذي يشد المصابين به الى عالم خيالي ويسلبهم كل عقل وكل ذكرى وكل فهم للعالم الخارجي اللفظ - بغير هذه البلاء البرلمانية لا يمكن تفسير سلوك حزب النظام الذي دمر جميع شروط جيروت البرلمان بايديه ، وكان لا بد له من ان يدمرها في صراعه مع الطبقات الاخرى ، وظل مع ذلك يعتبر انتصاراته البرلمانية انتصارات ويعتقد انه يصيب الرئيس بتوجيهه الضربات الى وزرائه . وكل ما فعله هو انه منح الرئيس الفرصة لاذلال الجمعية الوطنية من جديد في عيون الامة . ففي المهرين من كانون الثاني (يناير) اعلنت «Moniteur» قبول استقالة الوزارة بأسرها وبدرية ان حزبا برلمانيا واحدا لم يعد يتمتع بالاعلبية ، كما اثبت ذلك تصويت ١٨ كانون الثاني ، هذه الثمرة لائتلاف «الجبل»

والملكيين ، وریشما يتسنى تشكيل اغلبيه جديدة ، عهد بوناپرت الى تعيين ما يسمى بوزارة انتقالية لم يكن عضو واحد من اعضائها عضواً في البرلمان بل كانوا جميعاً اشخاصاً مغمورين تماماً ولا شأن لهم ، وزارة مجرد كتبة ولساخ . واصبح في وسع حزب النظام الآن ان يبدد قواه في اللعب مع هذه الدمى . اما السلطة التنفيذية فلم تعد تعتقد بان الامر يستحق منها ان تكون ممثلة تمثيلاً جدياً في الجمعية الوطنية . وكلما كان وزراء بوناپرت مجرد دمى ، كلما ركز هو السلطة التنفيذية بأسرها في شخصه واتسم المجال امامه لاستغلالها لغاياته الخاصة

وبالاتلاف مع «الجبل» ، ثار حزب النظام لنفسه برفض منح الرئيس مبلغ مليون ومائتا ألف فرنك ، وهو المبلغ الذي كان رئيس جمعية العاشر من كانون الاول قد ارغم صنائعه الوزراء على ان يقترحوه . وقد تقررت المسألة في هذه المرة باغلبية مائة صوت وصوتين فقط ، اي ان سبعة وعشرين صوتاً جديداً انفضت منذ ١٨ كانون الثاني (يناير) عن حزب النظام ؛ ان الحلال حزب النظام كان يجري قدماً . وفي الوقت ذاته ، ولكي لا يكون هنالك مجال للالتباس لحظة واحدة بشأن معنى انتلافه مع «الجبل» ، انف حتى ان يبدأ المناقشات حول الاقتراح موقع من مائة وتسعة ومائتين عضواً من «الجبل» يدعو الى اصدار عفو عام عن المجرمين السياسيين . كان يكفي وزير الداخلية ، وهو شخص يدمى فايس ، ان يعلن ان السكينة ظاهرية فحسب وان تحريضاً قوياً سرياً ينتشر في البلاد وانه يجري تنظيم جمعيات سرية في كل مكان وان الصحف الديموقراطية تستعد للظهور ثانية وان التقارير الواردة من المقاطعات لا تبشر بالخير وان لاجني جينيف يراسون مؤامرة تمتد خيوطها عن طريق

ليون الى سائر انحاء جنوبي فرنسا وان فرنسا على حافة ازمة
صناعية وتجارية وان اصحاب المعامل في مدينة روبيه قد
خفضوا ساعات العمل وان مساجين بيل-ايل (٩٨) قد ثاروا -
كان يكفي فايس هذا ان يستحضر الشبح الاحمر حتى يرفض حزب
النظام دون مناقشة اقتراحا كان من شأنه ان يكسب الجمعية
الوطنية على وجه التحقيق شعبية عظيمة ويرمي بونابرت بين
ذراعيها من جديد . وكان ينبغي عليه ، بدلا من ان يدع السلطة
التنفيذية ترهبه باحتمال نشوب اضطرابات جديدة ، ان يمنع
الصراع الطبقي بالاحرى بعض المجال حتى يبقى السلطة التنفيذية
في حالة اعتماد عليه بيد انه لم يكن يشعر بانه اهل لمهمة
اللعب بالنار .

وفي غضون ذلك عاقت ما تدمى بالوزارة الائتالية
معيشتها الخاملة حتى منتصف نيسان (ابريل) وقد انهك
بونابرت الجمعية الوطنية وخادعها بمناورات وزارية جديدة
مستمرة . فتارة كان يبدو عليه انه يريد تشكيل وزارة جمهورية
تضم لامارتين وبيو وطورا وزارة برلمانية تضم اوديلون بارو ،
الذي لا بد ان يكون اسمه حاضرا ابدأ عندما يحتاج الامر الى
مغفل ، ثم وزارة شرعية تضم فاليمينيل وبنوا دازي ، ثم تارة
اخرى وزارة اورليانية تضم مالفيل وبينما ابقي بونابرت
على هذا الوجه التكتلات المختلفة من حزب النظام في حالة توتر
الواحدة ضد الاخرى وافزع حزب النظام ككل باحتمال تشكيل
وزارة جمهورية وما يستتبعه ذلك حتما من احادة حق الاقتراع
الشامل ، كان يوحي الى البرجوازية في الوقت نفسه الاقتناع
بان عدم تسامح التكتلات الملكية هو الذي يحبط جهود الشريفة
لتشكيل وزارة برلمانية . اما البرجوازية فكان يعلو صراخها

من اجل «حكومة قوية» وتجد ان ترك فرنسا «دون ادارة» يصبح امراً اقل احتمالاً للخفران بقدر ما كان يبدو ان الازمة التجارية العامة الراحفة اخذت تكسب للاشتراكية انصاراً جديداً في المدن ، تماماً كما فعل الهبوط المخرب في سعر القمح في الريف . وازداد كساد التجارة يوماً بعد يوم كما زادت الايدي العاطلة بصورة ملموسة وبسات عشرة آلاف عامل ، على الاقل ، محرومين من الخبز في باريس وتعطل عدد لا يحصى من المعامل في روان ومولهوس* وليون وروبيه وتوركويين وسانتاينين والبيف ، الخ .. وفي هذه الظروف استطاع بوناپرت ان يجتري في ١١ نيسان (ابريل) على اعادة وزارة ١٨ كانون الثاني (يناير) : السادة روبيه وفولد وباروش ، الخ ، اضيف اليهم المسيو ليون فوشيه الذي كانت الجمعية التأسيسية في ايامها الاخيرة قد وصمته باجماع الاصوات ، باستثناء خمسة اصوات ادلى بها الوزراء ، بقرار حجب ثقة لاداعة برقيات كاذبة وهكذا ، ما احرزت الجمعية الوطنية انتصارها على وزارة ١٨ كانون الثاني (يناير) وما تصارعت مع بوناپرت ثلاثة اشهر الا تمكن فولد وباروش من ادخال المتزمت فوشيه في ١١ نيسان (ابريل) شخصاً ثالثاً في حلفهما الوزاري .

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٩ اكتفى بوناپرت بوزارة غير برلمانية وفي كانون الثاني ١٨٥١ اكتفى بوزارة خارجة عن البرلمان وفي ١١ نيسان انس من نفسه القوة بحيث يشكل وزارة معاداة للبرلمان كانت تجمع في ذاتها بالنسجام قرارات حجب الثقة التي اصدرتها الجمعيتان التأسيسية والتشريعية ، الجمهورية

والملكية . وقد كان هذا التدرج في الوزارات هو مقياس الحرارة الذي كان البرلمان يستطيع بواسطته ان يقيس انخفاض حرارة حياته هو . وما ان اشرف شهر نيسان (ابريل) على نهايته حتى كانت الاخيرة قد هبطت الى حد استطاع معه برصنييه ان يبعث شانغارنييه ، في مقابلة شخصية ، على الانضمام الى معسكر الرئيس واكد له ان بونابرت يعتبر ان نفوذ الجمعية الوطنية قد قضى طيه تماما وانه تم اعداد المنشور الذي سيذاع بعد coup d'état ، الذي كان مائلا في الدهن بصورة واضحة ولكنه تأجل بفعل الصدفة مرة اخرى وقد ابلغ شانغارنييه زعماء حزب النظام بحكم الموت هذا . ولكن من ذا الذي يظن عضات البق مميتة ؟ وما كان في وسع البرلمان ، وهو العاجز المفكك الذي دب فيه الموت والذي يوشك ان يلفظ نفسه الاخير ، ان يتغلب على نفسه ليرى في مبارزته مع الرئيس المسخ لجمعية العاشر من كانون الاول فيينا غير مبارزة مع بقعة . ولكن بونابرت اجاب حزب النظام بمثل ما اجاب اجيسلاوس الملك اجيس «ابنوا لعينيك نملّة ولكني سأكون ذات يوم اسدا» (٩٩)

٦

ان الائتلاف مع «الجبل» والجمهوريين الصرف الذي وجد حزب النظام انه محكوم به عليه في جهوده غير المجدية للاحتفاظ بالسلطة العسكرية ولاستعادة الاشراف الاعلى على السلطة التنفيذية اثبت بلا جدال انه قد خسر اكثريته البرلمانية المستقلة . وفي ٢٨ ايار (مايو) اعطت القوة البسيطة للتقويم الزمني ولعقرب الساعة الاشارة لتفككه تفككا تاما في ٢٨ ايار بدأت السنة الاخيرة من سني حياة الجمعية الوطنية . لقد كان

عليها الآن ان تقرر اما ابقاء الدستور دون تغيير او اعادة النظر فيه . بيد ان اعادة النظر في الدستور لم تكن تعني فحسب الاختيار بين حكم البرجوازية او حكم ديموقراطية البرجوازية الصغيرة ، بين الديموقراطية او الفوضى البروليتارية ، بين الجمهورية البرلمانية او بوناپرت ، بل كانت تعني في الوقت نفسه الاختيار بين اورليان او بوربون ! وهكذا سقطت وسط البرلمان نفسه تفاحة الشقاق التي كان لا بد لها ان توجع علنا التضارب في المصالح التي شقت حزب النظام الى تكتلات متعادلة ان حزب النظام كان خليطا من عناصر اجتماعية غير متجانسة . وقد ولدت مسألة اعادة النظر في الدستور درجة الحرارة السياسية التي ينحل عندها هذا الخليط الى عناصره الاصلية

اما مصلحة البوناپرتيين في اعادة النظر في الدستور فبسيطة . فبالنسبة اليهم كانت المسألة قبل كل شيء هي مسألة القضاء المادة ٤٥ التي كانت تمنع اعادة انتخاب بوناپرت وتمديد سلطته . وكان موقف الجمهوريين ليبدو بسيطا نفس البساطة فقد كانوا ينبغي ان يكونوا قيدي او شرط اية اعادة نظر اذ كانوا يرون فيها مؤامرة عامة على الجمهورية . ولما كانوا يحكمون على أكثر من ربع الأصوات في الجمعية الوطنية ، وكان يلزم ثلاثة ارباع الأصوات ، حسب الدستور ، ليكون القرار القاضي باعادة النظر صحيحا من الوجهة القانونية وليتم عقد جمعية خاصة لاعادة النظر ، فقد كان بحسبهم ان يعدوا اصواتهم ليكونوا واثقين من النصر . وقد كانوا واثقين من النصر .

وخلافا لهذين المؤلفين الواضحين وجد حزب النظام نفسه متورطا في تناقضات لا قبل بحلها . فاذا ما رفض اعادة النظر ، لهدد الوضع القائم لان ذلك يترك لبوناپرت مخرجاً واحداً

فحسب هو اللجوء الى القوة ، ولان ذلك يعني تسليم فرنسا يوم
الاحد الثاني من ايار (مايو) سنة ١٨٥٢ ، وفي لحظة الفصل ،
الى تصف الفوضى الثورية مع رئيس فقد سلطته وبرلمان لم
يكن يملكها منذ زمن بعيد وفسب ينوي استردادها ثانية . واذا
ما اقترح الى جانب اعادة نظر دستورية فقد كان يعرف انه
يقترح عبثا وكان لا بد له ان يفعل دستوريا بسبب اعتراض
الجمهوريين . واذا ما اعلن ، خلافا للدستور ، ان قرارا يتخذ
بالاكثرية البسيطة سيكون ملزما فلن يكون لديه حينئذ أمل
في التغلب على الثورة الا اذا اخضع نفسه بلا قيد او شرط لسيادة
السلطة التنفيذية ، وبذلك يضع تحت تصرف بونابرت الدستور
واعادة النظر فيه ومصر الحرب نفسه . اما اعادة النظر الجزئية
الرامية الى اطالة امد سلطة الرئيس فانها تمهد السبيل للاغتصاب
البونابرتي . واما اعادة النظر العامة الرامية الى تقصير امد بقاء
الجمهورية فانها تؤدي بلا محالة الى وقوع اشتباك بين ادعاءات
الاسر المالكة لان شروط اعادة الملكية البوربوية وشروط
اعادة الملكية الاورليانية لم تكن تختلف بعضها عن بعض فحسب
بل كانت تنفي بعضها بعضا بصورة متبادلة .

لن الجمهورية البرلمانية كانت اكثر من تربة محايدة
تستطيع كتلتا البرجوازية الفرنسية ، الفرهيون والاورليانيون -
الملكية العقارية الكبيرة والصناعة - ان تصرفا عليها جنب الى
جنب معتمعتين بالحقوق المتساوية . فقد كانت الشرط الذي لا
بد منه لحكهما المشترك ، شكل الدولة الوحيد الذي سيطرت
معه مصلحتهما الطبقة العامة على ادعاءات بعض كتل البرجوازية
وكذلك على جميع طبقات المجتمع الباقية . وبوصفهم ملكيين ،
اردوا الى عدوانهم القديمة ، الى الصراع بين الملكية العقارية

وبين النقد من اجل السيادة ، واعلى تعبير عن هذه المداوة ،
ومجسدها ، اما كان ملوكهم انفسهم واسرهم المالكة ، هذا ما
يفسر مقاومة حزب النظام لعودة البوربون

كان الاورلياني والنائب كريتون قد تقدم بصورة دورية
في سنوات ١٨٤٩ و ١٨٥٠ و ١٨٥١ باقتراح يدعو لالغاء مرسوم
النفي الصادر بحق الامر المالكة . وظهر البرلمان نفسه ، بانتظام
مماثل ، بمظهر جمعية من الملكيين توحد بعناد الابواب التي
يمكن ان يعود منها ملوكهم المنفيون الى الوطن ان ريتشارد
الثالث قتل هنري السادس قائلا انه اطيح من ان يعيش في هذه
الدنيا وان مكانه الذي يستحقه هو السماء والملكيون اعلنوا
ان فرنسا اسوا من ان تحصل على ملوكها المنفيين ثانية فقد
ارغمتهم الظروف القاهرة على ان يصبحوا جمهوريين ويصادقوا
تكراراً على القرار الشعبي الذي نفى ملوكهم من فرنسا

ان احادة النظر في الدستور - كانت الظروف تجبر طرح
هذه المسألة على بساط البحث - عرضت للخطر ، الى جانب
الجمهورية ، الحكم المشترك للكتلتين البرجوازييتين واحيت ، مع
امكانية قيام الحكم الملكي ، تنافس المصالح التي كان يمثلها هذا
الحكم بصورة غالبية بالتناوب ، كما احيت الصراع من اجل سيادة
احدى الكتلتين على الاخرى واعتقد ديبلوماسيو حزب النظام
انهم يستطيعون اطفاء الصراع بدمج الاسرتين ، بما يسمى صهر
الحزبين الملكيين وبيتيهما المالكين ان الصهر الحقيقي لمهد
العودة ولملكية تموز (يوليو) كان الجمهورية البرلمانية التي
محيت فيها الالوان الاورليانية والشرعية وانحلت فيها الانواع
المختلفة من البرجوازية في البرجوازي بشكل عام ، في البرجوازي -
النوع . اما الآن فيجب على الاورلياني ان يصبح شرعياً والشرعي

اورليانيا . وكان للملكية التي كانت تجسيدا لعداوتهم ان تصبح تجسيدا لوحدهم . وكان للتعبير من مصالحهم التكتلية المتنافرة ان يصبح تعبيراً من مصالحهم الطبقية المشتركة ، وكان على الملكية ان تفعل ما لم يستطع فعله ولم يفعله غير الفاء الملكيتين ، غير الجمهورية . لقد كان هذا حجر الفلاسفة الذي صدع كيمايو حزب النظام رؤوسهم في سبيل انتاجه فكان الملكية الشرعية يمكن ان تغدو يوما ملكية البرجوازيين الصناعيين او كان الملكية البرجوازية يمكن ان تغدو يوما ملكية اريستقراطية الارض الوراثية . وكان الملكية العقارية والصناعة يمكن ان تتعايشا بسلام تحت تاج واحد ، في حين لا يستطيع التاج ان يكلل الا راسا واحدا ، راس الاخ الاكبر او الاصغر . وكان الصناعة على العموم يمكن ان تتفق مع الملكية العقارية ما دامت الملكية العقارية لا تقرر ان تصبح هي نفسها صناعية . فاذا مات هنري الخامس غدا ، فان كولد باريس لا يخشوا لهذا السبب ملك الشرعيين الا اذا كف من ان يكون ملك الاورليانيين بيد ان فلاسفة الصهر الذين كان يوداد زعيقهم بمقدار ما كانت قضية اعادة النظر في الدستور تأتي الى مركز الصدارة والذين هياوا لانفسهم من جريدة «Assemblée nationale» (١٠٠) صحيفة رسمية يومية تنطق باسمهم والذين يكفون على العمل ثالية حتى في هذه اللحظة بالذات (شباط - فبراير - ١٨٥٢) رأوا ان الصعوبة كلها نافثة من المقاومة والتنافس بين الاسرعين المالكيتين . ان محاولات التوفيق بين اسرة اورليان وهنري الخامس ، التي بدأت منذ وفاة لويس فيليب ولكن التي كانت لا تقوم ، شاتها شأن كل المكائد المتصلة بالاسر المالكة هموما ، الا في اثناء عطلة الجمعية الوطنية ، فيما بين الفصول ووراء

الكواليس ، بوصفها مهادبة عاطفية للخرافة القديمة اكثر منها
 شغلا بالمعنى الجدي ، هذه المحاولات اصبحت الآن تمثيلية مهيبة
 يقوم بها حزب النظام على المسرح العام بدلا من مسارح الهواة ،
 كما كان الامر حتى الآن . لقد تراكض الرسل بلا انقطاع من باريس
 الى البندقية (١٠١) ومن البندقية الى كليرمونت ومن كليرمونت
 الى باريس . ويصدر الكونت شامبور بيانا يعلن فيه ، وبمعونة
 عموم افراد عائلته لا اعادته هو بل الاعادة «القومية»
 ويلقي الاورلياني سالفاندي بنفسه عند اقدام هنري الخامس
 ويسافر الرؤساء الشرعيون برييه وبنوا دازي وسان-بريست ،
 الى كليرمونت لكي يقنعوا آل اورليان ولكن على غير طائل ان
 انصار الصهر يدركون بعد فوات الاوان ان مصالح الكتلتين
 البرجوازييتين لا تصبح اقل تنافرا ولا تكسب ليونة عندما يجري
 التشديد عليها في شكل مصالح عائلية ، مصالح بيتين مالكين
 فاذا ما اترف هنري الخامس بكونت باريس خلفا له -وهو
 النجاح الوحيد الذي يمكن ان يأمل انصار الصهر فيه في احسن
 الحالات- فان آل اورليان لن يكسبوا بذلك اي حقوق غير تلك
 التي امنها لهم عقم هنري الخامس بل انهم سيفقدون جميع
 الحقوق التي نسبوها بثورة تموز (يوليو) انهم يكونون قد
 تخلوا من ادعاءاتهم القديمة وجميع الحقوق التي انتزعوها
 من الفرع الاقدم للبوربون خلال مائة عام من الصراع تقريبا ،
 انهم يكونون قد تخلوا من امتيازاتهم التاريخية ، امتيازات
 الملكية الحديثة ، لصالح الامتياز القائم على شجرة النسب
 ولهذا لن يكون الصهر الا تنازلا طوعيا من قبل آل اورليان ،
 تنازلا من حقوقهم في صالح الشرعية والسحابا نادما من كنيسة
 الدولة البروتستانتية الى الكنيسة الكاثوليكية ، السحابا لن

يأتي بهم ، فضلا عن هذا ، حتى إلى العرش الذي فقدوه بل إلى درجة من سلم العرش الذي ولدوا عليه . أن الوزراء الأورليانيين القدماء غيروا ودوشاتل وغيرهما الذين سارعوا بالمثل إلى كليمونت لكي يعدوا الصهر سلفا لم يكونوا يمثلون في الواقع إلا شعور الضيق والكآبة بعد ثورة تموز (يوليو) ، وخيبة آمالهم في ملكية بوجوازية وبرجوازية ملكية ، والاعتقاد الخرافي بالشرعية باعتبارها التعويذة الأخيرة ضد الفوضى . وهم إذ تصوروا انفسهم وسطاء بين الأورليان والبوربون ، كانوا في الواقع مجرد مرتدين أورليانيين وبهذه الصفة استقبلهم الأمير جوانفيل أما الفريق للمحب للعراك والقابل للحياة من الأورليانيين ، تيم وباز ، الخ . ، من جهة أخرى ، فقد اقنع اسرة لويس فيليب بسهولة أكثر بأنه إذا كانت أية إعادة مباشرة للملكية تفترض مقدما صهر الأرستين ولما كان أي صهر كهذا ، على أية حال ، يفترض مقدما تخلي آل أورليان عن حقوقهم ، فما يتفق تماما مع تقاليد اجدادهم هو أن يعترفوا بالجمهورية مؤقتا وينتظروا حتى تسمح الأحداث بتحويل كرسي الرئاسة إلى عرش . وقد راجت أولا الشائعات من ترشيح جوانفيل لرئاسة الجمهورية وبات فضول الجماهير في حالة ترقب وقلق ، بعد أشهر قليلة ، في شهر ايلول (سبتمبر) ، وبعد لبذ إعادة النظر في الدستور ، أعلن ترشيحه بصورة علنية .

وهكذا فإن محاولة القيام بصهر ملكي للأورليانيين والشرعيين لم تكن بالفشل فحسب بل إنها دمرت صهرهم البوليفاني ، شكلهم الجمهوري المشترك ، وجزأت حزب النظام ثالية إلى جزئيه الأصليين اللذين كان يتألف منهما بيد أنه كلما ازداد الجفاء بين كليمونت والبندقية وكلما اخفق التوفيق بينهما واحرز

تيميچ جوانفيل لجاحاً ، ازدادت المفاوضات بين فوشيه وزيو بوناپرت والشرعيين حماسة وجدية .

ان انحلال حزب النظام لم ينحصر في تفككه الى عنصريه الاصليين فان كلا من الكتلتين الكبيرتين قد تحلت بدورها من جديد . وبات الامر كما لو ان جميع الفروق الطفيفة القديمة التي تصارعت وتلاحت سابقا في داخل كل من المعسكرين ، سواء اكان شرعيا ام اورليانيا ، قد ساحت ثانية كما تسيح النقايات الجافة لدى ملامستها الماء ، كما لو انها اكتسبت مجدداً طاقة حيوية كافية لتشكيل جماعات خاصة ذات مصالح متناقضة مستقلة . وعاد الشرعيون في احلامهم الى الماضي ، الى زمن المجادلات فيما بين قصر التويلري وجناح مارسان ، بين فيليل وبولينياك (١٠٢) . وعاش الاورليانيون من جديد الايام الذهبية لمواكب المباراة بين غيزو وموليه وبروغلي وبيير واوديلون بارو

ان ذلك الجزء من حزب النظام الذي كان حريصاً على اعادة النظر في الدستور ، ولكنه كان منقسماً ايضاً حول حدود اعادة النظر ، وهو فريق مؤلف من الشرعيين بقيادة برييه وقالو من جهة وبقيادة لاروشجاكلين من جهة اخرى ، ومن الاورليانيين الذين اتعصبهم الصراع بقيادة موليه وبروغلي ومونتالمير واوديلون بارو ، اتفق مع النواب البوناپريين على الاقتراح التالي الذي صيغ بعبارة واسعة غير محدودة :

وان النواب الموقعين ادناه ، بقصد ان تعاد الى الامة ممارسة سيادتها بصورة تامة ، يقترحون اعادة النظر في الدستور

بيد انهم صرحوا بالاجماع في الوقت نفسه ، بلسان راوية اخبارهم توكفيل ، بان الجمعية الوطنية لم يكن يحق لها ان تقترح

النساء الجمهورية - وان هذا الحق كان منوطا بمجلس يعتقد من اجل اعادة النظر في الدستور . فضلا عن ذلك صرحوا انه لا يجوز اعادة النظر في الدستور **الا بصورة «قانونية»** ، اي الا اذا كانت ثلاثة ارباع الاصوات التي نص عليها الدستور الى جانب اعادة النظر . وفي اليوم التاسع عشر من تموز (يوليو) ، وبعد ستة ايام من النقاش العاصف ، نبذت اعادة النظر ، كما كان متوقعا فقد اقترح الى جانبها اربعمائة وستة واربعون صوتا بيد ان مائتين وثمانية وسبعين كانت ضدها وقد صوت الاورليانيون المتطرفون ، تيير وشانغارنييه ، الخ ، مع الجمهوريين و«الجبل»

وهكذا اعلنت اكثرية البرلمان وقفها ضد الدستور ، بيد ان هذا الدستور نفسه اعلن انه يقف مع الاقلية وان قرارها هو الملزم . لم يقم حزب النظام باخضاع الدستور للاكثرية البرلمانية في ٣١ ايار (مايو) سنة ١٨٥٠ وفي ١٢ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ ؟ لم تكن سياسته كلها تستند حتى الآن الى اخضاع مواد الدستور لقرارات الاكثرية البرلمانية ؟ لم يترك للديموقراطيين الاعتقاد الخرافي الذي اكل عليه الدهر وشرب بحرفية القانون ويقاص الديموقراطيين بسببه ؟ بيد ان اعادة النظر في الدستور لم تكن تعني في اللحظة الراهنة سوى اطالة مدة سلطة الرئيس ، بينما كان تمديد مفعول الدستور لا يعني سوى الاطاحة ببوناپرت ان البرلمان اعلن وقفه الى جانب بوناپرت ولكن الدستور اعلن وقفه ضد البرلمان . ولذلك كان بوناپرت يعمل بروح البرلمان عندما مزق الدستور وكان يعمل بروح الدستور عندما صرف البرلمان .

ان البرلمان اعلن الدستور واعلن مع الدستور حكمه هو «خارج الاكثية» ؛ وبالقرار الذي اتخذه هو ، الفى الدستور ومد في اجل سلطان الرئيس كما اعلن في الوقت ذاته انه لا يمكن للدستور ان يموت ولا لسلطان الرئيس ان يعيش ما دام البرلمان نفسه على قيد الحياة . واولئك الذين سيدفنونه كانوا يقفون بالباب . وبينما كان البرلمان يناقش مسألة اعادة النظر في الدستور ، عهد بوناپرت الى اقصاء الجنرال باراغه ديليه الذي اثبت قلة الحرم ، من قيادة الفرقة الاولى للجيش وعين بدلا منه الجنرال مانيان ، صاحب النصر في ليون وبطل ايام كانون الاول (ديسمبر) ، وهو احد صنائعه وكان من قبل ، زمن لويس فيليب ، قد اساء الى سمعته الى هذا الحد او ذاك بوصفه من انصار بوناپرت لمناسبة الحملة على بولون .

لقد اثبت حزب النظام بالقرار الذي اتخذه بشأن اعادة النظر في الدستور انه ليس قادرا لا على ان يحكم ولا على ان يخدم ، لا على ان يعيش ولا على ان يموت ، لا على ان يحتمل الجمهورية ولا على ان يقلبها ، لا على ان يحفظ الدستور ولا على ان يطرحه ، لا على ان يتعاون مع الرئيس ولا على ان يناهذه . فالى من يتطلع ، اذن ، لحل جميع التناقضات ؟ الى التقويم الزمني ، الى مجرى الاحداث . لقد كف عن الادعاء بانه يتحكم بالاحداث ، ولذلك استسلم لسلطان الاحداث ، اي لسلطان تلك القوة التي تنازل لها من صلاحية تلو اخرى من صلاحيات السلطة في نضاله ضد الشعب حتى وقف هو نفسه عاجزا ازاء هذه القوة . ولكي يمكن رئيس السلطة التنفيذية من ان يضع خطة الحملة ضده دولما ازحاج ويمرر وسائل الهجوم ويختار ادواته ويحصن مواقعه ، قرر حزب النظام في هذه اللحظة الحرجة بالذات ان

يعتزل المسرح وان يرفض ثلاثة اشهر ، من ١٠ آب (اعمسطس)
لغاية ٤ تشرين الثاني (نوفمبر)

ان الحزب البرلماني لم ينحل الى كتلتيه الكبيرتين فحسب
ولم تنقسم كل واحدة من هاتين الكتلتين من الداخل فحسب بل
ان الخلاف قد دب بين حزب النظام في البرلمان وحزب النظام
خارج البرلمان . فان خطباء البرجوازية وكتابها ، منابرها وصحافتها ،
وبكلمة مختصرة ، ايدولوجيي البرجوازية والبرجوازية ذاتها ،
الممثلين والممثلين ، واجهوا بعضهم بعضا بالجفاء ولم يعد يفهم
احدهم الآخر .

ان الشرعيين في الارياض ، بما كانوا عليه من افق محدود
وحماسة غير محدودة ، اتهموا زعيمهم البرلمانيين ، برييه
وقالوا ، بالتخلي عنهم والانضمام الى المصكر البونابرتي وبالارتداد
من هنري الخامس ان عقولهم العذراء مثل زنايق البوربون
كانت تؤمن بخطيئة آدم لا بالديبلوماسية

اما ما كان اكثر شؤما من هذا بكثير واكثر حسما
فهو قطيعة البرجوازية التجارية مع ساستها لقد وبختهم ، لا
لتخليهم عن مبادئهم ، كما فعل الشرعيون مع ساستهم بل بالعكس
لتشبثهم بمبادئهم أصبحت عديمة الجدوى

لقد اشرت من قبل الى ان ذلك الفريق من البرجوازية
التجارية الذي كانت له حصة الاسد من السلطة في زمن لويس
فيليب ، اي اريستقراطية المال ، قد خدا منذ دخول فولد
الوزارة بونابرتيا . ان فولد لم يكن يدور من مصالح بونابرت
في البورصة فحسب بل كان يدافع في الوقت نفسه من مصالح
البورصة امام بونابرت . ونحن نجد مواقف اريستقراطية المال
مصورا باجلى بيان في فقرة وردت في لسان حالها الاوروبي ،

مجلة «Economist» (١٠٣) اللندنية ففي عددها الصادر في ١ شباط (فبراير) ١٨٥١ كتب مراسلها في باريس يقول

وفيد الانباء الواردة من جميع الجهات ان فرنسا تطالب بالسكينة قبل كل شيء الرئيس يطلبها في رسالته الى الجمعية التفرعية ، وصداها يتردد من على المنابر الوطنية ، وهي تؤكد في الصحف وتذاع من كراسي الوعظ في الكنائس ، وتثبتها حساسية السندات الحكومية حيال اقل بادرة من بؤادر الاضطراب واثباتها في اللحظة التي يتضح فيها ان السلطة التنفيذية هي المنتصرة» .

وتعلن «Economist» في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥١ باسمها الخاص

«ان الرئيس هو حامى النظام . وبهذه الصفة تعترف به الآن جميع بورصات اوروبا»

ولهذا استنكرت اريستقراطية المال الصراع البرلماني لحزب النظام مع السلطة التنفيذية بوصفه اخلاقا بالنظام ورحبت بكل نصر احرزه الرئيس على ممثليها هي بالدات ، كما يبدو ، باعتباره نصراً للنظام ولا يجوز ان نفهم هنا من فئة واريستقراطية المال مجرد كبار متعهدي تقديم القروض والمضاربين في السندات الحكومية ، الذين تمتع مصالحهم تمام الاتفاق مع مصالح سلطة الدولة لاسباب واضحة تماماً . ان عالم المال الحديث كله ، اشغال البنوك بأسرها ، متشابكة اوثق التشابك مع قروض الدولة ان شطراً من رساميل البنوك هو بالضرورة مستثمر ومشغل بالربا في سندات حكومية قابلة للتصريف بسرعة كما ان الودائع البنكية وداس المال الموضوع تحت تصرف البنوك التي توزعها بين التجار

ورجال الصناعة مستمدة جزئيا من ارباح حاملي السندات الحكومية . واذا كان استقرار سلطة الدولة قد عفى في جميع الازمنة قدس الاقداس بالنسبة الى السوق المالية بأسرها وبالنسبة الى كهان هذه السوق المالية فلماذا لا يكون الامر كذلك من باب اولى اليوم عندما يهدد كل طوفان بكنس الدول القديمة وكنس ديون الدول القديمة معها ؟

كذلك البرجوازية الصناعية في تعصبها الاقصى للنظام اغضبتها مناقرات ' حزب النظام البرلماني مع السلطة التنفيذية . وقد تلقى تيير والجللاس وسان-بيف وغيرهم ، بعد تصويتهم في ١٨ كالون الثاني (يناير) بمناسبة عزل فانفارلييه ، توبيخات علنية من منتخبهم ، من المناطق الصناعية بالذات ، هفوا فيها بشدة لائتلافهم مع 'الجبيل' بوجه خاص باعتباره خيانة عظمى للنظام واذا كانت التقريعات المتبجعة والمكائد التافهة التي العصر فيها صراع حزب النظام ضد الرئيس لا تستحق ، كما رأينا ، استقبالا افضل مما استقبلت به فان هذا الجزء من البرجوازية الذي طالب ممثليه باخذ القوة العسكرية من برلمانه واعطائها بلا قيد ولا شرط الى مدح مضامر ، كان لا يساوي ، من ناحية اخرى ، حتى هذه المكائد التي بعزقت من اجل مصالحه . ولقد اثبت ان الصراع من اجل مصالح العامة ومصالحه الطبقيّة الخاصة وسلطته السياسية لم يكن من شأنه الا ان يزعجه ويتعبه لانه كان عانقا لاعماله الخصوصية

ان اعيان البرجوازية في مدن المقاطعات ومستشاري البلديات واعضاء المحاكم التجارية ، الخ . ، قد استقبلوا بونابرت في كل مكان تقريبا اثناء رحلته بمنتهى الخنوع وحتى في ديجون حيث

من هجوما غير متحفظ على الجمعية الوطنية وخصوصا على حزب النظام .

عندما كانت التجارة رائجة ، كما كانت ما تزال عليه في اول عام ١٨٥١ ، ثارت البرجوازية التجارية ضد اي صراع برلماني لئلا يعتكر مزاج التجارة . وعندما كانت التجارة بالرة ، كما كانت باستمرار منذ نهاية شباط (فبراير) ١٨٥١ ، اتهمت البرجوازية التجارية الصراعات البرلمانية بانها سبب الركود وطالبت بالكف عن هذا الصراع قصد تشجيع التجارة . وقد جرت مناقشات اعادة النظر في الدستور في هذه الفترة السيئة بال ضبط . ولما كانت القضية هنا هي فيما اذا كان الشكل القائم للدولة سيكون او لن يكون فقد شعرت البرجوازية بان لها ملء الحق في ان تطالب بمثلها بانهاء هذه الحالة الانتقالية المعذبة وبالمحافظة في الوقت نفسه على الوضع القائم . ولم يكن في هذا اي تناقض فقد كانت تفهم بنهاية الحالة الانتقالية اطالتها بالضبط وتاجيل البت في الامور الى المستقبل البعيد . ولم يكن في الوضع المحافظة على الوضع القائم الا بطريقتين : بتمديد سلطة بوناپرت او باعتزاله اعتزالا دستوريا وانتخاب كافينياك . وكان قسم من البرجوازية يميل الى الحل الاخير ولكنه لم يكن يعرف لصيحة يسديها الى مثليه الفضل من ان يلتزموا الصمت ويتركوا القضية الملحة دون مساس . وكان يرى انه اذا لم يتكلم مشلوه فان بوناپرت لن يعمل . كان يريد برلمان نعمة يخفي رأسه حتى لا يراه احد . وكان قسم آخر من البرجوازية يرغب في ان يدع بوناپرت جالسا على كرسي الرئاسة ، ما دام كان يجلس عليه بالفعل ، حتى يبقى كل شيء في مجراه القديم . وقد سقط

لان برلمان لا يريد ان يخرق الدستور صراحة ويتدخل عن سلطته دون شكليات

ان المجالس العمومية في المقاطعات ، تلك الهئات التمثيلية الاقليمية للبرجوازية الكبيرة ، التي انعقدت منذ ٢٥ آب (اغسطس) فصاعداً خلال عطلة الجمعية الوطنية ، اعلنت بالاجماع تقريباً انها مع اعادة النظر في الدستور وولفت بذلك ضد البرلمان والى جانب بونايرت .

وقد اظهرت البرجوازية سخطها على ممثليها الادبيين ، على صحافتها هي على نحو اقل لبساً حتى من قطيعتها مع ممثليها البرلمانيين . فان الاحكام التي اصدرتها المحاكم البرجوازية بالفراغات النقدية الباهظة وبعقوبات السجن العديدة الحياء لكل هجوم يقوم به الصحفيون البرجوازيون على شهوات بونايرت الاغتصابية ولكل محاولة تقوم بها الصحافة للدفاع عن حقوق البرجوازية السياسية ضد تطاولات السلطة التنفيذية لم تدهش فرنسا وحدها بل ادهشت اوروبا بأسرها

واذا كان حزب النظام البرلماني ، بصراخه من اجل ضرورة السكينة ، كما بيئنت سابقاً قد حكم على نفسه بالهمود واذا كان يعلن ان حكم البرجوازية السياسي لا يتفق مع امن البرجوازية وبقائها ، بتدميره بيديه جميع شروط حكمه هو ، اي الحكم البرلماني ، في الصراع ضد طبقات المجتمع الاخرى ، فقد كانت جمهرة البرجوازية خارج البرلمان ، من جهة اخرى ، بخنوعها تجاه الرئيس وبصبيها في البرلمان وبسوء معاملتها الوحشية لصحافتها ذاتها ، تحفر بونايرت لاجساد وابداء الجراء الناطق والكاتب منها ، سياسيينها وادبائها ، منبرها وصحافتها حتى يتسنى لها حينئذ متابعة شؤونها الخاصة في ثقة تامة بحماية حكومة

قوية غير مقيدة . لقد اعلنت بغير التباس انها كانت تحن الى التخلص من حكمها السياسي الخاص لكي تتخلص من هموم الحكم ومخاطره .

وهذه البرجوازية خارج البرلمان ، التي ثارت من قبل على الصراع البرلماني والادبي الصرف من اجل حكم طبقتها هي والتي خالت زعماء هذا الصراع ، تجري الآن ، بعد حدوث ما حدث ، على اتهام البروليتاريا بانها لم تنهض من اجلها الى كفاح دام ، كفاح حياة او موت ! وهذه البرجوازية التي كانت تضحي في كل لحظة بالمصالح العامة لطبقتها ، اي بمصالحها السياسية في سبيل اضيق المصالح الخاصة واخسها وكانت تطالب ممثلها بتضحية مماثلة ، تنوح الآن زاعمة ان البروليتاريا قد ضعت بمصالحها السياسية المثالية (اي مصالح البرجوازية) في سبيل مصالحها المادية (اي مصالح البروليتاريا) انها تتصرف كأنها كائن جميل اساءت البروليتاريا التي ضللها الاشتراكيون فهمه وخذلته في الساعة الحاسمة وتجد صرخاتها صدى في العالم البرجوازي كله . وانا لا اتحدث هنا بطبيعة الحال عن الساسة الالمان التافهين والجهلة . اني القصد ، على سبيل المثال ، مجلة «Economist» نفسها التي اعلنت ، في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥١ ، اي قبل الانقلاب باربعة ايام ، بوناپرت وحاميا للنظام وتير وبريه واخرا بهما «فوضويين» ، والتي تصيح في ٢٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ، اي بعد ان اخمد بوناپرت هؤلاء «الفوضويين» ، بشأن الخيانة التي ارتكبتها وجماع البروليتاريين الجهلة غير المهلبين البلداء بحق مواهب فئات المجتمع الوسطى والعليا وعلمها وانضباطها وتأثيرها العقلي ومواردها الفكرية ووزنها

الادبي . ولكن الجمهور البليد الجاهل المبتذل لم يكن سوى الجمهور البرجوازي ذاته .

صحيح ان فرنسا مرت في عام ١٨٥١ بنوع من ازمة تجارية صغيرة . فقد اشارت نهاية شهر شباط (فبراير) الى هبوط في الصادرات بالمقارنة مع عام ١٨٥٠ ، وفي شهر آذار (مارس) ساءت حال التجارة واخذت المصانع تغلق ابوابها ، وفي شهر نيسان (ابريل) كان وضع المقاطعات الصناعية يبدو في حالة من الياس تماثل تلك التي سادت بعد ايام شباط ، وفي شهر ايار (مايو) لم تكن الحال قد تحسنت بعد ، وقد دلت مقتنيات بنك فرنسا حتى في الثامن والعشرين من حزيران (يونيو) ، وذلك استناداً الى الزيادة الضخمة في الودائع والنقصان الكبير للمعامل في التسليف على الحوالات المالية ، على ان الانتاج كان في حالة ركود ؛ ولم يطرا تحسن تدريجي على الاشغال التجارية الا في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) . وقد عزت البرجوازية الفرنسية هذا الركود التجاري الى اسباب سياسية بحتة ، والى الصراع بين البرلمان والسلطة التنفيذية ، والى عدم رسوخ الشكل الموقت للحكم ، والى المنظر المفزع ليوم الاحد الثاني من شهر ايار (مايو) ١٨٥٢ . ولست انكر ان هذه الظروف جميعاً كان لها اثرها في التدهور الذي طرا على بعض فروع الصناعة في باريس والمقاطعات . بيد ان هذا التأثير للظروف السياسية كان على اية حال تأثيراً محلياً وزهيداً فحسب . وهذا ما تبرهنه بافضل نحو الحقيقة التي تشير الى ان تحسن التجارة قد بدأ في اواسط تشرين الاول (اكتوبر) بالضبط في اللحظة عينها التي ساءت فيها الحالة السياسية واكفهر الافق السياسي وكان نزول صاعقة من قصر الايليزيه متوقفاً في اية لحظة . ثم ان البرجوازي الفرنسي الذي لم

تكن «مواهبه وعلمه وبصيرته الروحية وموارده العقلية» تصل الى ابعد من الفه ، كان في وسعه طيلة فترة انعقاد المعرض الصناعي في لندن (١٠٤) ان يجد سبب يؤسه للتجاري تحت انفه تماما .

فبينما كانت المصانع في فرنسا تقفل ابوابها ، كانت الافلاسات التجارية تتدفق في انجلترا ، وبينما بلغ الازدهار الصناعي اوجهه في فرنسا في نيسان (ابريل) وايار (مايو) ، بلغ الازدهار التجاري في نيسان وايار اوجهه في انجلترا . وكما قاست صناعة الصوف الفرنسية ، كذلك قاست صناعة الصوف الانجليزية ، وكما قاست صناعة الحرير الفرنسية كذلك قاست صناعة الحرير الانجليزية .

صحيح ان معامل القطن الانجليزية واصلت اعمالها ولكنها لم تعد تجني نفس الارباح التي جنتها في سنتي ١٨٤٩ و ١٨٥٠ . الفرق الوحيد هو ان الازمة في فرنسا كانت صناعية وفي انجلترا تجارية ، وانه بينما تعطلت معامل في فرنسا ، وسعت اعمالها في انجلترا ولكن في ظروف اقل مواتاة من ظروف السنوات السابقة ؛ ان الصادرات هي التي تلقت الضربة الرئيسية في فرنسا وفي انجلترا الواردات اما السبب المشترك ، الذي لا يجوز ان يبحث عنه بطبيعة الحال ضمن حدود الافق السياسي الفرنسي ، فقد كان واضحا . ان سنتي ١٨٤٩ و ١٨٥٠ كانتا سنتين من اعظم سنوات الرخاء المادي وفيض الانتاج الذي لم تظهر نتائجه الا في ١٨٥١ ففي بداية هذه السنة ، افتد فيض الانتاج بوجه خاص بسبب من انعقاد المعرض الصناعي في المستقبل . وهناك فضلا عن ذلك الظروف الخاصة التالية : اولا قلة محصول القطن في ١٨٥٠ و ١٨٥١ ، وبعد ذلك الثقة والامل في محصول قطن اكبر مما كان متوقعا ، اولا ارتفاع اسعار القطن ثم هبوطها المفاجى ، وبالاختصار التقلبات في اسعار القطن . ان محصول الحرير الخام ،

في فرنسا على الأقل ، كان حتى اقل من المعدل . واخيرا اتسعت صناعة الصوف لدرجة كبيرة منذ عام ١٨٤٨ حتى لم يعد في وسع التاج الصوف ان يجاريها فارتفعت اسعار الصوف الخام بحيث انعدم كل تناسب بينها وبين اسعار المصنوعات الصوفية . هنا اذن ، في حالة المادة الخام لثلاثة فروع صناعية عالمية ، توفرت لدينا قاعدة مثلثة للركود التجاري وفضلا من هذه الظروف الخاصة لم تكن الازمة الظاهرية لعام ١٨٥١ الا الوقفة التي تحدث على الدوام في حالة فيض الانتاج والمبالغة في المضاربة في سياق الدورة الصناعية قبل ان يستجمعا كل قوتها لكى يقطعا بشكل محموم المرحلة الاخيرة لهذه الدورة ويصلا مرة اخرى الى نقطة بدئهما ، **الازمة التجارية العامة** . وفي مثل هذه الفترات في تاريخ التجارة ، تنفخ الافلاسات التجارية في بريطانيا في حين تتعطل الصناعة نفسها في فرنسا ، اذ تكون بنوع ما مرعومة على التقهقر امام مزاحمة الانجليز في جميع الاسواق ، تلك المزاحمة التي لا تستطيع ان تصمد لها في هذه الحال ، وتكون بنوع آخر شديدة الحساسية بكل ركود في الاعمال بوصفها صناعة كماليات . وهكذا تجتاز فرنسا ، فضلا عن الازمات العامة ، ازمات تجارية وطنية خاصة بها يحددها ويشترطها برغم ذلك الوضع العام للسوق العالمية اكثر بكثير من المؤثرات المحلية الفرنسية . ولا يخلو الامر من متعة اذا قارنا بين رأي البرجوازي الانجليزي وبين وهم البرجوازي الفرنسي . كتب واحد من اكبر ابيونات التجارة في ليفربول في تقريره التجاري السنوي لعام ١٨٥١ يقول :

وسنوات نادرة كهذه لتولعات التي تكونت منذ بدايتها على نحو اتم مما فعلت السنة التي انقضت الان . فبدلا من الازدهار العظيم الذي

كان يتطلع إليه الجميع اثبت انها واحدة من اكثر السنين التي رايناها في ربع القرن الاخير تشبها للمزام - وهذا يتعلق ، بطبيعة الحال ، بالطبقات التجارية لا الصناعية - ومع ذلك كانت هنالك بالتأكيد دواع كافية لتوقع العكس في بداية السنة - مخزون البضائع كان قليلا والرساميل كانت وفيرة والطعام كان رخيصا وكان يبدو ان المحصول القني مضمون ؛ سلام غير منقطع على القارة ولا صعوبات سياسية او مالية في الوطن وبالفعل ، كان في وسع التجارة ، على ما يبدو ، ان تطلق اجنتها اوسع مما في اي يوم مضى فلاي شيء اذن يمكن ان تمرى هذه النتيجة المشؤومة ؟ نحن نعتقد - الى تفهم التجارة بصورة فائقة العادة سواء في الواردات او في الصادرات - واذ لم يضع تجارنا بانفسهم حدودا اضيق لنشاطهم ، فلن يحفظ توازننا غير فرع يتجدد كل ثلاث سنوات .

والآن لنتصور الرجوازي الفرنسي كيف يتعذب ذهنه المضبول بالتجارة في غمرة هذا الذعر التجاري ويدور في دوامة ويندمل من شائعات الانقلابات واعادة حق الاقتراع الشامل ، من الصراع بين البرلمان والسلطة التنفيذية ، من مخاصمات الفروند فيما بين الاورليانيين والشرعيين ، من المؤامرات الشيوعية في جنوب فرنسا ، من انتفاضات الفلاحين المزعومة في مقاطعتي لينيير وشير ، من اعلانات مختلف المرشحين للرئاسة ، من الشعارات الكثيرة الوعود في الصحف ، من تهديدات الجمهوريين بالدفاع عن الدستور وحق الاقتراع الشامل بقوة السلاح ، من الرسائل الانجيلية من المهاجرين الابطال *in partibus* التي تبشر بانتهاء العالم يوم الاحد الثاني من ايار (مايو) ١٨٥٢ - لتتأمل كل ذلك ، نفهم لماذا كانت البرجوازية ، في هذه الفوضى التي لا توصف والتي تصم الاذان بما فيها من صهر واعادة نظر وتمديد

دستور وتأمير وانتلاف وهجرة واغتصاب وفورة ، ترغبي وتزبد
مبهورة الانفاس ، وتزعق لي جمهوريتها البرلمانية «النهاية
برهب ولا وهب بلا نهاية !» .

وقد فهم بونابرت هذه الصرخة ان قدرته على الادراك
قد ارفعتها الجلبة المتزايدة للدائنين الذين كانوا يعتقدون انه
مع كل مضيئ للشمس يقرب آخر يوم الرناسة ، الاحد الثاني
من ايار (مايو) ١٨٥٢ ، تعلن حركة النجوم رفض دفع
كميالاتهم الارضية . لقد اصبحوا منجمين حقيقيين ان الجمعية
الوطنية بددت آمال بونابرت في تمديد سلطته تمديدا دستوريا ،
ولم يعد ترشيح الامر جوانفيل يسمح بأي تراجع

لو ان حادثا القى يوما بطلاله امامه قبل مجيئه بمدة
طويلة لكان هذا انقلاب بونابرت . ففي اليوم التاسع والعشرين
من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٩ ، ولما يكاد ينقضي على انتخابه
شهر ، قدم اقتراحا بهذا المعنى الى شانغاربييه . وفي صيف عام
١٨٤٩ تحدث رئيس وزرائه ذاته ، واديلون بارو ، سرا من
سياسة الانقلاب ، وفي شتاء عام ١٨٥٠ فعل تيير ذلك علنا

وفي ايار (مايو) ١٨٥١ سعى بوسنبييه مرة اخرى لكسب
شانغاربييه الى جانب الانقلاب وقد نشرت «*Messenger de*
«*l'Assemblée*» (١٠٥) وصفا لهذه المفاوضات . وفي اثناء كل
حاصفة برلمانية كانت الصحف البونابرية تهدد بالانقلاب وكلما
كانت الازمة تقترب كانت نبرتها ترتفع وفي مجالس القصف
والسكر التي كان بونابرت يعقدها ليلا مع رجال ونساء من طغام
الناس وحالما كانت ساعة منتصف الليل تقترب والجرعات الكبار
تطلق اللسنة وتلهب الخيال كان الصباح التالي يحدد موعدا
للالنقلاب . كانت السيوف تسل والكؤوس تفرغ والنواب يلقي

بهم من النافذة والعباءة الامبراطورية تسقط على كتفي بوناپرت الى ان يلاقي الصباح التالي الاشباح مرة اخرى وتعلم باريس المندعشة من كاهنات فستا القليلات الكتمان ومن الفرسان الطالشين بالخطر الذي نجت منه مرة اخرى . في خلال شهري ايلول (سبتمبر) وتشيرين الاول (اكتوبر) كانت شالعات *coup d'état* تتوالى بسرعة الواحدة في اثر الاخرى . وكان الظل يكتسب لونا مثل الداجوروتيب * المرقش حسبنا ان نتصفح اعداد شهري ايلول وتشيرين الاول من الجرائد الاوروبية لنجد فيها كلمة فكلمة اخباراً كما يلي : «شالعات انقلاب تملأ باريس . يقولون ان العاصمة ستحتل بالجنود اثناء الليل وسيجلب الصباح التالي مراسيم بحل الجمعية الوطنية وباعلان حالة الحصار في مقاطعة السين واعادة حق الاقتراع الشامل والرجوع الى الشعب يقال ان بوناپرت يبحث من وزراء لتنفيذ هذه المراسيم غير القانونية» . وكانت الرسائل التي تاتي بهذه الانباء تنتهي دائماً بالكلمة المشروعة «يؤجل» . ان الانقلاب كان دائماً الفكرة الراسخة لدى بوناپرت . بهذه الفكرة وطنت قدماء ثاية الارض الفرنسية . وقد كانت تلح عليه وتلاحقه بحيث كان يفشيها بصورة متواصلة ويفتفت بها . وكان من الضعف بحيث كان يقلع عنها بنفس الصورة المتواصلة ان ظل الانقلاب قد اصبح مالوفاً للباريسيين كشبح حتى انهم لم يكونوا على استعداد للتصديق به عندما مثل امامهم اخيراً باللحم والدم . وعلى هذا فلا الكتمان المتحفظ لرئيس جمعية الصافر من كانون الاول

* صورة فوتوغرافية مطبوعة على لوحة معدنية معالجة على نحو

(ديسمبر) ولا اخذ الجمعية الوطنية على حين غفلة هما السبب الذي اتاح للانقلاب ان ينجح . ولئن نجح فهو قد نجح بالرغم من حذر بوناپورت ومع علم الجمعية الوطنية التام السابق بالانقلاب ، وكان نتيجة ضرورية وحتمية للتطورات السابقة .

في اليوم العاشر من تشرين الاول (اكتوبر) اعلن بوناپورت لوثرانه قراره باعادة حق الاقتراع الشامل ، وفي اليوم السادس عشر قدموا استقالاتهم ، وفي اليوم السادس والعشرين علمت باريس بتشكيل وزارة تورينيي . وفي الوقت ذاته نحي مدير الفرطة كارلييه واستبدل به موبا ، بينما قام رئيس الفرقة العسكرية الاولى مانيان بتركيز اكثر الفصائل اهلا للثقة في العاصمة . وفي الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) استألفت الجمعية الوطنية جلساتها . ولم يكن لديها ما تفعله افضل من ان تجعل في صيغة وجيزة مقتضبة الطريق الذي سلكته وان تثبت انها لم تدفن الا بعد ان ماتت .

وكان اول مركز خسره في الصراع مع السلطة التنفيذية هو الوزارة وكان عليها ان تأخذ بوقار علما وخبرا بهذه الغمارة وذلك باعترافها التام بوزارة تورينيي الزائفة تماما واستقبلت اللجنة الدائمة المسيو جيرو بالضحك عندما قدم نفسه باسم الوزارة الجديدة مثل هذه الوزارة الضعيفة لمثل هذا الاجراء القوي كاعادة حق الاقتراع الشامل ؛ ومع ذلك كان الهدف بالضبط عدم اجازة فيء بواسطة البرلمان بل اجازة كل فيء ضد البرلمان .

وفي اليوم الاول بالذات لاعادة افتتاح الجمعية الوطنية تلقت الجمعية من بوناپورت الرسالة التي طلب فيها اعادة حق الاقتراع الشامل والغاء قانون ٢١ ايار (مايو) ١٨٥٠ . وفي

اليوم نفسه قدم وزراؤه مرسوما بهذا الشأن وقد رفضت الجمعية الوطنية على الفور اقتراح استعجال المرسوم الذي قدمه الوزراء ورفضت القانون نفسه في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) بثلاثمائة وخمسة وخمسين صوتا مقابل ثلاثمائة وثمانية واربعين . وهكذا مرّقت تفويضها مرة اخرى واثبتت مرة اخرى انها قد حولت نفسها من ممثلة للشعب منتخبة انتخاباً حراً الى برلمان غاصب لطبقة واحدة ، لقد اعترفت مرة اخرى بانها قطعت بنفسها العضلات التي تصل الرأس البرلماني بجسم الامة

واذا كانت السلطة التنفيذية باقتراحها اعادة حق الاقتراح الشامل قد استأنفت الامر من الجمعية الوطنية الى الشعب ، فان السلطة التشريعية بمشروع قانون الكويستور قد استأنفت الامر من الشعب الى الجيش . وقد قصدت الجمعية الوطنية من مشروع القانون هذا ان تثبت حقها في استدعاء الجنود مباشرة وتشكيل جيش برلماني . واذا عينت الجمعية الوطنية الجيش على هذا الوجه حكماً بينها وبين الشعب ، وبينها وبين بوناپرت ، واذا اعترفت بالجيش بوصفه القوة الحاسمة في الدولة فقد كان عليها ان تؤكد ، من الجهة الاخرى ، انها قد تخلت منذ زمن طويل من ادعائها بالسيطرة على هذه القوة واذا هي ناقشت حقها في استدعاء الجنود بدلا من ان تستدعيهم على الفور فضحت الشكوك التي كانت تساورها بشأن قوتها بالادوات واذا هي رفضت مشروع قانون الكويستور ، اعترفت على الملأ بعجزها ان مشروع القانون هذا يرمي لانه نال اقلية من مائة وثمانية اصوات . وهكذا فصل «الجيل» في الامر لقد وجد «الجيل» نفسه في موقف حمار بوريدان ، ولكنه لم يكن بين حزمتين من القش كان عليه ان يقرر الاطراف منهما بل كان بين زحنتين من

الضربات وعليه ان يقرر الاقصى منهما كان هنالك من جهة الخوف من شافارلييه ومن جهة اخرى الخوف من بوناپرت وعلى المرء ان يعترف بان الموقف لم يكن بالموقف البطولي في اليوم الثامن عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ورد تعديل على قانون الانتخابات البلدية الذي قدمه حزب النظام بالذات ، ويقضي التعديل باعتبار الاقامة لمدة سنة واحدة ، بدلا من ثلاث سنوات ، كافية بالنسبة للناخبين البلديين . وقد خذل التعديل باغلبية صوت واحد فقط ، بيد انه تبين على الفور ان هذا الصوت الوحيد كان مسجلا من قبيل الخطأ . ان حزب النظام ، وقد انقم الى تكتلات متعادية ، قد خسر منذ زمن بعيد اكثريته البرلمانية المستقلة . وقد تبين الآن انه لم تعد هناك في البرلمان اغلبية على الاطلاق . ان الجمعية الوطنية غدت عاجزة عن اتخاذ القرارات . لم تعد هنالك قوة تماسك من اي نوع تشد جزئياتها بعضها لبعض . لقد لفظت نفسها الاخير . لقد ماتت .

واخيرا وقبل الكارثة بايام قلائل ، كان على جمهرة البرجوازية خارج البرلمان ان تؤكد مرة اخرى على نحو مهيب انقطاع العلاق بينها وبين البرجوازية في البرلمان ان تدير ، وهو كبطل برلماني مصاب اكثر بكثير من الباقيين بداء البلاء البرلمانية المضال ، قد عمد ، بعد موت البرلمان ، بالاشتراك مع مجلس الدولة ، الى تدبير مكيدة برلمانية جديدة - قانون مسؤولية من فانه ان يقيد الرئيس تقييدا صارما بحدود الدستور وكما ان بوناپرت لدى وضعه حجر الاساس لقاعات السوق الجديدة المسقوفة في باريس في ١٥ ايلول (سبتمبر) ، قد سحر ، كانه مازيللو فان ، سيدات السوق ، بانعامات السمك - صحيح ان الواحدة منهن كانت ترجع في قوتها

الحقيقية سبعة عشر برجراها - وكما انه ، بعد تقديم مشروع قانون الكويستور ، فتن الملازمين الذين اقام لهم الولائم في قصر الايلنزيه ، كذلك الآن في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ساق وراءه البرجوازية الصناعية التي اجتمعت في السيرك لتستلم من يديه الاوسمة عن معرض لندن الصناعي . وسأورد الجزء ذا المفزى من خطابه كما ورد في «Journal des Débats» :

ومع مثل هذه النجاحات التي لم يكن ياملها احد ، لدي ملء الحق في ان اكرد كم متكون الجمهورية الفرنسية عظيمة لو اتيح لها ان تلاحق مصالحها الحقيقية وتصلح مؤسساتها بدلا من ان تمنى بالخسارة على الدوام بسبب من ازهاج الديماغوجيين من جهة واضغات الملكية من جهة اخرى . (تصفيق مدو ، عاصف ، متواصل من جميع ارجاء المدرج .) ان الاضغات الملكية تمرقل كل تقدم وكل فروع الصناعة الهامة بدلا من التقدم لا شيء سوى الصراع . ونحن نرى قوما كانوا قبلنا اشد المؤيدين الغير للسلطة الملكية والامتيازات الملكية ويصلون الآن بروح الكونفانسيون لا شيء الا ليضعفوا السلطة التي ابشقت من حق الاقتراع الشامل . (تصفيق مدو متواصل .) ونحن نرى قوما كانوا اشد المعانة من الثورة وتدمروا منها اشد التدمير يستثيرون ثورة جديدة وما ذلك الا ليقيدوا ارادة الامة التي اهدمكم بالسكنة بالنسبة للمستقبل ، الخ ، الخ ، الخ (هتافات عاصفة «مرحى» ، «مرحى» ، «مرحى» .)

وهكذا تهلل البرجوازية الصناعية بصيحات الاستحسان الدليلة لانقلاب الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ولابادة البرلمان ولسقوط حكمها هي - ولديكتاتورية بوناپرت . ان هدير التهليل في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) قد وجد جوابه في هدير المدافع

في ٤ كانون الاول ، وقد كان بيت الميسو سالاندرز ، الذي فاق الجميع بالتصفيق ، اكثر البيوت تعرضاً للقصف عندما حل كرومويل البرلمان الطويل (١٠٦) ، ذهب بمفرده الى قاعة الجلسات واخرج ساعته حتى لا يبقى البرلمان دقيقة واحدة بعد الوقت الذي ضربه ، وصرف كل عضو من اعضاء البرلمان مشياً بالتوبيخات الفكاهة المرحية . ونابوليون ، وهو اصغر من قدومه ، اخذ نفسه على الاقل في الثامن عشر من برومير الى الجمعية التشريعية وتلا عليها ، ولو بصوت متقطع ، الحكم باعدامها . اما بوناپرت الثاني الذي وجد في حيازته ، فضلاً عن هذا ، سلطة تنفيذية تختلف كل الاختلاف عن سلطة كرومويل او نابوليون فقد بحث عن نموذج لا في صحائف تاريخ العالم بل في تاريخ جمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ، في تاريخ المحاكم الجنائية فقد سلب بنك فرنسا خمسة وعشرين مليوناً من الفرنكات فاشتري الجنرال مانيان بمليون والجنود بخمسة عشر فرنكا للنفر الواحد وبالخمير واجتمع بشركائه في الجريمة سرّاً كاللص في الليل واوهز باقتحام منازل اشد الزعماء البرلمانيين خطراً وبجر كافينياك ولاموريسيير وليفلو وشانغارنيه وشاراس وتير وباز ، الخ . من الفرائض وبسوقهم الى السجن وباحتلال الجنود للمراكز الرئيسية في باريس ولبنى البرلمان وتعليق اعلانات في الصباح الباكر على جميع الجدران في العاصمة تعلن حل الجمعية الوطنية ومجلس الدولة واعادة حق الاقتراع الشامل وفرض حالة الحصار في مقاطعة السين . وبعد مدة وجيزة نشر في «Moniteur» وثيقة مزورة تزعم ان ذوي النفوذ من البرلمانيين قد اجتمعوا حوله وشكّلوا مجلس دولة استثنائياً ،

واجتمعت بقايا البرلمان في مبنى بلدية الدائرة العاشرة وكانت تتألف بصورة رئيسية من الشرعيين والاورليانيين ، وقرروا خلع بوناپرت وسط الصيحات المتكررة وعاشت الجمهورية ١٤ ، وجلجلوا حبشاً في الجماهير الفضولية امام المبنى ، ثم سيقوا اخيراً في حراسة الرماة الافريقيين اولا الى مكناات اورسي وكدسوا بعد ذلك في عربات السجن ونقلوا الى سجون مازاس وهام وفنسين . وهكذا انتهى حزب النظام والجمعية التشريعية وثورة شباط (فبراير) .

وقبل ان نبادر الى الختام لنلخص بايجاز تاريخ الاخيرة
 ١ - الفترة الاولى : من ٢٤ شباط (فبراير) لغاية ٤ ايار (مايو) ١٨٤٨ . فترة شباط تمهيد . مهزلة التأخي الشامل .
 ٢ - الفترة الثانية : فترة تأسيس الجمهورية والجمعية الوطنية التأسيسية

١) من ٤ ايار (مايو) لغاية ٢٥ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ نضال جميع الطبقات ضد البروليتاريا هزيمة البروليتاريا في ايام حزيران .

٢) من ٢٥ حزيران (يونيو) لغاية ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ . ديكتاتورية الجمهوريين البرجوازيين الصرف . صياغة الدستور اعلان حالة الحصار في باريس تنحية الديكتاتورية البرجوازية في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) بانتخاب بوناپرت رئيساً للجمهورية

٣) من ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ لغاية ٢٨ ايار (مايو) ١٨٤٩ . صراع الجمعية التأسيسية ضد بوناپرت وضد حزب النظام المتحالف معه . هلاك الجمعية التأسيسية . هزيمة البرجوازية الجمهورية .

٢- الفترة الثالثة : فترة الجمهورية الدستورية والجمعية الوطنية التشريعية .

(١) من ٢٨ ايار (مايو) ١٨٤٩ لغاية ١٢ حزيران (يوليو) ١٨٤٩ . صراع البرجوازية الصغيرة ضد البرجوازية وضد بوناپرت . هزيمة الديمقراطية البرجوازية الصغيرة
(٢) من ١٢ حزيران (يوليو) ١٨٤٩ لغاية ٢١ ايار (مايو) ١٨٥٠ . الديكتاتورية البرلمانية لحزب النظام الحزب يكمل حكمه بإلغاء حق الاقتراع الشامل ولكنه يضمر الوزارة البرلمانية .

(٣) من ٢١ ايار (مايو) ١٨٥٠ لغاية ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . الصراع بين البرجوازية البرلمانية وبوناپرت

أ- من ٢١ ايار (مايو) ١٨٥٠ لغاية ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٥١ . البرلمان يخسر القيادة العليا للجيش
ب- من ١٢ كانون الثاني (يناير) لغاية ١١ نيسان (ابريل) ١٨٥١ . البرلمان يخلد في محاولاته لإخضاع السلطة الادارية لنفسه ثانية . حزب النظام يخسر اكثريته البرلمانية المستقلة . انتلافه مع الجمهوريين و«الجبل» .

ج- من ١١ نيسان (ابريل) ١٨٥١ لغاية ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٥١ . محاولات لاعادة النظر في الصلاحيات وصورها وتمديدتها . حزب النظام ينحل الى عناصره الاصلية القطيعة النهائية بين البرلمان البرجوازي والصحافة البرجوازية ، وجمهرة البرجوازية .

د- من ٩ تشرين الاول لغاية ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . القطيعة المكشوفة بين البرلمان والسلطة التنفيذية .

البرلمان يلفظ نفسه الاخير ، فقد سقط وتركته طبقته ذاتها والجيش وجميع الطبقات الباقية هلاك النظام البرلماني وحكم البرجوازية انتصار بوناپرت مهزلة اعادة الامبراطورية

٧

لقد ظهرت الجمهورية الاجتماعية على عتبة ثورة شباط (فبراير) كانها لفظه ، كانها نبوءة . وفي ايام حزيران (يونيو) ١٨٤٨ اغرقت بدم بروليتاريا باريس ، بيد انها تخيم كالشبح على الفصول التالية من الدراما وظهرت الجمهورية الديمقراطية على الحلبة وفي ١٣ حزيران ١٨٤٩ تولد مي وبوجولزيوها الصفار الذين يتشتتون ، لكنها في اثناء هروبها تتخفى بمناقبها بتبجح مضاعف . وتستولي الجمهورية البرلمانية ، هي والبرجوازية ، على المسرح بأسره . وتتمتع هذه بالبقاء غاية التمتع ؛ بيد ان الثاني من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٨٥١ يدفنها على وقع صيحة الرعب التي يطلقها المليون المؤلفون وعاشت الجمهورية !

ان البرجوازية الفرنسية قد تمردت على سلطة البروليتاريا العاملة وجلبت حثالة البروليتاريا الى السلطة وعلى رأسهم رئيس جمعية العاقر من كانون الاول (ديسمبر) وابقت البرجوازية فرنسا في خوف يكتم الانفاس من الفظائع المقبلة للفرع الحمر والدم بوناپرت لها هذا المستقبل عندما ترك جيش النظام الذي لعبت به نشوة الخمر يقتل رمياً بالرصاص في ٤ كانون الاول اعيان البرجوازية في بولفار مونمارتر وبولفار الطليان وهم على نواهد بيوتهم لقد ألّهت السيف ، فحكمها السيف . لقد دمرت الصحافة الثورية ، فدمرت صحافتها هي .

لقد وضعت الاجتماعات الشعبية تحت رقابة الشرطة ، فوضعت صالوناتها تحت رقابة الشرطة . لقد سرحت الحرس الوطني الديموقراطي ، فسرح حرسها الوطني . لقد فرضت حالة الحصار ، ففرضت عليها حالة الحصار . لقد استعاضت عن محاكم المحلفين باللجان العسكرية ، فاستعويض عن محاكم محلفيها باللجان العسكرية . لقد اخضعت التعليم العام لحكم الكهنة ، فاخضع الكهنة تعليمها هي . لقد ابعدت الناس دون محاكمة ، فأبعدت هي دون محاكمة . لقد قمعت كل حركة في المجتمع بواسطة سلطة الدولة ، فاخمدت سلطة الدولة كل حركة في مجتمعها . لقد ثارت ، بدافع الغيرة على جزائها ، ضد ساستها وادبائها ، فكُنَّس ساستها وادباؤها جانباً ولكن جزائها ينهب الآن وقد كرم فمها وكسر قلمها . ان البرجوازية لم تكل ابدأ من الصباح للثورة بمثل ما صاح القديس ارسينيوس بالمسيحيين Fuge, lace, quiesce! الهرب ، الصمت ، السكينة ! ، وصاح بونابرت بالبرجوازية Fuge, lace, quiesce! الهرب ، الصمت ، السكينة ! .

ان البرجوازية الفرنسية قد وجدت منذ زمن بعيد حلاً لمعضلة نابوليون المزدوجة : « Dans cinquante ans l'Europe sera républicaine ou cosaque » . انها وجدت الحل في «république cosaque» . ما من ساحرة اغريقية مسخت بسحرها الشرير ذلك العمل الفني ، الجمهورية البرجوازية ،

* وفي مدى خمسين سنة سيكون اوروبا اما جمهورية او قوزاقية .
التناهر .

** الجمهورية القوزاقية . التناهر .

فاحالته الى شكل وحش فظيع ان تلك الجمهورية لم تفقد شيئاً الا مظاهر اللياقة ان فرنسا الراهنة . كانت تضمها الجمهورية البرلمانية وهي في حالة كمال وانتهاء . ولم تكن تحتاج الا الى طعنة حربة حتى تنفجر الفقاعة ويثب الوحش امام هيولنا

لماذا لم تهب بروليتاريا باريس ثائرة بعد ٢ كانون الاول (ديسمبر) ؟

ان قلب البرجوازية كان حتى ذلك الحين قد صدر به قرار فحسب ، ولم يكن هذا القرار قد وضع موضع التنفيذ . وقد كان من شأن اي تمرد جدي تقوم به البروليتاريا ان يبعث في البرجوازية حياة جديدة على الفور وان يمالحها مع الجيش ويضمن هزيمة جديدة للعمال كهزيمة حزيران (يونيو)

في الرابع من كانون الاول (ديسمبر) قام البرجوازيون واصحاب الدكاكين بتحريض البروليتاريا على القتال وفي مساء ذلك اليوم وعدت عدة فرق من الحرس الوطني بالظهور بسلحها ولباسها العسكري في مسرح المعركة ذلك ان البرجوازيين واصحاب الدكاكين بلغ مسامهم ان بوناپرت قد القى الاقتراح السري في احد القرارات التي اصدرها في ٢ كانون الاول ووجب عليهم ان يسجلوا كلمة «نعم» او «لا» في سجلات الناخبين الرسمية بعد اسمائهم ان مقاومة ٤ كانون الاول قد ارهبت بوناپرت فاعز بتعليق لافتات اثناء الليل على جميع منعطفات الشوارع في باريس تعلن اعادة الاقتراح السري واعتقد البرجوازيون واصحاب الدكاكين انهم ادركوا غايتهم وكان

الذين تخلفوا عن الحضور في الصباح التالي هم البرجوازيون واصحاب الدكاكين بالذات

وبضربة مفاجئة في ليلة ١ الى ٢ كانون الاول (ديسمبر)

افقد بوناپرت بروتيتاريا باريس زعماءها ، قادة المتاريس واذ غدت البروليتاريا جيشاً بلا ضباط ، عازفاً عن القتال تحت لواء «الجل» بسبب ذكريات حزيران (يونيو) ١٨٤٨ و ١٨٤٩ و ايار (مايو) ١٨٥٠ ، فقد تركت لطليعتها ، الجمعيات السرية ، مهمة انقاذ شرف التمرد لمدينة باريس وهو الذي سلمته البرجوازية للجند دون ادنى مقاومة حتى ان بوناپرت استطاع فيما بعد ان يفسر متهمك الدافع الذي حدا به الى لزع سلاح الحرس الوطني بأنه كان يخشى ان يوجه الفوضويون انفسهم هذا السلاح ضد الحرس نفسه !

«C'est le triomphe complet et définitif du socialisme!» هكذا وصف غيزو انقلاب ٢ كانون الاول . ولكن اذا كانت الاطاحة بالجمهورية البرلمانية تحمل في طياتها بذرة انتصار الثورة البروليتارية فان نتيجتها المباشرة والمحسوسة كانت انتصار بوناپرت على البرلمان وانتصار السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية وانتصار القوة بلا كلام على قوة الكلام . في البرلمان جعلت الامة ارادتها العمومية هي القانون اي انها جعلت قانون الطبقة الحاكمة ارادتها العمومية وهي امام السلطة التنفيذية تتخلى عن كل ارادة خاصة بها وتلدن لامرة ارادة غريبة ، للسلطة ان السلطة التنفيذية ، بالمقابلة مع السلطة التشريعية ، تعبر عن خضوع الامة لحكم الغير بالمقابلة مع ممارستها للحكم الذاتي ولهذا يبدو ان فرنسا لم تنج من

• وهذا هو انتصار الاشتراكية التام النهائي ، انقراضه .

استبداد طبقة برمتها الا لتقع تحت استبداد فرد بل وتحت سلطة فرد بلا سلطة ويبدو ان الصراع قد انتهى بحيث ان جميع الطبقات ، وقد تساوت عجزاً وسكوناً ، جثت على ركبها امام عقب البندقية .

بيد ان الثورة عميقة الجدور انها ما تزال في رحلتها خلال المطهر وهي تقوم بعملها بصورة منهجية وقد كانت لغاية ٢ كانون الاول ١٨٥١ قد اتمت نصف عملها التحضيري وهي الآن تتم النصف الآخر انها اكملت اولاً السلطة البرلمانية حتى تتمكن من الاطاحة بها اما الآن وقد بلغت هذه الغاية فهي تكمل السلطة التنفيذية ، تردّها الى اخلص تعبيراتها وتعملها ثم تنصبها في مواجهتها هي باعتبارها الهدف الوحيد حتى تركز جميع قواتها التدميرية ضدها وعندما تكون قد انجزت هذا النصف الثاني من عملها التمهيدي ستشب لوروباً من مقعدها وتصبح متهلة لقد أحسنت نبشاً ايها الخلد العجوز !

ان هذه السلطة التنفيذية ، بما لها من منظمة بيروقراطية وعسكرية ضخمة وبما لها من جهاز دولة معقد جداً ومضخم قصداً وجيش من الموظفين يبلغ نصف مليون رجل ، فضلاً عن جيش عدده نصف مليون آخر ، هذه الهيئة اللطيفية المريعة التي تلتف حول كل جسد المجتمع الفرنسي كالشباك وتخلق جميع مسامه ، نشأت ايام الملكية المطلقة ، مع تدهور الاقطاعية الذي ساعدت هذه الهيئة على التعجيل به ان امتيازات السيادة التي كان يتمتع بها ملاكو الاراضي وتمتع بها المدن قد تحولت بالكثرة نفسها الى خصائص لسلطة الدولة وتحول الاميان الاقطاعيون الى موظفين ذوي مرتبات وتحولت الخريطة المبرقشة

• شكسبير . وملت ، الفصل الاول ، المشهد الخامس . الثالث .

من الحقوق القطاعية المطلقة المتنازعة التي كانت قائمة في القرون الوسطى الى خطة منسقة لسلطة الدولة التي ينقسم عملها ويتركز كما هو في مصنع من المصانع . ان الثورة الفرنسية الاولى ، بما اخذته على عاتقها من تعظيم لجميع السلطات المحلية والاقليمية المتفرقة وسلطات المدن والمقاطعات حتى يتسنى لها خلق الوحدة الالهية للامة ، كانت ملزمة بان تطور ذلك الذي بدأت به الملكية المطلقة : المركزية ، ولكنها ضخمت في الوقت نفسه امتداد السلطة الحكومية وخصائصها وعدد الوكلاء العاملين فيها .

وقد اكمل نابوليون جهاز الدولة هذا . ولم تضاف الملكية الشرعية وملكية تموز (يوليو) شيئاً اليه سوى مزيد من تقسيم العمل كان ينمو بقدر ما كان تقسيم العمل ضمن المجتمع البرجوازي يخلق مجموعات مصالح جديدة فيخلق بالتالي مادة جديدة لادارة الدولة ان كل مصلحة مشتقة كانت تفصل تواتاً عن المجتمع وتوضع في مواجهته باعتبارها مصلحة هامة اعلی وتزع من مجال نشاط اعضاء المجتمع انفسهم وتجعل موضوعاً للنشاط الحكومي ، ابتداء من الجسر ومبنى المدرسة والملكية المشاعية لمجتمع قرية من القرى حتى السكك الحديدية والثروة القومية وجامعات فرنسا الحكومية . واخيراً وجدت الجمهورية البرلمانية نفسها ، في صراعها ضد الثورة ، مرفعة على تعزيز وسائل سلطة الحكومة ومركزتها جنباً الى جنب مع اتخاذ الاجراءات القمعية ان جميع الانقلابات اكملت هذه الالة بدلا من ان تحطمها . وكانت الاحزاب التي تنازعت السيطرة بالتناوب تعتبر حياة صرح الدولة الضخم هذا الغنيمة الرئيسية للمنتصر

ولكن البيروقراطية ، في ظل الملكية المطلقة وخلال الثورة الاولى وفي عهد نابوليون ، لم تكن الا وسيلة لاعداد الحكم

الطبقي للبرجوازية . وقد كانت في عهد المودة وعهد لويس فيليب وعهد الجمهورية البرلمانية اداة الطبقة السائدة ، رغم كل جهادها (اي البيروقراطية) لكي تجعل من نفسها سلطة مستبدة

وفي عهد بوناپرت الثاني فقط ، بدا ان الدولة جعلت نفسها مستقلة تمام الاستقلال وقد وطد جهاز الدولة مركزه ازاء المجتمع المدني حتى انه اصبح ممكنا ان يكون على رأسه رئيس جمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ، وهو مضامر جاء من الخارج ورفعته على الترس ايدي الجند السكارى الذين اشتراهم بالخمر والمقاتن وكان عليه ان يموّنهم على الدوام بالمقاتن من جديد ومن هنا كان اليأس الدليل وشعور الازلال والامتهان الفظيخ الذي يشغل صدر فرنسا ويحبس انفاسها انها تشعر بالعار

ومع هذا فان سلطة الدولة ليست معلقة في الهواء ان بوناپرت يمثل طبقة هي فضلا عن ذلك ، اكثر طبقات المجتمع الفرنسي عددا ونعني بها الفلاحين الصغار

وكما ان البوربوينيين كانوا اسرة العقارات الكبيرة وكما ان الاورليانيين كانوا اسرة المال كذلك البوناپرتيون هم اسرة الفلاحين اي جمهرة الشعب الفرنسي . فليس بوناپرت الذي خضع للبرلمان البرجوازي بل بوناپرت الذي هتت البرلمان البرجوازي هو مختار الفلاحين لقد نجحت المدن طيلة ثلاث سنين في تزوير معنى انتخاب العاشر من كانون الاول (ديسمبر) وفي خداع الفلاحين وتخيب لهم بعودة الامبراطورية ان انتخاب العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ لم يبلغ تمامه الا بانقلاب الثاني من كانون الاول ١٨٥١ .

ان الفلاحين الصغار يشكلون كتلة ضخمة يعيش اعضاؤها في ظروف متشابهة ولكن دون ان يدخلوا في علاقات متشعبة بعضهم مع بعض . ان اسلوبهم في الانتاج يعزلهم الواحد عن الآخر بدلا من ان يدفعهم الى التعامل المتبادل وتشتد هذه العزلة بسبب وسائل المواصلات السيئة في فرنسا وبسبب فقر الفلاحين ان ميدان انتاجهم - وهو قطعة الارض الصغيرة - لا يسمح بتقسيم العمل في فلاحتها ولا بتطبيق العلم ولا يسمح بالتالي بتنوع اشكال التطور ولا بتنوع الموامب ولا بغنى العلاقات الاجتماعية . ان كل اسرة فلاحية بمفردها مكتفية ذاتيا تقريبا ، وهي نفسها تنتج مباشرة الجزء الاكبر من استهلاكها وتحصل بذلك وسائل عيشها من التبادل مع الطبيعة اكثر مما تحصلها من التعامل مع المجتمع قطعة ارض صغيرة ، فلاح واسرته . والى جوارهم قطعة ارض صغيرة اخرى وفلاح آخر واسرة اخرى ان حفنة من هذه الوحدات تشكل قرية وحفنة من القرى تشكل مقاطعة . وبهذه الطريقة تتكون الجمهورية العظمى من الامة الفرنسية بمجرد اضافة مقادير متناظرة مثلما تكون رؤوس البطاطا في كيس كيس بطاطا . وبما ان ملايين الأسر تعيش في ظروف اقتصادية تفصل نمط حياتها ومسالحيها وثقافتها عن نمط حياة الطبقات الاخرى ومسالحيها وثقافتها ، وتضعها في موضع التضاد العدائي مع الاخرى فانها تشكل طبقة . وبما انه لا يقوم بين هؤلاء الفلاحين الصغار غير علاقات محلية وبما ان تطابق مصالحهم لا يخلق بينهم رابطة مشتركة او رابطة وطنية او تنظيميا سياسيا فهم لا يشكلون طبقة . ولذلك يعجزون عن الدفاع عن مصلحتهم الطبقي باسمهم الخاص سواء اكان ذلك بواسطة برلمان ام بواسطة كونفانسيون .

انهم لا يستطيعون تمثيل انفسهم ولا بد ان يمثلهم غيرهم . ولا بد لممثلهم ان يظهر في الوقت نفسه كسيد لهم ، كسلطة فوقهم ، كسلطة حكومية غير محدودة تحميهم ضد الطبقات الاخرى وترسل لهم الفيث وضوء الشمس من فوق . ولهذا يجد النفوذ السياسي للفلاحين الصغار تعبيرا نهائيا في واقع ان السلطة التنفيذية تخضع للمجتمع لنفسها

ان التقليد التاريخي المتوارث ولد عند الفلاحين الفرنسيين الاعتقاد الصوفي بان رجلا يدعى نابوليون سيعيد لهم جميع الخيرات المفقودة . وطلع شخص ادعى بانه هو هذا الرجل لمجرد انه يحمل اسم نابوليون ، بناء على مادة من Code Napoléon .
تنص : « La recherche de la paternité est interdite » بعد ثشرد دام عشرين سنة وبعد سلسلة من المغامرات السخيفة يتحقق التكهن ويصبح الرجل امبراطور الفرنسيين . لقد تحققت فكرة ابن الاخ الراسخة لانها انطبقت تمام الانطباق على الفكرة الراسخة لدى اكثر طبقات المجتمع الفرنسي عدداً .

ورب معترض يقول ولكن ما شان انتفاضات الفلاحين في نصف فرنسا والغارات التي شنها الجيش على الفلاحين وحبس الفلاحين بالجملة ونفيهم بالجملة ؟

ان فرنسا لم تشهد منذ لويس الرابع عشر مثل هذا الاضطهاد للفلاحين « بسبب الدساس الديماغوجية »

ولكن لنكن على بينة من الامر ان اسرة بوناپرت لا تمثل الفلاح الثوري بل الفلاح المحافظ ، لا تمثل الفلاح الذي يسعى الى التخلص من ظروف وجوده الاجتماعية التي تحددها قطعة

* مجموعة قوانين نابوليون : « التحقيق في الابوة ممنوع » . انظر .

ارضه الصغيرة ، بل تمثل بالاحرى الفلاح الذي يريد توطيد هذه الظروف وهذه الارض ، لا سكان الريف الذين يريدون الارتباط مع المدن والاطاحة بالنظام القديم بجهودهم الخاصة بل ، على النقيض ، اولئك الذين يعزلون انفسهم بعناد بليد ضمن هذا النظام القديم منتظرين ان ينقذهم شبح الامبراطورية وينقذ قطع اراضيهم ويمنحهم وضعاً ممتازاً . ان آل بوبارت لا يمثلون استنارة الفلاح بل خرافاته ، لا عقله بل اوهامه ، لا مستقبله بل ماضيه ، لا سيفين الحديثة بل فنده الحديثة (١٠٧)

ان حكم الجمهورية البرلمانية القاسي الذي دام ثلاث سنوات قد حرر قسماً من الفلاحين الفرنسيين من الوهم النابوليوني واحداث انقلاباً ثورياً في نفوسهم ، وان كان ذلك بصورة سطحية فحسب ؛ بيد ان البرجوازية كانت تدفعهم بالقوة الى الخلف كلما كانوا يخلطون في التحرك . وفي ظل الجمهورية البرلمانية كان الوعي العمري للفلاح الفرنسي ووعيه التقليدي يتنازحان السيادة كانت هذه العملية تجري بشكل صراع مستمر بين معلمي المدارس والكهنة - وكانت البرجوازية تقمع المعلمين . ولاول مرة بذل الفلاحون جهوداً في التصرف بصورة مستقلة ازاء نشاط الحكومة ، وتجلى هذا في النزاع المتواصل بين رؤساء البلديات والحكام الاداريين وكانت البرجوازية تعزل رؤساء البلديات . واخيراً ثار الفلاحون الفرنسيون في اماكن متعددة خلال فترة الجمهورية البرلمانية ضد وليدهم هم الجيش . وكانت البرجوازية تعاقبهم بفرض حالات الحصار وبالحملات التأديبية وهذه البرجوازية نفسها تصبح الآن من بلادة الجماهير ، من هذه vile multitude

زاعمة بانها خانتها لصالح بوناپرت. وهي نفسها التي عززت بالقوة المشاعر الامبراطورية عند طبقة الفلاحين وحفظت بعناية الظروف التي كانت بمثابة التربة التي تنبت عليها ديانة الفلاح هذه صحيح انه ينبغي على البرجوازية ان تخشى جهل الجماهير طالما ظلت محافظة ، وهي هذه الجماهير حالما تصبح ثورية .

في الانتفاضات التي اعقبت coup d'etat احتج قسم من الفلاحين الفرنسيين ، والسلاح في ايديهم ، ضد صوتهم الانتخابي الذي ادلوا به هم انفسهم في العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ ان المدرسة التي اجتازوها منذ عام ١٨٤٨ قد سجلت ذكاهم بيد انهم اسلموا انفسهم الى جحيم التاريخ ، والتاريخ قيدهم بكلمتهم ، وكانت الاكثرية منهم ما تزال غارقة في الضلال لدرجة ان سكان الريف في اشد المقاطعات احمراراً بالذات صوتوا بصورة مكشوفة لبوناپرت كانوا يرون ان الجمعية الوطنية قد عرقلت تقدمه وكل ما فعله بوناپرت الآن هو انه كسر القيود التي فرضتها المدن على ارادة الريف بل ان الفلاحين في بعض الانحاء داعبتهم الفكرة السخيفة فكرة قيام كونفانسيون(١٠٨) جنباً الى جنب مع نابوليون .

بعد ان حولت الثورة الاولى الفلاحين من اسياء اقنان الى ملاكين للارض احرار ثبت نابوليون ونظم الشروط التي يمكنهم بموجبها ان يستغلوا دولما عائق ارض فرنسا التي آلت اليهم لبيل ذلك بقليل ويطفنوا غليلهم الفتى للتملك بيد ان سبب اطلاق الفلاح الفرنسي الآن اما هو ارضه الصغيرة نفسها ، تجزئة الارض ، شكل الملكية الذي وطده نابوليون في فرنسا انها بالضبط تلك الظروف المادية التي جعلت من الفلاح الفرنسي من عهد الاقطاع ، مالكا عقاريا صغيراً ، وجعلت من نابوليون

امبراطوراً . وقد كفى جيلان لبلوغ النتيجة التي لا مناص منها
التدهور المتزايد في الزراعة والدين المتزايد على المشتغلين
بالزراعة . ان الشكل «الناپوليوني» للملكية الذي كان في بداية
القرن التاسع عشر شرطاً لتحرير اهل الريف الفرنسيين واثرائهم قد
تطور في بحر هذا القرن الى قانون يثبت استعبادهم وفقرهم
وهذا القانون بالضبط هو اول فكرة من «idées napoléoniennes»
كان يترتب على بوناپرت الثاني ان يلدود عنها . واذا كان ما يزال
يشاطر الفلاحين الوهم القائل بان سبب خرابهم ينبغي تلمسه
لا في هذه الملكية العقارية الصغيرة ذاتها بل في خارجها ، في تأثير
هروب ثلوية ، فان تجاربه سوف تنفجر كفقاعات الصابون
لدى ملامستها علاقات الانتاج .

ان التطور الاقتصادي للملكية العقارية الصغيرة قد غير
علاقات الفلاحين بطبقات المجتمع الاخرى تغييراً جذرياً ففي
عهد نابوليون كان تقسيم الارض في الريف الى قسائم صغيرة
يكمل المواحة الحرة والصناعة الكبيرة المبتدئة في المدن . وكانت
طبقة الفلاحين في جميع الاماكن هي الاحتجاج ضد اريستقراطية
الارض التي اطيح بها قبل ذلك بقليل فحسب . ان الجدور التي
ضربت الملكية العقارية الصغيرة في التربة الفرنسية قد حرمت
الاقطاع من كل غذاء . وكانت علامات الحدود لقطعة الارض
الصغيرة بمثابة التحصينات الطبيعية للبرجوازية ضد اي هجوم
عليها من جانب اسيادها القدماء . بيد ان امراء الاقطاع
حل محلهم في غضون القرن التاسع عشر مرايو المدن ، والالتزام
الاقطاعي الذي ينيخ بكله على الارض حل محله الرهن ، والملكية

الاريستقراطية للأرض حل محلها رأس المال البرجوازي ان قطعة أرض الفلاح لم تعد سوى ذريعة تتيح للرأسمالي ان يجني من الأرض ربحاً وفائدة وريفاً ، وان يترك لمالك الأرض نفسه امر الاهتمام بالطريقة التي يراها ناجحة للحصول على أجره ان ديسن الرهن الذي يشغل أرض فرنسا يفرض على الفلاحين الفرنسيين دفع مبلغ من الفائدة يعادل الفائدة السنوية المترتبة على الدين القومي البريطاني بأسره . ان الملكية العقارية الصغيرة ، التي استعبدتها الرأسمال لهذه الدرجة - ويؤول تطور هذه الملكية الى هذا الاستعباد بصورة محتومة - قد حولت اغلبيه الامة الفرنسية الى سكان كهوف . ستة عشر مليوناً من الفلاحين (بمن فيهم النساء والاطفال) يسكنون في اخصاص معظمها ليست له سوى فتحة واحدة ، وبعضها الآخر له فتحتان فقط ، واحسنها حظاً له ثلاث فتحات فحسب والنوافذ بالنسبة للبيت هي كالحواص الخمسة بالنسبة للرأس ان النظام البرجوازي الذي اقام الدولة في بداية القرن حارساً على الملكية العقارية الصغيرة النافثة تواتاً وسمدها بالغار اصبح الآن عفريتاً يمتص دماءها ودماغها ويقذف بها في القدر الكيماوي لرأس المال ان Code Napoléon ليست الآن سوى مجموعة قوانين لتنفيذ قرارات المحاكم واجراءات الحجز والبيع بالمزاد العلني ولا بد لنا ان نضيف الى الملايين الاربعة (بمن فيهم الاطفال ، الخ .) من المتسولين والمشردين والمجرمين والمومسات في فرنسا ، المعترف بهم رسمياً ، خمسة ملايين يحومون على شفا البقاء وهم اما يسكنون الريف نفسه او يهجرون الريف باستمرار ، هم وخرقهم واطفالهم ، الى المدن او يهجرون المدن الى الريف . وبكلمة ، ان مصالح الفلاحين لم تعد ، كما كانت في عهد نابوليون ،

تتفق مع مصالح البرجوازية ، مع رأس المال بل هي في تناقض مستمر معهما . ومن هنا يجد الفلاحون حليفهم الطبيعي وقائدهم في بوليتاويرا المعلن التي مهمتها الاطاحة بالنظام البرجوازي . ولكن الحكومة القوية غير المحدودة - وهذه هي «idée napoléonienne» الثانية التي يترتب على نابليون الثاني تنفيذها - مدعوة للدفاع عن هذا النظام «المادي» بالقوة . والحقيقة ، ان هذا «ordre matériel» يتكرر كاللازمة في جميع بلاغات بوناپرت ضد الفلاحين العاصين .

وبالاضافة الى دين الرهن الذي يشغل به رأس المال قطعة الارض الصغيرة ، ترفع الضرائب هذه القطعة . ان الضرائب هي ينبوع الحياة بالنسبة للبروقراطية والجيش والكهان والبلاط وبالاختصار بالنسبة لجهاز السلطة التنفيذية بأسره . ان الحكومة القوية والضرائب الباهظة هما في واحد ان الملكية المقاربية الصغيرة تشكل طبيعتها اساساً مناسباً لبروقراطية كاملة الجبروت ولا حصر لها . انها تخلق مستوى متناسقاً للعلاقات والاشخاص فوق اديم البلاد جميعها . ولذا تتيح ايضاً ممارسة تأثير متناسق من مركز واحد اعلى وعلى جميع نقاط هذه الكتلة الريحية انها تقضي على الدرجات الارستقراطية المتوسطة بين جمهرة الشعب وسلطة الدولة . وهي لذلك تستدعي التدخل المباشر الشامل لسلطة الدولة هذه وتدخل اجهزتها المباشرة في كل مكان . وهي تخلق اخيراً فيضاً من السكان العاطلين الذين لا مكان لهم سواء في الريف او في المدن والذين يمدون ايديهم بناء على ذلك الى وظائف الدولة بوصفها صدقات لائقة وتشكل حافزاً لزيادة عدد

المناصب في جهاز الدولة . كان نابوليون يسدد الضرائب الاجبارية مع الفوائد وذلك بالاسواق الجديدة التي افتتحها بالحرب وبتهب القارة . وقد كانت هذه الضرائب النابوليوية حافظاً لنمو الحرف الفلاحية بينما هي تسلب الآن هذه الحرف مواردها الاخرية وآخر امكانية لمقاومة الاملاق والبيروقراطية الضخمة ، التي تنعم بالحلل الموشاة والطعام الطيب ، انما هي *idée napo-léonienne* كانت اقرب فكرة الى نفس بوناپرت الثاني . وكيف يمكن ان يكون الامر بخلاف ذلك ونحن نراه مرغماً على ان يخلق الى جانب الطبقات الفعلية في المجتمع طائفة اصطناعية تصبح المحافظة على حكمه بالنسبة لها مسألة رزق وعيش ؟ وعليه كان من اوائل العمليات المالية التي قام بها رفع مرتبات الموظفين التي جرى تخفيضها من قبل الى مستواها القديم وايجاد وظائف جديدة بلا عمل

وهناك *idée napoléonienne* اخرى هي سيطرة الكهان بوصفها أداة في يدي الحكومة . ولكن بينما تكون قطعة الارض الصغيرة التي برزت الى الوجود حديثاً ، في وقائعها مع المجتمع واعتمادها على القوى الطبيعية وخضوعها للسلطة التي هي حاميتها الاعلى ، متدينة بطبيعة الحال ، فان قطعة الارض الصغيرة التي تخربها الديون والتي هي والمجتمع والسلطة على طرفي نقيض والتي تكلف فوق ما في وسعها والمضطرة الى ان تخرج من نطاق محدوديتها ذاتها ، تصبح بطبيعة الحال غير متدينة ان السماء كانت ملحقة لا باس به بالنسبة لقطعة الارض الصغيرة التي كسبت حديثاً خصوصاً لان السماء تصنع الطقس ، ولكن هذه السماء تغدو اهانة حالما تطرح بمثابة بديل عن القطعة الصغيرة . وعندئذ يتحول القسيس الى كلب ممسوح بالمرون من كلاب

الشرطة الديوية - وهذه ايضا «idée napoléonienne» وفي المناسبة التالية ستجري الحملة على روما في فرنسا نفسها ولكن بمعنى معاكس لذلك الذي يقصده المسيو دي مونتالمبير واخيراً ان ذروة «idées napoléoniennes» هي غلبة اهمية

الجيش . ان الجيش كان «point d'honneur» للفلاحين الصغار كان الجيش يجعل منهم ابطالا يدافعون عن ممتلكاتهم الجديدة ضد الاعداء الخارجيين ، ويمجدون الوحدة القومية التي اكتسبوها مؤخراً ، وينهبون الدنيا وينفخون فيها روح الثورة البزات العسكرية كانت لباسهم للاحتفالات والحرب كانت قصيدهم ، وقطعة الارض الصغيرة التي يضخمها الخيال ويكملها كانت وطنهم ، والشعور الوطني كان الشكل المثالي للشعور بالملكية بيد ان الاعداء الذين كان على الفلاح الفرنسي الآن ان يحمي ملكيته منهم ليسوا هم القوزاق ، انهم مأمورو الاجراء وجباة الضرائب وقطعة الارض الصغيرة لم تعد تقع فيما يدهى بالوطن بل في سجل الرهون . والجيش نفسه لم يعد زهرة شباب الفلاحين انه زهرة مستنقع حشالة الفلاحين ، انه يتالف الى حد كبير من المتجندين البدلاء تماماً كما ان بوناپرت الثاني نفسه ليس الا بديلاً عن نابوليون . ان مآثره البطولية تتجلى الآن في مطاردة الفلاحين وفي القيام بوظيفة الدركسي ولو ان التناقضات الداخلية لنظام رئيس جمعية العاقر من كانون الاول طاردت هذا الرئيس الى ما وراء الحدود الفرنسية فان جيشه سوف يجني ، بعد بضعة اعمال لصوصية ، لا اكاليل الغار بل الضربات .

ومكذا نرى ان جميع «idées napoléoniennes» هي افكار قطعة الارض الصغيرة غير المتطورة ، والتي لا تزال بعد في ربحان شبابها ، اما بالنسبة لقطعة الارض الصغيرة التي انقضى زمانها فهي سخافة ، انها مجرد اضافات نوعها الاخير ، كلمات تحولت الى عبارات ، ارواح تحولت الى اشباح . بيد ان مهزلة الامبراطورية كانت ضرورية لتحرير جمهرة الامة الفرنسية من وطاة التقاليد ولاستجلاء التناقض بين سلطة الدولة والمجتمع بصورته الخالصة . ومع التدهور المتزايد الذي طرأ على الملكية العقارية الصغيرة ينهار مبنى الدولة المشيد فوقها ان مركزية الدولة التي يتطلبها المجتمع المعاصر تنشا فقط على انقاض جهاز الحكم العسكري البيروقراطي الذي صُنِعَ في سياق النضال ضد اللطاعية.

ان حال الفلاحين الفرنسيين تكشف لنا عن لغز الانتخابات العامة في ٢٠ و ٢١ كانون الاول (ديسمبر) التي قادت بوناپرت الثاني الى اعلى طور سيناء (١٠٩) لا ليتلقى التشريعات بل ليعطيها

• بدلا من الجملتين الاخيرتين في آخر الفقرة المعنية ورد في طبعة عام ١٨٥٢ ما يلي وان تعطيم آلة الدولة لا يشكل اي خطر على المركزية . فان البيروقراطية ما هي غير الشكل الواسع والنفذ من اشكال المركزية التي ما تزال مصابة بنقيضها ، اللطاعية وعندما تخيب آمال الفلاح الفرنسي في العودة النابوليونية ، فانه سيتخذ كذلك من ايمانه بقطعة ارضه الصغيرة ، وينهار كل مرجح الدولة المشيد على قطعة الارض هذه ، وتتحلى الثورة البروليتارية بتلك البجوة التي بدونها يتحول غناؤها المنفرد في جميع البلدان الفلاحية الى غناء طير الهم ، (هذا التعبير الاخير يعني غناء الاحتضار . المترجم .) التافه .

وظاهر ان البرجوازية لم يكن لديها الآن خيار الا انتخاب بوناپرت . عندما شكا الصار الاخلاق الصارمة في مجمع كونستانسيا (١١٠) من الحياة المنحلة التي يحياها الباباوات واهولوا حول ضرورة الاصلاح الخلقي ، ارعد الكاردينال بيري دايي قائلا لهم : وما من احد الا الشيطان بشخصه يستطيع الآن انقاذ الكنيسة الكاثوليكية وانتم تطلبون ملائكة ! ، وبمثل هذا صاحت البرجوازية الفرنسية بعد الانقلاب : ما من احد الا رئيس جمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) يستطيع الآن انقاذ المجتمع البرجوازي ! المارقة وحدها هي التي تستطيع الآن انقاذ الملكية ، والزور وحده انقاذ الدين والنخولة انقاذ العائلة ، والفوضى انقاذ النظام !

ان بوناپرت ، بوصفه السلطة التنفيذية التي جعلت نفسها قوة مستقلة ، يعتبر ان رسالته هي حماية «النظام البرجوازي» ؛ اما قوة هذا النظام البرجوازي فتكمن في الطبقة الوسطى ولذا ينظر الى نفسه باعتباره ممثلا للطبقة الوسطى ويصدر مراسيم مناسبة . ولكنه ، مع ذلك لم يصبح شيئا يذكر الا لانه حطم القوة السياسية لهذه الطبقة الوسطى ولأنه يحطمها مجدداً في كل يوم وبناء على ذلك ينظر الى نفسه كخضم للقوة السياسية والادبية للطبقة الوسطى . ولكنه اذ يحمي قوتها المادية ، يولد قوتها السياسية من جديد . ولهذا لا بد للعلة ان تبقى على قيد الحياة ؛ اما المعلول ، حيثما ظهر ، فينبغي ان يقضى عليه . بيد ان هذا لا يمكن ان يحدث دون غلط بسيط بين العلة والمعلول لانهما كليهما يفقدان في تفاعلهما المفترق خصائصهما المميزة مراسيم جديدة متوالية تمحو خط الحدود . وبوناپرت ينظر الى نفسه ، في الوقت ذاته ، باعتباره ممثلا للفلاحين وللشعب

بصورة عامة ضد البرجوازية ، ممثلاً يريد ان يسعد الطبقات الدنيا من الشعب ضمن اطار المجتمع البرجوازي . مراسيم جديدة تحتال على والاشتراكيين الحقيقيين» (١١١) وتسلبهم سلفاً قدرتهم على ادارة الدولة . ولكن بوناپرت ينظر دائماً الى نفسه ، قبل كل شيء ، بوصفه رئيساً لجمعية العاشر من كانون الاول ، بوصفه ممثلاً لحتالة البروليتاريا التي ينتمي هو نفسه وبطالته وحكومته وجيشه اليها والتي همها الاول هو العيش كما يطيب لها وسحب جوائز يالصيب كاليفورنيا من خزينة الدولة . وهو يزكي لقبه كونه لجمعية العاشر من كانون الاول بمراسيم وبدون مراسيم وبرغم المراسيم

ان مهمة هذا الرجل المتناقضة هذه تفسر الاجراءات المتناقضة لحكومته التي تصرف على غير هدى وتسمى تارة لتكسب وطوراً لتذل لولا هذه الطبقة ثم تلك وتصف الطبقات جميعاً ضدها على حد سواء ، تلك الحكومة التي يشكل ما بها من الحيرة العملية مفارقة مضحكة جداً مع الاسلوب العاني القاطع لمراسيم الحكومة ، وهو اسلوب منقول بمدلة وخنوع عن مراسيم العم

ان الصناعة والتجارة ، اي اشغال الطبقة الوسطى ، ينبغي لها ان تزدهر برعاية حكومة قوية كالهيا في مستنبت دالي فيجري منح ما لا حصر له من امتيازات سكك الحديد بيد ان حثالة البروليتاريا من البوناپرتيين ينبغي ان تثرى فيبدأ الاشخاص المطلعون سلفاً على اسرار امتيازات سكك الحديد لعبة الفش في البورصة ولكن رأس مال السكك الحديدية لا يظهر له اثر ، ويلزمون البنك بتقديم سلف على اسهم السكة الحديدية . غير ان البنك ، في الوقت نفسه ، سيستفله بوناپرت لاهراضه

الشخصية ولا بدّ من مداجاته لهذا السبب يعفون البنك من الالتزام بنشر تقريره اسبوعيا ويعقد البنك اتفاقية مع الحكومة تضمن له حصة الاسد . والشعب لا بد من ايجاد اعمال له ، فيشرون في الاشغال العمومية . ولكن الاشغال العمومية تزيد من اعباء الشعب الضرائبية . من هنا تخفيض الضرائب بالهجوم على ايرادات اصحاب الدخل والريع بتحويل ريع الخمسة في المائة الى اربعة ونصف في المائة . ولكن لا بد للبرجوازية ان تأخذ الحلوى من جديد مع الحبة المرة ومن مضاعفة ضريبة الخمر على الشعب الذي يشتريه *en detail* وانقاص ضريبة الخمر الى النصف بالنسبة للطبقة الوسطى التي تشتريه *en gros* تحمل جميعات العمال القائمة فعلا ولكن الحكومة تعد بمعجزات بعد تشكيل الجمعيات في المستقبل . الفلاحون لا بد من تقديم المساعدات لهم تؤسس بنوك الرهن التي تجعل في ايقاعهم بالديون وفي تركيز الملكية . ولكن يجب استخدام هذه البنوك لابتزاز المال من املاك آل لورليان المصادرة . ما من رأسمالي يريد ان يوافق على هذا الشرط الذي لم يذكر في المرسوم ويبقى بنك الرهن مجرد مرسوم ، الخ ، الخ ..

ان بونايرت يحب ان يظهر بمظهر الأب المنعم لجميع الطبقات . ولكنه لا يستطيع ان يعطي طبقة من الطبقات دون ان يأخذ من الاخرى . وكما كان يقال من الدوق جيز زمن الفروند بانه كان اعظم متفضل في فرنسا لانه حول جميع املكه الى التزامات في ذمة انصاره يدينون له بها ، كذلك سيقبل

• بالفرق . التلغراف .

•• بالجملة . التلغراف .

بوناپرت راضيا بان يكون اعظم متفضل في فرنسا ويحول كل ممتلكات فرنسا وكل شغلها الى التزام شخصي له . انه يحب ان يسرق فرنسا بكاملها حتى يتسنى له ان يقدمها هدية الى فرنسا لو بالاحرى حتى يتسنى له ان يشتري فرنسا من جديد بنقود فرنسية وذلك لانه ينبغي عليه بالضرورة ، باعتباره رئيس جمعية العاشر من كانون الاول ، ان يشتري ما ينبغي ان يكون له . وجميع مؤسسات الدولة ومجلس الشيوخ ومجلس الدولة والهيئة التشريعية ووسام جوقه الشرف ومداليات الجنود ومحال الفسيل والاشغال العمومية والسكك الحديدية والاركان العامة للحرس الوطني باستثناء عامة الجند والاملاك المصادرة لال اورليان - جميعها تصبح موضوعا للبيع والشراء وكل مركز في الجيش وفي جهاز الحكومة يصبح وسيلة للرشوة بيد ان اهم ملامح هذه العملية التي يكمن معناها في اخذ فرنسا من اجل اهدائها اياها نفسها ، انما هو الفوائد المثوية التي تجد طريقها الى جيوب رئيس جمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) واعضاؤها اثناء دورة رأس المال ان الملحقة التي وصفت بها الكونتيسة ل . ، حظية المسيو دي مورني ، مصادرة املاك اورليان : «C'est le premier vol de l'aigle» (وهذا اول طيران للنسر) تنطبق على كل طيران لهذا النسر الذي هو افسه بالفرايب انه هو واصياعه ينطقون كل يوم بانفسهم لانفسهم كلمة الراهب الكارتيزياني الايطالي اذ وعظ البخيل الذي تباهى بعد المتاع الذي كان في وسعه ان يعيش عليه لسنتين مقبلة طوبلة : «Tu fai conto sopra i beni, bisogna prima far il

* conto sopra gli anni. ولنلا يخطئوا في السنين عدوا الدقائق . لقد فقت جماعة من الأشخاص طريقها الى البلاط ، الى الوزارات ، الى رأس الادارة والجيش ، جماعة من الاجلاف ينبغي ان يقال من احسنهم بان احدا لا يعرف اصله ، جماعة بوهيمية صحابة نهاية شائنة السمعة تدب في المعاطف المقصبة بعين الوجاعة المضحكة مثل اميان سولوك . وفي وسع المرء ان يتصور بوضوح هذه الطبقة العليا من جمعية العاشر من كانون الاول (ديسمبر) اذا اخذ بعين الاعتبار ان فيرون-كريفيل هو واضعها الاخلاقي وان غراييه دي كاسانيك هو مفكرها كان غيرو ، ايان وزارته ، يستخدم غراييه هذا للعمل في صحيفة سيئة السمعة ضد المعارضة الأسرية وكان يباهي به قائلا عادة في تملق : « C'est le roi des drôles » ، وانه ملك المهرجين ومن الخطأ ان يعيد المرء عهد الوصاية (١١٢) او لويس الخامس مقر الى ذهنه في مجال الحديث من بلاط لويس بوناپرت وعصابته . وذلك لان فرنسا قد بليت مراراً من قبل حكم محطيات ، بيد انها لم تبل قط حكم قوادين»

ان بوناپرت ، وقد ساقته الى ذلك مطالب وضعه المتناقضة وكان في الوقت نفسه يقوم بدور الحاوي المضطر الى ابقاء نفسه محط الانظار كبديل لناپوليون ، وذلك بقيامه بالمفاجئات

• وانت تحصي معاركه ، ولولى لك ان تحصي سنيله»

• • • لقد حدد بلزاك في روايته وابنة العم بيتي» معالم الباريسي الثاني المنحل كليا في شخصية كريفيل ، وهي شخصية روائية رسمها حل فرار الدكتور فيرون صاحب جريدة "Constitutionnel" .

• • • الكلام المقتبس هو كلام مدام جيراردون .

المستمرة ، اي بالاحرى الى اجراء انقلاب مصغر كل يوم ، ان بوناپرت هذا قد القى الاقتصاد البرجوازي برمته في هاوية الفوضى والتهلك كل ما كان يبدو مصونا بالنسبة لثورة ١٨٤٨ ، وجعل البعض يتصامحون مع الثورة ، وآخرين يرغبون في الثورة ، وخلق فوضى فعلية باسم النظام ، بينما كان في الوقت نفسه يجرّد جهاز الدولة بكامله من الهالة التي تحيط به ويلوّه ويجعله بغيضاً ومحلّاً للسخرية في آن واحد . انه يعيد في باريس بصورة مزورة ساخرة عبادة الرداء المقدس في تروير (١١٢) على شاكلة عبادة العبادة الامبراطورية النابوليونية ولكن عندما تسقط العبادة الامبراطورية اخيراً على كتفي لويس بوناپرت ، سيهوى تمثال نابوليون البرولتي من على قمة مسلة فندوم (١١٤) ويتحطم .

كتبه ماركس في كانون الاول
(ديسمبر) ١٨٥١ - آذار (مارس) عام ١٨٦٩ المقارنة بنصي
١٨٥٢ نشر على شكل طبعة مجلة طبعتي عام ١٨٥٢ وعام ١٨٨٥
"Die Revolution" الاولى ، نيويورك ، تمت الترجمة نقلاً من الالمانية
عام ١٨٥٢
التوقيع : كارل ماركس

ملاحظات

١ - «موضوعات من فوردباخ» كتبها ماركس في بروكسل في ربيع ١٨٤٥ ، عندما كان قد أتم ، من حيث الخطوط الكبرى ، تطوير نظريته المادية من التاريخ ، ونشر المادية في مفهوم من المجتمع البشري وقد قال انجلس ان هذه اول وثيقة تحتوي النواة العبقريّة للمفهوم الجديد من العالم» (راجع الطبعة الحالية ، القسم الرابع ، مقدمة لكتاب ولودفيغ فوردباخ»)

في «موضوعات من فوردباخ» يكشف ماركس النقص الجذري الذي يشوب كل سواء مادية فوردباخ وكل المادية السابقة ، اي طابعها التأملي الجامد ، وعدم فهم اهمية النشاط الثوري ، والعمل النقدي الذي يقوم به الانسان ؛ كذلك يشير ماركس الى دور الممارسة الثورية الحاسم في معرفة العالم وتحويله . - ص ٢٧

٢ - «بيان الحزب الشيوعي» ، اول وثيقة برنامجية للشيوعية العلمية تتضمن عرفاً كاملاً ومتناسقاً من اسس تعاليم ماركس وانجلس العظيمة وان هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقرية المفهوم الجديد للعالم ، يعرض المادية المتناسكة التي تشمل ايضاً ميدان الحياة الاجتماعية ، والديالكتيك بوصفه العلم الاوسع والاعمق للتطور ، ونظرية النضال الطبقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التاريخ العالمي البروليتاريا ، خالصة المجتمع الجديد ، المجتمع الشيوعي» (لينين ، الطبعة الحالية ، الجزء الاول ، ص ١١) .

سلح وبيان الحزب الشيوعي البروليتاريا بيهان علمي على حتمية

اللام الراسمالية وانتصار الثورة البروليتارية ، وحدد مهام واهداف الحركة البروليتارية الثورية . - ص ٤١

٢ - عصبة الشيوعيين ، اول منظمة شيوعية عالمية للبروليتاريا انشأها ماركس والجلس . دامت من ١٨٤٧ الى ١٨٥٢ . راجع مقالة المجلس ومساهمة في تاريخ عصبة الشيوعيين (المجموعة الحالية ، الجزء ٢) . - ص ٤١

٤ - المقصود هنا ثورة شباط (فبراير) عام ١٨٤٨ في فرنسا - ص ٤١

٥ - "The Red Republican" (وذي ريد ريپبليكان) - والجمهوري الاحمر) - جريدة اسبوعية فارسية ، اصدرها جون هارني في لندن من حزيران (يوليو) الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٠ نشرت والبيان بصورة موجزة في الاعداد ٢١-٢٤ من شهر تشرين الثاني ١٨٥٠ - ص ٤١

٦ - انتفاضة حزيران ، انتفاضة باسلة قام بها عمال باريس من ٢٢ الى ٢٦ حزيران (يوليو) ١٨٤٨ ، وقسمتها البرجوازية الفرنسية بفرولة خارقة . كانت هذه الانتفاضة اول حرب اهلية كبيرة في التاريخ بين البروليتاريا والبرجوازية . - ص ٤١

٧ - "Le Socialiste" (والسوسياليست) - والاشتراكي) ، جريدة يومية ، صدرت في ليويوروك من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧١ الى ايار (مايو) ١٨٧٢ باللغة الفرنسية كانت لسان حال الفروع الفرنسية في اتحاد الاممية باميركا الشمالية بعد مؤتمر لاهاي ، قطعت صلتها بالاممية

الترجمة الفرنسية المنوه بها ولبيان الحرب الشيوعي، نشرتها جريدة "Le Socialiste" من كانون الثاني (يناير) الى آذار (مارس) ١٨٧٢ . - ص ٤١ .

٨- **كومونة باريس** ، حكومة ثورية للطبقة العاملة ، دامت من ٢٨ آذار (مارس) الى ٢٨ ايار (مايو) ١٨٧١ بمعنى الكلمة الواسع ، يسمون كذلك كومونة باريس الثورة البروليتارية بالذات التي نشبت في ١٨ آذار ١٨٧١ ومرحلة ديكتاتورية البروليتاريا التي تلتها ويتناول مؤلف والحرب الاهلية في فرنسا تاريخ كومونة باريس ويكشف جوهرها بالتفصيل (راجع المجموعة الحالية ، الجزء ٢) .- ص ٤٢

٩- **محاكمة الشيوعيين في كولونيا** (من ٤ تشرين الاول - اكتوبر - الى ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٨٥٢) ، محاكمة استفزازية دبرتها الحكومة البروسية ضد ١١ عضواً من اعضاء عصبة الشيوعيين وقد وجهت الى سبعة اشخاص من المتهمين تهمة الخيانة العظمى بالاستناد الى وثائق مزورة وشهادات كاذبة ؛ وحكم عليهم بالسجن في القلعة لمدة تتراوح بين ٣ سنوات و٦ . فضح ماركس وانجلس الطرائق الاستفزازية الضخيمة التي لجأت اليها الدولة البوليصة البروسية ضد الحركة العمالية العالمية . - ص ٤٤

١٠- المقصود هنا انتفاضة حزيران في باريس عام ١٨٤٨ (راجع ملاحظة رقم ١٦) .- ص ٤٧

١١- هذه المقدمة كتبها انجلس في اول ايار (مايو) ١٨٩٠ ، اي في اليوم الذي جرت فيه في جملة من بلدان اوروبا واميركا ، بناء على قرار من مؤتمر الاممية الثانية في باريس (تموز - يوليو - ١٨٨٩) مظاهرات جماهيرية واضرابات واجتماعات حاشدة للعمال طالبوا فيها بיום العمل من ٨ ساعات وبتنفيذ مطالب المؤتمر الاخرى ولم ذلك ، اخذ العمال في جميع البلدان يحتفلون باول ايار بوصفه يوم الاستعراض الكفاحي للقوى الثورية ولتضامن البروليتاريا العالمي .- ص ٤٧

١٢- **الحروب الصليبية** ، حركة استعمارية حربية باتجاه بلدان الشرق قام بها كبار الاقطاعيين والفرسان من اوروبا الغربية ، والعدن الايطالية التجارية في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ،

تحت راية الدين لاجل تحرير المقدسات المسيحية في القدس وسائر
والاماكن المقدسة ، من حكم المسلمين . كانت الكنيسة الكاثوليكية والكرسي
البابوي السامي الى السيطرة العالمية ايدولوجي وملهمي الحروب الصليبية ،
وكان الفرسان قوتها العسكرية الرئيسية . كذلك اشترك الفلاحون في
العمليات ، سميا وراء الخلاص من اضطهاد الاقطاعيين . اقترنت هذه العمليات
بأعمال النهب والعنف سواء حيال المسلمين ام حيال السكان المسيحيين
في البلدان التي مر بها الصليبيون . ولم تقتصر مطامع الصليبيين الفتوحية
على الدول الاسلامية في سوريا وفلسطين ومصر وتونس ، بل شملت ايضا
الامبراطورية البيزنطية الارثوذكسية . ولكن فتوحات الصليبيين في القسم
الشرقي من البحر الابيض المتوسط لم تكن وطيدة ، وسرعان ما عادت
الاراضي التي استولوا عليها الى المسلمين . - ص ٥٤

١٢ - عوضا عن مفهومي «قيمة العمل» و«ثمن العمل» ، استعمل
ماركس وانجلس ، في المؤلفات اللاحقة ، مفهومين ادق ادخلهما ماركس
وعما «قيمة قوة العمل» و«ثمن قوة العمل» (راجع بهذا الصدد مقدمة
انجلس لمؤلف ماركس والعمل المأجور والراسمال ، المجموعة الحالية ،
ص ص ١٧-١٠٩) . - ص ٥٩

١٤ - المقصود هنا الثورة البرجوازية الفرنسية في القرن الثامن
عشر . - ص ٦٨

١٥ - المقصود هنا الحركة من اجل اصلاح قانون الانتخابات ،
الذي اقتره مجلس المصوم البريطاني في عام ١٨٢١ تحت ضغط الجماهير
الشعبية والذي صادق عليه مجلس اللوردات بصورة نهائية في حزيران
(يوليو) ١٨٢٢ . وكان الاصلاح موجها ضد الاحتكار السياسي
للاستقراطية العقارية والمالية ، والفسح الطريق لوصول ممثلي البرجوازية
الصناعية الى البرلمان . اما البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة اللتان كانتا
القوة الرئيسية في النضال من اجل الاصلاح فقد خدمتهما البرجوازية
الليبرالية ولم تحصلا على الحقوق الانتخابية . - ص ٧٩ .

١٦- عودة الملكية ١٦٦٠-١٦٨٩ ، المرحلة الثانية من حكم سلالة ستيوارت في إنجلترا التي اسقطتها الثورة البرجوازية الانجليزية في القرن السابع عشر (راجع ايضا الملاحظة ١٠٦)

عودة الملكية ١٨١٤-١٨٣٠ ، المرحلة الثانية من حكم سلالة بوربون في فرنسا اطاحت ثورة تموز (يوليو) ١٨٣٠ بنظام آل بوربون الرجعي الذي كان يمثل مصالح النبلاء والاكليركيين .- ص ٧٩

١٧- الليجيتيميون (الشرعيون) ، انصار سلالة بوربون "Légitime" (والشرعية) التي استقطت في عام ١٨٢٠ وكانت تمثل مصالح الملكية العقارية الكبيرة الوراثةية وفي الصراع ضد آل اورليان الحاكم (١٨٢٠-١٨٤٨) والمعتمد على الارستقراطية المالية والبرجوازية الكبيرة ، لجأ قسم من الشرعيين في احيان كثيرة الى الديماغوجية الاجتماعية مصورين انفسهم مدافعين عن الشغيلة دون المستثمرين البرجوازيين .- ص ٨٠

١٨- «إنجلترا الفتاة» ، فريق من السياسيين والادباء الانجليز من حزب التوري (راجع الملاحظة ٨٢) تشكل في بداية الاربعينيات من القرن التاسع عشر وتعبيراً عن استياء الارستقراطية العقارية من تعامل جيروت البرجوازية الاقتصادي والسياسي ، لجأت وإنجلترا الفتاة الى الأساليب الديماغوجية لكي تصح الطبقة العاملة تحت نفوذها وتستغلها في صراعها ضد البرجوازية .- ص ٨٠

١٩- ليوونكر ، بمعنى الكلمة الضيق ، طبقة النبلاء ملاكي الاراضي في بروسيا الشرقية . بالمعنى الواسع ، طبقة الاقطاعيين العقاريين الالمان .- ص ٨١

٢٠- المقصود هنا ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ البرجوازية الديمقراطية في ألمانيا .- ص ٨٧

٢١- ارنلي الميهاد للصهيحة رمز الفردوس في التقاليد المسيحية .- ص ٨٨

٢٢ - «الشاولية» (من الكلمة الانجليزية Charter - «ميثاق») حركة سياسية قام بها عمال بريطانيا العظمى في الثلاثينيات ولي اواسط الخمسينيات من القرن التاسع عشر بسبب وضعهم الاقتصادي المرمق وحرمانهم من الحقوق السياسية جرت هذه الحركة تحت شعار النضال من اجل تطبيق ميثاق شعبي يتضمن مطلب حق الانتخاب العام وعدداً من الشروط التي تضمن هذا الحق للعمال كانت القنارية ، حسب تعريف لينين ، «اول حركة واسعة ، جماهيرية فعلا ، منظمة سياسياً ، وثورية بالروح البروليتارية» - ص ٩٢

٢٣ - المقصود هنا الجمهوريون الديمقراطيون من صفار البرجوازيين والاشتراكيون من صفار البرجوازيين ، - انصار الجريدة الفرنسية «الاصلاح» "La Réforme" - «لاريفورم» الذين طالبوا باقامة الجمهورية واجراء اصلاحات ديموقراطية واجتماعية . - ص ٩٢

٢٤ - "La Réforme" («لاريفورم» - «الاصلاح») ، جريدة يومية فرنسية ، صدرت في باريس من عام ١٨٤٢ الى عام ١٨٥٠ - ص ٩٤

٢٥ - في شباط (فبراير) ١٨٤٦ ، جرت الاستعدادات للانتفاضة في الاراضي البولوية تستهدف تحرير بولونيا الوطني كان الديمقراطيون الثوريون البولونيون (دمبوفسكي وغيره) المبادرين الرئيسيين الى الانتفاضة ولكن الانتفاضة العامة احبطت ولم ترق لغير بعض الاعمال الثورية ، وذلك من جراء خيانة العناصر الاقطاعية واعتقال البوليس البروسي لقادة الانتفاضة فقط في كراكوفيا ، الخاضعة منذ ١٨١٥ لمرابطة مشتركة من جانب النمسا وروسيا وبروسيا ، استطاع الثوار ان يحرروا انتصاراً في ٢٢ شباط وان يؤلفوا حكومة وطنية اصدرت بياناً بإلغاء الاموات والغرائض الاقطاعية في اوائل آذار (مارس) عام ١٨٤٦ تم جمع الانتفاضة في كراكوفيا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٨ ، وقعت النمسا وبروسيا وروسيا معاهدة بهم كراكوفيا الى الامبراطورية النمساوية . - ص ٩٤ .

٢٦- قصد ماركس من نشر «العمل المهاجر والراسمال» ان يرمي باسلوب مبسط العلاقات الاقتصادية التي تولد الاساس المادي للنضال الطبقي في المجتمع الراسمالي وقد حاول ان يعطي البروليتاريا سلاحا نظريا هو الفهم العلمي الحريق للاساس الذي تركز عليه في المجتمع الراسمالي سيادة البرجوازيين الطبقيية وعبودية العمل المايجور طور ماركس الموضوعات الاساسية في نظريته حول القيمة الزائدة ، وصاغ بصورة عامة موضوعه اطلاق الطبقة العاملة النسبي والمطلق في ظل الراسمالية .- ص ٩٧

٢٧- „Neue Rheinische Zeitung. Organ der Demokratie“ (الجريدة الرينانية الجديدة لسان حال الديموقراطية) صدرت يوميا في كولونيا بتحرير ماركس من اول حزيران (يوليو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) ١٨٤٩ كان المجلس عضوا في هيئة تحريرها - ص ٩٧

٢٨- وابطلة العمال الالمان بروكسل اسمها ماركس وانجلس في اواخر آب (اگسطس) ١٨٤٧ من اجل تشقيف العمال الالمان المقيمين في بلجيكا وتنويرهم السياسي ، ومن اجل ترويج الفكر الشيوعية العلمية بينهم بقيادة ماركس وانجلس وانصارهما ، غدت الرابطة مركزا علميا لتوحيد البروليتاريين الثوريين الالمان في بلجيكا انضمت خيرة عناصر الرابطة الى محفل عصبة الشيوعيين في بروكسل بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية في فرنسا في عام ١٨٤٨ بفترة وجيزة توالف نشاط رابطة العمال الالمان في بروكسل نظرا لاعتقال ونفي اعضائها من قبل البوليس البلجيكي .- ص ٩٧

٢٩- المقصود هنا غزو القوات الروسية القيصرية في المجر في عام ١٨٤٩ من اجل قمع الثورة البرجوازية المجرية واعادة حكم سلالة هابسبورغ النمساوية .- ص ٩٧

٣٠- المقصود هنا انتفاضات الجماهير الشعبية في المانيا من ايار (مايو) الى تموز (يوليو) ١٨٤٩ دلفاها عن دستور الامبراطورية (الذي

القرن الجمعية الوطنية في فرانكفورت في ٢٨ آذار (مارس) ١٨٤٩
ورفضته جملة من الدويلات الألمانية) كانت هذه الانتفاضات متفرقة
وعفوية ، وتم قمعها في لواسط تموز ١٨٤٩ . - ص ٩٧

٢١- فيما بعد ، وجدت في مخطوطات ماركس رؤوس اللام
(مسودة اعدادية) للمحاضرة الأخيرة او لبعض المحاضرات الأخيرة في
موضوع العمل المأجور والراسمال وذلك بصورة مخطوطة عنوانها والاجرة
وكتبت على غلافها الاشارة التالية و بروكسل كالون الاول (ديسمبر)
١٨٤٧ ، ان هذه المخطوطة تكمل جزئيا ، من حيث مضمونها ، بحث
ماركس غير الناجز «العمل المأجور والراسمال» . ولكن الاقسام الختامية
من بحث «العمل المأجور والراسمال» المعدة للطبع لم تكتشف بين مخطوطات
ماركس . - ص ٩٧

٢٢- كتب ماركس في «رأس المال» يقول «اني اعني بالاقتصاد
السياسي الكلاسيكي كل الاقتصاد السياسي ، الذي يبدأ مع وليام بيتي ،
ويبحث في الارتباطات الداخلية المتبادلة لعلاقات الانتاج البرجوازية»
وكان آدام سميث ودافيد ريكاردو من اكبر الاقتصاديين السياسيين
الكلاسيكيين في إنجلترا . - ص ٩٩

٢٣- كتب انجلس في مؤلف «ضد دوهرينغ» يقول «وان
الاقتصاد السياسي بمعنى الخبيث ، وان كان قد نشأ في رؤوس العباقرة
في لواخر القرن السابع عشر ، الا انه في صيغته الايجابية التي اضافها
عليه الفيزيوقراطيون وآدام سميث ، هو ، من حيث الجوهر ، وليد القرن
الثامن عشر» . - ص ٩٩

٢٤- يقصد انجلس الاحتفال بعيد اول ايار (مايو) في عام
١٨٩١ في بعض البلدان (بريطانيا ، ألمانيا) احتفل بعيد اول ايار
في اول يوم احد يلي اول ايار ، وقد صادف في عام ١٨٩١ يوم الثالث
من ايار . - ص ١٠٩

٢٥- المقصود هنا ثورة آذار (مارس) في عام ١٨٤٨ في بروسيا .
- ص ١١٠

٢٦- بعد معارك طاحنة دامت اسبوعاً كاملاً ، قمعت القوات المسلحة الامبراطورية النمساوية في اول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٨ الانتفاضة الشعبية في فيينا واحتلت المدينة
في تشرين الثاني- كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ ، جرى في بروسيا انقلاب قلته مرحلة الردة الرجعية في اول تشرين الثاني جاءت الى الحكم وزارة معادية صراحة للثورة وفي ٩ تشرين الثاني ، نقل اجتماع الجمعية الوطنية البروسية من برلين الى بلدة براندنبورغ النائية وواصلت الغلبة الجمعية عقد جلساتها في برلين ففرقتها القوات المسلحة في ١٥ تشرين الثاني انتهى الانقلاب بحل الجمعية في ٥ كانون الاول واعلان دستور رجعي .- ص ١١١

٢٧- يقصد ماركس انتفاضات التحرر الوطني التي جرت في المجر وايطاليا وبولونيا في ١٨٤٨ و١٨٤٩ .- ص ١١١

٢٨- تلميح الى اسطورة العقدة الفائقة التحد التي كان يفيد بها غوردي ، ملك فريجيا ، النير الى عرش عربته وبموجب نبوءة العريف ، كان لا بد لمن يفك هذه العقدة ان يسود آسيا وعوضاً عن فك العقدة ، قطعها الاسكندر ذو القرنين بسيفه .- ص ١١٩

٢٩- «الثامن عشر من برومير لويس بولسبرت» ، من اهم المؤلفات الماركسية وقد كتبه ماركس على اساس تحليل الاحداث الثورية التي جرت في فرنسا من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٥١ تحليلاً دقيقاً ملموساً . طور ماركس في هذا المؤلف جميع الموضوعات الاساسية للمادية التاريخية نظرية النضال الطبقي والثورة البروليتارية ، مذهب الدولة وديكتاتورية البروليتاريا ويتم باقصى الاهمية الاستنتاج الذي استخلصه ماركس في مسألة موقف البروليتاريا من الدولة البرجوازية وان جميع الانقلابات اكملت هذه الالة بدلاً من ان تحطمها (راجع المجموعة الحالية ، ص ٢٨٢) وصف لينين هذا الاستنتاج بأنه من اهم واكبر الاستنتاجات في مذهب الماركسية عن الدولة
في مؤلف «الثامن عشر من برومير لويس بولسبرت» درس ماركس

بمزيد من التفصيل والتحليل مسألة الفلاحين بوصفهم حلفاء الطبقة العاملة في الثورة المتيدة ، وأوضح دور الاحزاب السياسية في الحياة الاجتماعية ، واعطى وصفا عميقا لجوهر البولابرية . - ص ١٤٨

٤٠- ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ، يوم الانقلاب المعادي للثورة الذي قام به لويس بولابرت وانصاره في فرنسا . - ص ١٤٨

٤١- عهد النهضة او والرئيسانس ، مرحلة في تطور جملة من بلدان لوروبا الغربية والوسطى في الحقلين الثقافي والايديولوجي ، اشترطها نشوء العلاقات الرأسمالية وشملت النصف الثاني من القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر وعادة يقرون مرحلة النهضة بازدهار الفن والعلم ازدهارا حاصفا ، ويتجدد الاهتمام بثقافة العالم القديم (ومن هنا جاء اسم هذه المرحلة) وصف اجلس عهد النهضة في مؤلفه ومقدمة ولديالكتيك الطبيعة ، (راجع المجموعة الحالية ، الجزء الثاني) - ص ١٤٩

٤٢- دامت الجمهورية الثانية في فرنسا من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٥٢ . وصف ماركس هذه المرحلة في مؤلفه والنضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥١ ، وفي مؤلفه والثامن عشر من برومير لويس بولابرت ، - ص ١٥٠

٤٣- الجبل ١٧٩٢-١٧٩٥ ، (Montagne - مونتان) الجبليون ، تكتل ثوري ديموقراطي في الكولفانسيون ابان الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر . - ص ١٥١

٤٤- Brumaire (برومير) ، اسم شهر في التقويم الجمهوري الفرنسي

الثامن عشر من برومير (٩ تشرين الثاني - نوفمبر) ١٧٩٩ في هذا اليوم قام نابليون بولابرت بانقلاب واقام الديكتاتورية العسكرية . ويعني ماركس على نحو سخري وبالطبعة الثانية للثامن عشر من برومير ، انقلاب الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . - ص ١٥١ .

٤٥- «العهد القديم» . التوراة بالمعنى الحصري هي قسم اكبر من الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) يشمل الاسفار الخمسة الاولى وغير ذلك من الاسفار والنبوءات من العهد القديم (قبل المسيح) ؛ وهي عبارة عن مجموعة واسعة من مؤلفات دينية ودنيوية من الابداع الشعبي والادب ، صاغها ودونها رجال الدين لمصلحة الطبقات السائدة - ص ١٥٢

٤٦- المقصود هنا الثورة البرجوازية الانجليزية في القرن السابع عشر . - ص ١٥٢

٤٧- البيلام ، مستشفى للمجانين في لندن . - ص ١٥٤

٤٨- في العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ ، انتخب لويس بونابرت رئيسا للجمهورية الفرنسية بنتيجة الاقتراع عام ١٥٥ - ص

٤٩- تعبیر وتأصّف على حقل للبحوم المصرية، مقتبس من حكاية واردة في التوراة أثناء فرار اليهود من الأسر في مصر ، شرع الجبناء بينهم ، من جراء مصاحب الطريق وبسبب من الجوع ، يتأسفون للايام التي قضاوها في الأسر ، اذ كانوا آنذاك ، على كل حال ، فبمانين - ص ١٥٥

٥٠- Hic Rhodus, hic saltat (هنا رودوس ، فلتقفز هنا !) ، كلمات من خرافة لمؤلف الخرافات ايزوب من اليونان القديمة ، تحكي عن متبجح تباهى بان لديه شهوداً يؤكدون انه قفز ذات مرة في رودوس لفترة راحة فقالوا له «ولم الشهود هنا رودوس ، فلتقفز هنا» ويعني هنا الأمر الرئيسي ، وهنا قدم البرهان هنا الوردية ، فلتقفز هنا ؟ - تعديل للقول السابق (Rhodus - رودوس - باليونانية اسم الجزيرة وتعني كذلك «الوردة») ، اوردته ميخيل في مقدمة كتابه «فلسفة الحق» . - ص ١٥٧ .

٥١ - بموجب الدستور الفرنسي لعام ١٨٤٨ ، كان ينبغي انتخاب الرئيس الجديد مرة كل أربع سنوات في الأحد الثاني من شهر ايار (مايو) في ايار ١٨٥٢ ، انتهت مدة رئاسة لويس بوناپرت - ص ١٥٧

٥٢ - الإنجلييون دعاة مذهب ديني صوفي يقول بمجيء المسيح ثانية وقيام «المهدد الالهي» الذي تسوده العدالة والمساواة العامة والبركة والخير - ص ١٥٨

٥٣ - *In partibus infidelium* (حرفياً وفي بلاد الكفار) ، إضافة الى لقب الاساقفة الكاثوليكين المعينين في مناصب الاساقفة الاسمية الحرف في البلدان غير المسيحية . وكثيراً ما يرد هذا التعبير عند ماركس والجلس بصدد مختلف حكومات المهاجرين التي كانت تشكل في الخارج دون حساب الحساب للوضع الفعلي في البلد . - ص ١٥٨

٥٤ - الكاثيول ، تلة في روما كانت عبارة عن قلعة محصنة تقول الاساطير ان روما قد أنقذت في عام ٢٩٠ قبل الميلاد ، اثناء زحف الغاليين ، بفضل صباح الاز من هيكل جولون ، وايقاظها للحراس لتيام . - ص ١٥٨

٥٥ - المقصود هنا من يسمون «بالأفريقيين» او «الجزائريين» وكانوا في فرنسا يسمون بهذا الاسم الجنرالات والقباط ممن ترقوا في الحروب الاستعمارية ضد القبائل الجزائرية المناهضة في سبيل استقلالها كان الجنرالات الأفريقيون كالفينياك ولاموريسيير ويبدو يتراسون كتلة الجمهوريين في الجمعية الوطنية التشريعية . - ص ١٥٨

٥٦ - المعارضة الامرية ، كتلة معارضة في مجلس النواب الفرنسي في عهد ملكية تموز (يوليو) كان ممثلو هذه الكتلة التي تلمص من مزاج الاوساط الليبرالية من البرجوازية الصناعية والتجارية ، يطالبون باجراء اصلاح انتخابي معتدل بوصفه وسيلة لتعاضد الثورة وللحفاظ

على سلالة اورليان كان لوديلون بارو زعيم المعارضة الاسرية
- ص ١٦٠

٥٧- ملكية تموز ، عهد حكم الملك لويس فيليب (١٨٣٠-
١٨٤٨) ، اسمى بهذا الاسم نسبة الى ثورة تموز (يوليو)
- ص ١٦١

٥٨- ١٥ ايلول (مايو) ١٨٤٨ ، اثناء مظاهرة شعبية دخل
العمال والحرفيون الباريسيون الى قاعة جلسات الجمعية التأسيسية ،
واعطنوا حلها وشكلوا حكومة ثورية . ولكن سرعان ما هرع رجال الحرس
الوطني والقوات المسلحة وفرقوا المتظاهرين واحتقلوا زعماء العمال
(بلانكي وبريس والبر وراسبائل وسوبريه وغيرهم) - ص ١٦١

٥٩- انفى الحرس المتنقل بمرسوم من الحكومة المؤقتة
بتاريخ ٢٥ شباط (فبراير) ١٨٤٨ لاجل مكافحة الجماهير الشعبية
الثورية المزاج كانت فصائل هذه الحرس تتألف اساسا من حشالة
البروليتاريا ، وقد استخدمت لاجل قمع ثورة حزيران (يوليو)
- ص ١٦٢

٦٠- يوم المؤرخ الروماني كيماريسكي ان الامبراطور قسطنطين
الاول رأى في عام ٣١٢ ، عقبة التصاره على خصمه ماكسانس ، رسم
الصليب في السماء مع الآية التالية وبهذه العلامة سوف تفلجوناء
- ص ١٦٤

٦١- كانت بيثية الكاهنة العرافة في اليونان القديمة تذيع تنبوءاتها
من على منصب ثلاثي القوائم في هيكل الاله ابولو في مدينة دلفيس
- ١٦٥

٦٢- "Le National" (والجريدة الوطنية) ، جريدة يومية
فرنسية ، صدرت في باريس من ١٨٣٠ الى ١٨٥١ لسان حال
الجمهوريين البرجوازيين المعتدلين كان ماراست وباستيد وفارليه -
باجيس ابرز ممثلي هذا الاتجاه في الحكومة المؤقتة - ص ١٦٦ .

٦٢ - "Journal des Débats politiques et littéraires"

(وجريدة المناقشات السياسية والأدبية) ، جريدة يومية برجوازية فرنسية تأسست في باريس في عام ١٧٨٩ في عهد ملكية تموز (يوليو) ، جريدة حكومية ولسان حال البرجوازية الأورليانية أبان ثورة ١٨٤٨ ، أحرقت الجريدة من نظرات البرجوازية المعادية للثورة والمسماة بحزب النظام . - ص ١٦٦

٦٤ - ملاحظات فيينا ، معاهدات عقدت في فيينا في ايار (مايو)

وحزيران (يوليو) ١٨١٥ بين الدول المشتركة في الحروب النابليونية بموجب الصك النهائي الذي اقره مؤتمر فيينا (١٨١٤-١٨١٥) ، اعيدت فرنسا الى حدود عام ١٧٩٢ ، ووضعت تحت مراقبة صارمة من الدول الظاهرة ، ومنع عليها الاستيلاء على الاراضي في اوربا - ص ١٦٦

٦٥ - الميثاق الدستوري ، اقر بعد الثورة البرجوازية في فرنسا

عام ١٨٢٠ ، وكان القانون الاساسي لملكية تموز (يوليو) اعلى الميثاق شكلا حقوق السيادة للامة ، ولهد بعض الشيء سلطة الملك - ص ١٦٨

٦٦ - اللائحة ، جادة في باريس يقوم فيها قصر الايلزيه

الذي كان ، بموجب دستور ١٨٤٨ ، مقر رئيس الجمهورية . وهنا يلعب ماركس بسخرية الى تطابق اسم الجادة مع مرادف الفردوس عند المؤلفين القدماء . - ص ١٧٢

٦٧ - كاليفي ، سجن المدينين في باريس من عام ١٨٢٦ الى عام

١٨٦٧ . - ص ١٧٢

٦٨ - في الايام الاولى من وجود الجمهورية الفرنسية ، اثيرت

مسألة اختيار راية الدولة طالب رجال باريس الثوريون باعتبار الراية الحمراء التي ارتفعت في ضواحي باريس العمالية اثناء انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٢٢ راية الدولة . واصر ممثلو البرجوازية على العلم المثلث

الالوان (الازرق والايضى والاحمر) التي كانت راية فرنسا في عهد الثورة البرجوازية في اواخر القرن الثامن عشر وفي عهد امبراطورية نابليون الاول . وكانت هذه الـراية قبل ثورة ١٨٤٨ شعار الجمهوريين البرجوازيين المتكفين حول جريدة "Le National" اضطر ممثلو العمال للموافقة على اعتبار الـراية الثلاثية الالوان راية الدولة للجمهورية الفرنسية ولكن عقدة حمراء كانت تربط بعضها الـراية . - ص ١٧٥

٦٩- البريتوريون في روما القديمة كانوا يسمون الحرس الخاص الممتاز للقائد العسكري او الامبراطور اشترك البريتوريون على الدوام في الفتن الداخلية ، وغالبا ما نصبوا صنائعهم على العرش . والمقصود هنا جمعية ١٠ كانون الاول (ديسمبر) (راجع بصددها هذه المجموعة ، ص ص ٢٢٤-٢٢٨) . - ص ١٧٦

٧٠- المقصود هنا اشتراف مملكة نابولي والنمسا في التدخل ضد جمهورية روما في ايار (مايو) - تموز (يوليو) ١٨٤٩ . - ص ١٧٦

٧١- يقصد ماركس هنا الوقائع التالية من حياة لويس بوناپرت : في عام ١٨٣٢ ، تجنس لويس بوناپرت بالجنسية السويسرية في كانتون (قضاء) تورغاو ؛ في عام ١٨٤٨ ، تطوع لويس بوناپرت ، اثناء اقامته في بريطانيا ، في صفوف والكولستابل ، الخصوصيين (وحولاء في بريطانيا هم رجال البوليس الاحتياطي من المدنيين) . - ص ١٧٧

٧٢- الاورليانيون ، انصار دوقات اورليان الذين هم الفرع الاصغر من سلالة بوربون الذي تسلم زمام الحكم منذ ثورة تموز (يوليو) ١٨٣٠ والذي اسقطته ثورة ١٨٤٨ ؛ هم من مصالح اوستوكراطية المال والبرجوازية الكبيرة . - ص ١٧٨

٧٣- حزب النظام ، كان حزب البرجوازية المحافظة الكبيرة الذي تأسس في عام ١٨٤٨ ، يمثل ائتلاف فرعي انصار الملكية في فرنسا الليجيتيميين (الشرعيين) والاورليانيين ؛ منذ عام ١٨٤٩ حتى انقلاب

٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ، احتل مركزاً قيادياً في الجمعية التشريعية للجمهورية الثانية .- ص ١٧٨

٧٤- الامبراطور الروماني كاليغولا (٢٧-٤١) رفعه الحرس البريتوري الى العرش .- ص ١٨١

٧٥- انتزعت الحكومة الفرنسية من الجمعية التأسيسية اعتمادات لاجل تجهيز جيش الفزو الى ايطاليا في نيسان (ابريل) ١٨٤٩ ، بحجة مساندة البيمون في كفاحها ضد النمسا والدفاع عن جمهورية روما اما الهدف الحقيقي من الحملة ، فكان التدخل ضد جمهورية روما واعادة سلطة البابا الديويوة .- ص ١٨٢

٧٦- "Le Moniteur universel" (والبشير العام) ، جريدة يومية فرنسية ، لسان حال الحكومة الرسمي صدرت في باريس من عام ١٧٨٩ الى عام ١٩٠١ كانت "Moniteur" تنشر بصورة الزامية المراسيم الحكومية والتقارير البرلمانية ، وغير ذلك من المواد الرسمية .- ص ١٨٢

٧٧- الكويستور ، كانوا يسمون في الجمعية التشريعية بهذا الاسم المسؤولين عن الاشراف على اقتصاد ومالية وامن الجمعية التشريعية (على غرار الكويستور في روما القديمة) . في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥١ قدم الكويستور الملكيون ليفلو وباز وبالا مفروع قانون بتحويل رئيس الجمعية الوطنية حتى استدعاء القوات المسلحة بعد مناقشات حادة ، ورفض المشروع في ١٧ تشرين الثاني .- ص ١٨٢

٧٨- المصتوريون ، انصار الملكية الدستورية ، وممثلو البرجوازية الكبيرة الوثيقة الصلة بسلطة الملك والنبلاء الليبراليين

الجيروندان ، كتلة سياسية للبرجوازية في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر كان الجيروندان يصبون من مصالح البرجوازية المعتدلة فتأرجحوا بين الثورة والحركة المعادية للثورة

وساروا في طريق المساومة مع الملكية اطلق عليهم هذا الاسم نسبة الى محافظة الجيروندي التي كان عدد كبير من قادة هذه الكتلة يمثلها في الجمعية التشريعية والكونفانسيون

اليمينية ، كتلة سياسية للبرجوازية في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر ، ممثلو الجناح اليساري للبرجوازية الفرنسية ، المدافعون بالسجام وداب عن ضرورة القضاء على الحكم المطلق والاقطاعية . - ص ١٨٤

٧٩-١٦ نيسان (أبريل) ١٨٤٨ ، في هذا اليوم قام العمال في باريس بمظاهرة سلمية حملوا فيها عريضة الى الحكومة المؤقتة طالبوا فيها بتنظيم العمل ووقفاء على استثمار الانسان من قبل الانسان ، فاقف الحرس الوطني البرجوازي المظاهرة ، وكان قد دعى خصيصا لهذا الغرض . - ص ١٨٤

٨٠- الفروند ، حركة النبلاء والبرجوازيين ضد الحكم المطلق في فرنسا في احوام ١٦٤٨-١٦٥٣ اعتمد زعماء الحركة النبلاء على حاشياتهم وعلى الجنود الاجانب ، واستغلوا في مصلحتهم انتفاضات الفلاحين والحركة الديمقراطية في المدن ، التي جرت في ذلك الوقت - ص ١٨٦

٨١- الكلية الفرعية ، العمرة الحمراء عند الفريجين القدماء فيما بعد ، صارت نموذجا لقبعات اليمينية ابان الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر ، واصبحت مذكاة رمز الحرية - ص ١٨٦

٨٢- الزنبقة ، شعار ملكية آل بوربون . - ص ١٨٩

٨٣- الثوري ، حزب سياسي بريطاني ، ظهر في اواخر القرن السابع عشر اعرب عن مصالح الارستوقراطية المقارية ورجال الدين ، ودافع عن تقاليد الماضي الاقطاعي ، وناضل ضد المطالب الليبرالية

والتقدمية في اواسط القرن التاسع عشر ، التي حزب المحافظين على اساس حزب التوري . - ص ١٩١

٨٤- كانت مدينة ليمز في ألمانيا الغربية احد المقرات الدائمة التي اتخذها الكونت شامبور (الذي سمي نفسه باسم هنري الخامس) المدمي بالمرض الفرنسي من الفرع الاكبر الاقدم من آل بوربون في كليرمونت بضواحي لندن ، عاش لويس فيليب الذي فر من فرنسا بعد ثورة شباط (فبراير) ١٨٤٨ . - ص ١٩١

٨٥- لويضا ، تروي التوراة ان مدينة اريحا كانت اول مدينة استولى عليها اليهود بعد دخولهم الى فلسطين . وقد سقطت اسوار اريحا على اصوات ابواق المحاصرين . - ص ١٩٧

٨٦- تلميح الى خطط لويس بوناپرت الذي كان يأمل باستلام التاج الفرنسي من يدي بابا روما بيوس التاسع وتروي التوراة ان النبي سموتيل نصب دلود ملكا لليهود القدامى . - ص ٢٠٣

٨٧- في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٠٥ انتهت معركة اوسترليتز (مورافيا) بانتصار نابليون الاول على القوات الروسية والنمساوية . - ص ٢٠٣

٨٨- المقصود هنا ثورة تموز (يوليو) ١٨٣٠ . - ص ٢٠٣

٨٩- تلميح الى كتاب لويس بوناپرت والافكار النابوليونية "Des idées napoléoniennes" ، الذي صدر في باريس عام ١٨٣٩
- ص ٢١٠

٩٠- البرجراف ، اطلق هذا اللقب على زعماء الاورليانيين والليجييميين (الفرعيين) السبعة عشر الذين اشتركوا في لجنة الجمعية التشريعية لوضع مشروع قانون العنفاي جديد ، وذلك لادعاءهم التي

لا يمر لها بالسلطة ولميولهم الرجعية . واللقب مأخوذ من رواية تاريخية بالام نفسه الفكتور هوغو من الحياة في ألمانيا القرون الوسطى وكانوا في ألمانيا يطلقون لقب يرجراف على حكام المدن والدوائر الذين يعينهم الامراطور .- ص ٢١٧

٩١- بموجب قانون الصحافة الذي اقترحه الجمعية التشريعية في تموز (يوليو) ١٨٥٠ ، زيدت الضمانة النقدية التي كان اصحاب الصحف ملزمين بدفعها زيادة كبيرة ، وفرضت ضريبة جديدة - ضريبة طابع اميري شملت كذلك الكرايس .- ص ٢١٩

٩٢- "La Presse" (ولابريس-) والصحافة) ، جريدة يومية ، صدرت في باريس منذ عام ١٨٢٦ . في عهد ملكية تموز (يوليو) اتخذت صفة المعارضة في عامي ١٨٤٨-١٨٤٩ ، لسان حال الجمهوريين البرجوازيين ، وفيما بعد لسان حال بوناپرتي .- ص ٢١٩

٩٣- معقولون ومتسكعون ، عناصر متفسخة طبقيا من حشالة البروليتاريا في ايطاليا . وغير مرة ، استغلّتهم الاوساط الملكية الرجعية في النضال ضد الحركة الليبرالية والديموقراطية .- ص ٢٢٥

٩٤- تلميح الى واقعين من سيرة حياة لويس بوناپرت ففي ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٢٦ حاول استشارة تمرد في ستراسبورغ بمساعدة فوجين من المدفعية تم لزج سلاح المتمردين ، واعتقل لويس بوناپرت نفسه ونفي الى اميركا . وفي ٦ آب (اغسطس) ١٨٤٠ ، حاول من جديد استشارة تمرد بين رجال الحامية المحلية في بولون بعد اخفاق هذا التمرد حكم على بوناپرت بالسجن المؤبد ، ولكنه فر من السجن الى بريطانيا في عام ١٨٤٦ .- ص ٢٢٥

٩٥- المقصود هنا الجرائد ذات الاتجاه البوناپرتي والتسمية مأخوذة من لصر الاينليزيه ، مقر لويس بوناپرت في باريس زمن ولائته . - ص ٢٢٩

٩٦- يلجا ماركس هنا الى تلاعب بكلام بيت من قصيدة شيلر والفرحة، وفيها ينشد الشاعر الفرحة - وابنة الايليزيوم، او ميادين الايليزيه (وهي مرادف الفردوس في آثار المؤلفين الاقدمين) وميدان الايليزيه اسم جادة في باريس كان فيها مقر لويس بوناپرت - ص ٢٣٦

٩٧- البرلمانات، مؤسسات قضائية عليا في فرنسا قبل الثورة البرجوازية في اواخر القرن الثامن عشر كانت البرلمانات تسجل الاوامر الملكية وتملك حق الاحتجاج على الاوامر التي لا تتطابق مع عادات البلاد وقوانينها - ص ٢٤١

٩٨- بيل-لابل، جزيرة في خليج بيسكاو، مكان لحبس السجناء السياسيين - ص ٢٤٦

٩٩- ينقل ماركس هنا حادثة، رواها الكاتب القديم اتيه (القرن الثاني والثالث بعد الميلاد) في كتابه واحاديث العلماء حول المائدة ("Dolpneosophistes"). فقد قال الفرعون المصري تاخوس، ملحقا الى صخر قامة اجيسلاوس، ملك اسبارطه، الذي جاء بجنوده لنجدة الفرعون وتمكن من الجبل فغاف لوس ولكن الجبل ولد فارة، فاجابه اجيسلاوس وانا ابدو لعينيك فارة، ولكن سيأتي يوم ابدو فيه لعينيك اسداً - ص ٢٤٨

١٠٠- "L'Assemblée nationale" (والجمعية الوطنية)، جريدة يومية فرنسية، ذات اتجاه ملكي فرعي، صدرت في باريس من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٥٧ في احوام ١٨٤٨-١٨٥١، مكنت نظرات قتالين بدمج الحزبين الملكيين، حزبي الفرعيين والاورليانيين - ص ٢٥٢

١٠١- كانت البندقيه في الخمسينيات من القرن التاسع عشر محل اقامة الطامع الليجيتيمي (الفرعي) بالعرش الفرنسي الكونت شامپور - ص ٢٥٢.

١٠٢- المقصود هنا الخلافات التكتيكية في معسكر الشرعيين في عهد العودة في اعوام ١٨١٤-١٨٢٠ فان فيليل (من انصار لويس الثامن عشر) كان يقول بتطبيق التدابير الرجعية بمرز من العذر ، بينا بولينياك (من انصار الكونت دارتوا ، الملك شارل العاشر ابتداء من ١٨٢٤) يقول ببحث انظمة ما قبل الثورة كليا

قصر التويلوري في باريس ، مقر لويس الثامن عشر . جناح ملوستان ، احد اجنحة القصر وكان مقر الكونت دارتوا في عهد العودة . - ص ٢٥٥

١٠٣ - "The Economist" (والاقتصادي) ، مجلة اسبوعية انجليزية في قضايا الاقتصاد والسياسة ؛ لسان حال البرجوازية الصناعية الكبيرة ، تصدر في لندن ابتداء من ١٨٤٣ . - ص ٢٥٩

١٠٤- المعرض الصناعي في لندن ، اول معرض صناعي تجاري عالمي اقيم في ايار - تشرين الاول (مايو - اكتوبر) ١٨٥١ - ص ٢٦٥

١٠٥ - "Le Messager de l'Assemblée" (وبشير الجمعية) ، جريدة يومية فرنسية ذات اتجاه معاد لبونايرت صدرت في باريس من ١٦ شباط (فبراير) الى ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ - ص ٢٦٨

١٠٦- البرلمان الطويل (١٦٤٠-١٦٥٣) ، برلمان بريطاني عقدته الملك شارل الاول في ظروف الثورة البرجوازية الناشئة ، واصبح هيئتها التشريعية في ١٦٤٩ ، حكم البرلمان على شارل الاول بالاعدام واطعن بريطانيا جمهورية ؛ حل كرومويل هذا البرلمان في ١٦٥٣ . - ص ٢٧٤

١٠٧- سيفين ، منطقة جبلية في اقليم لانفيدوك بفرنسا ، نشبت فيها في اعوام ١٧٠٢-١٧٠٥ بسبب من ملاحقة البروستانت ، التفافه فلاحية اتخذت طابعا معاديا للالطامية ساطع التمبير .

تلميح الى الفتنة المعادية للثورة في فنده (وهي اقليم في غربي فرنسا) نشبت الفتنة في عام ١٧٩٢ بتحريض الملكيين الفرنسيين الذين استغلوا الفلاحين المتأخرين في هذا الاقليم لاجل محاربة الثورة الفرنسية - ص ٢٨٦

١٠٨ - الكوفالسيون الوطنية ، هيئة تمثيلية عليا في فرنسا اثناء الثورة البرجوازية في اواخر القرن الثامن عشر ، دامت من ايلول (سبتمبر) ١٧٩٢ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٩٥ . عملت الكوفالسيون في مرحلة صعود الثورة ، فاصريت من مصالح البرجوازية الفرنسية السامية . الى توطيد مكاسب الثورة وتصفية العلاقات القطاعية - ص ٢٨٧

١٠٩ - سيناء ، جبل في شبه جزيرة سيناء حسب التوراة ، تلقى النبي موسى في طور سيناء الواح الوصايا من الرب . - ص ٢٩٢

١١٠ - ميجع كونستانسيا (١٤١٤-١٤١٨) ؛ العقد من اجل توطيد وضع الكنيسة الكاثوليكية المتقلقل في طرف الحركة اصلاحية البائدة فحجب المجمع تعاليم زعمي اصلاح جون ويكليف ويان هوس قضى المجمع على الانشقاق في الكنيسة الكاثوليكية بانتخابه رئيسا جديدا للكنيسة بدلا من الباباوات الثلاثة المتنافسين على السلطة . - ص ٢٩٤

١١١ - تلميح الى مؤلفات ممثلي الاشتراكية الالمانية او الاشتراكية الصحيحة ، تيار زعمي انتشر في المانيا في الاربعينيات من القرن التاسع عشر بين المثقفين البرجوازيين الصغار مثل الغالب . وصف ماركس والجلس والاشتراكية الصحيحة في بيان الحزب الشيوعي (راجع هذه المجموعة ، ص ص ٨٢-٨٧) . - ص ٢٩٥

١١٢ - المقصود هنا عهد وصاية فيليب اورليان في فرنسا في اعوام ١٧١٥-١٧٢٢ ، عندما كان لويس الخامس عشر لا يزال قاصرا . - ص ٢٩٨ .

١١٢ - الرداء المقدس في ترير ، ذكر كاثوليكي محفوظ في كاتدرائية ترير (ألمانيا الغربية) ويقال انه رداء مقدس أخذ من المسيح عند صلبه . وكان الرداء المقدس في ترير موضع اجلال الحجاج . - ص ٢٩٩

١١٤ - مسألة فنندوم ، اقيمت في باريس في اعوام ١٨٠٦-١٨١٠ تخليداً لانتصارات فرنسا النابليونية . وقد صنعت من برونز مدافع الاعداء . وكانت تنتهي في اعلاها بتمثال نابليون في ١٦ ايار (مايو) ١٨٧١ ، جرى تدمير مسألة فنندوم بناء على قرار من كومونة باريس ؛ في عام ١٨٧٥ ، نصبتها الرجعية من جديد . - ص ٢٩٩

دليل الاسماء

آليه لويس بيير قنستان (ولد نحو ١٨٢١) - عميل شرطة
فرنسي . - ص ص ٢٢٧ ٢٢٢

آبي بيير دي (ولد عام ١٢٥٠ توفي في عام ١٤٢٠ او في عام
١٤٢٥) - كردينال فرنسي اغتلع بدور بارز في مجمع
كونستانس . - ص ٢٩٤

آدلف فكتور (١٨٥٢-١٩١٨) - واحد من منظمي وقادة الاشتراكية-
الديموقراطية النمساوية . - ص ٢٤

ابيقور (نحو ٢٤١ - نحو ٢٧٠ قبل الميلاد) - فيلسوف مادي
اغريقي كبير ، ملحد . - ص ٨
اجيس الاول (توفي نحو ٢٩٩ قبل الميلاد) - ملك مبارطة
(نحو ٤٢٥ - نحو ٢٩٩ قبل الميلاد) . - ص ٢٤٨

اجيسلاوس (نحو ٤٤٢ - نحو ٣٥٨ قبل الميلاد) - ملك مبارطة
(نحو ٢٩٩ - نحو ٣٥٨ قبل الميلاد) . - ص ٢٤٨

الاسكتنمو ذو القرنين (٢٥٦-٢٢٢ قبل الميلاد) - قائد عسكري
شهير ورجل دولة في العالم القديم . - ص ص ١١٩ ، ٢٢٨ .

انجلسي فرانسوا ارلست (١٨٠٧-١٨٦١) - ملاك عقاري فرنسي .
نائب في الجمعية التشريعية (١٨٥٠-١٨٥١) ، ممثل حزب
النظام . - ص ٢٦٠

انجلسي فريديريك (١٨٢٠-١٨٩٥) . - ص ص ٩-١٢ ، ١٥-٢٧ ،
٢٩ ، ٤٣-٤٧ ، ٤٩ ، ٩٧

اودينو نقولا شارل فكتور (١٧٩١-١٨٦٣) - جنرال فرنسي
لورلياني في ١٨٤٩ كان آمر القوات التي ارسلت ضد
جمهورية روما حاول مقاومة انقلاب ٢ كانون الاول
(ديسمبر) ١٨٥١ . - ص ص ١٨٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧

اودليان - سلاله ملكية في فرنسا (١٨٣٠-١٨٤٨)
- ص ص ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
٢٨٣ ، ٢٩٧

اودليان ايلينا ، مولودة مكلنبورغ ، الدولة (١٨١٤-١٨٥٨)
- ارملة فردينان ، الابن الاكبر للويس بوناپرت
- ص ص ١٦٧ ، ٢٠٨

اودليان ، دوق - راجع لويس فيليب

اودين روبرت (١٧٧١-١٨٥٨) - اشتراكي طوبوي انجليزي كبير
- ص ص ٢٨ ، ٩٠ ، ٩٣

ايفلينغ ايليونور (١٨٥٥-١٨٩٨) - من العاملين في الحركة العمالية
الانجليزية والعالمية ، ابنة ماركس الصفري ، زوجة الاشتراكي
الانجليزي ادوارد ايفلينغ . - ص ١٤

بايوف فراكنج (اسمه الحقيقي **فوجل فرانسوا**) (١٧٦٠-١٧٩٧)
- ثوري فرنسي . ممثل بارز للشجوية السوائية الطوبوية
منظم مؤامرة والسواليين (والمساوين) . - ص ٩٠ .

بارثله ديليه اخيل (١٧٩٥-١٨٧٨) - جنرال فرنسي في عهد الجمهورية الثانية نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية . في ١٨٥١ كان آمر حامية باريس بونايرتي - ص ص ٢٤٠ ، ٢٥٧

بارو لوديلون (١٧٩١-١٨٧٢) - سياسي برجوازي فرنسي قبل شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، رئيس المعارضة الاسرية الليبرالية من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٤٩ ، ترأس الوزارة المعتمدة على حزب النظام . - ص ص ٢٠٦-٢٠٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨

باروش بيير جول (١٨٠٢-١٨٧٠) - سياسي ورجل دولة فرنسي ممثل حزب النظام ، فيما بعد بونايرتي . في ١٨٤٩ ، مدع عام في محكمة الاستئناف . - ص ص ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

بارويس ، كورت - راجع لويس فيليب البر **بارو جان ديديه** (١٨٠٠-١٨٨١) - محام وسياسي فرنسي لودلياني . - ص ص ٢٥٤ ، ٢٧٤

بارولين ميخائيل الكسندروفيتش (١٨١٤-١٨٧٦) - ديموقراطي روسي ، صحافي . اشترك في ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ في ألمانيا من ايدولوجي الفوضوية برز في الاممية الاولى عدوا لثودا للماركسية ؛ في مؤتمر لاهاي عام ١٨٧٢ ، فصل من الاممية الاولى لنشاطه الانفصالي . - ص ٤٤

بارود ادور (١٨٢٠-١٨٨٦) - من الكتاب السياسيين الالمان ، من اعضاء الميخيلية الفتاة ؛ شقيق برونو بارود . - ص ٢١

بارود برونو (١٨٠٩-١٨٨٢) - فيلسوف مثالي ألماني ، واحد من ابرز ممثلي الميخيلية الفتاة ، راديكالي برجوازي بعد ١٨٦٦ ، ليبرالي قومي . - ص ص ٨ ، ٩ ، ٢١ .

بامي جان سيلفان (١٧٣٦-١٧٩٣) - من رجالات الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر ، ومن قادة البرجوازية الدستورية الليبرالية . - ص ١٥٤

برصنييه جان جيلير فكتور ، كوت (١٨٠٨-١٨٧٢) - رجل دولة فرنسي ، بوناپرتي نائب في الجمعية التشريعية (١٨٤٩-١٨٥١) من منظمي انقلاب ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . وزير الداخلية (١٨٥٢-١٨٥٤ و ١٨٦٠-١٨٦٣) . - ص ص ٢٥٤ ، ٢٦٨

برنار - عقيد فرنسي . ترأس اللجان العسكرية التي نكلت بالمفكرين في انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ في باريس . بعد انقلاب ٢ كانون الثاني (ديسمبر) ١٨٥١ ، أحد منظمي الملاحقات القضائية بحق الجمهوريين المعادين للنظام البوناپرتي - ص ١٧٦

برودون بيير جوزيف (١٨٠٩-١٨٦٥) - صحفي واقتصادي وعالم اجتماعي فرنسي ايدولوجي البرجوازية الصغيرة من مؤسسي الفوضوية . - ص ص ١١ ، ١٣ ، ٨٨ ، ٢٠١

بروتوس (مارك يوني بروتوس) (حوالي ٨٥-٤٢ قبل الميلاد) - سياسي روماني من قادة المؤامرة ضد يوليوس قيصر - ص ١٥٣

بروغل ايفيل شارل (١٧٨٥-١٨٧٠) - رجل دولة فرنسي رئيس الوزراء (١٨٣٥-١٨٣٦) نائب في الجمعية التشريعية (١٨٤٩-١٨٥١) لورياني . - ص ص ٢١٧ ، ٢٥٥

بريه بيير الطوان (١٧٩٠-١٨٦٨) - محام وسياسي فرنسي فرمي . - ص ص ١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ .

بلان لويس (١٨١١-١٨٨٢) - اشتراكي برجوازي صغير ومؤرخ فرنسي في ١٨٤٨ ، عضو الحكومة المؤقتة ورئيس لجنة اللوكسمبورغ من آب (اغسطس) ١٨٤٨ احد قادة المهاجرين البرجوازيين الصغار في لندن : - ص ص ٩٤
١٥١

بلاكي لويس اوغست (١٨٠٥-١٨٨١) - ثوري فرنسي شيوعي طوبوي ابان ثورة ١٨٤٨ ، وقف في اقصى الجناح الايسر من الحركة الديمقراطية والبروليتارية في فرنسا حكم عليه بغير مرة بالسجن . - ص ١٦٢

بلاك اونوره دي (١٧٩٩-١٨٥٠) - كاتب واقعي فرنسي كبير - ص ٢٩٨

بليخانوف فيوردي فانتينوفيتش (١٨٥٦-١٩١٨) - من ابرز رجالات الحركة الاشتراكية الروسية والعالمية داعية بارز للماركسية في عام ١٨٨٣ ، أسس في الخارج اول فرقة ماركسية روسية - فرقة وتحرير العمل فيما بعد منطفي . - ص ٢٤

بنوا دازي دالي (١٧٩٦-١٨٨٠) - سياسي ومالي فرنسي نائب رئيس الجمعية التشريعية (١٨٤٩-١٨٥١) فرنسي - ص ص ٢٤٦ ، ٢٥٢

بوليكولا (بولي غاليري بوليكولا) (توفي في ٥٠٣ قبل الميلاد) - رجل دولة فيه اسطوري في جمهورية روما - ص ١٥٣

بوديون - سلالة ملكية في فرنسا (١٥٨٩-١٧٩٢ ، ١٨١٤-١٨١٥ و ١٨١٥-١٨٣٠) . - ص ص ١٧٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٨٣ .

بوليناك اوجست جول ارمان ماري ، امير (١٧٨٠-١٨٤٧)
- رجل دولة فرنسي فرمي واكليريكي وزير الخارجية
ورئيس مجلس الوزراء (١٨٢٩-١٨٣٠) - ص ٢٥٥

بولابرت - راجع نابليون الثالث
بولابرت - سلالة اباطرة في فرنسا (١٨٠٤-١٨١٤ ، ١٨١٥ ،
١٨٥٢-١٨٧٠) . - ص ص ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
٢٨٧

بيغو ماري الفوس (١٨٠٤-١٨٦٣) - جنرال وسياسي فرنسي .
جمهوري برجوازي معتدل في عهد الجمهورية الثانية ،
نائب رئيس الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية
- ص ص ١٨٧ ، ٢٤٢

بيرو بنيامين بيير (١٧٩١-١٨٦٥) - جنرال فرنسي . في ١٨٤٨ ،
اشترك في فتح القنطرة حيزان (يوليو) في ١٨٤٩ ،
أمر الحرس الوطني في باريس . - ص ٢٤١

بيسمارك اوتو ، امير (١٨١٥-١٨٩٨) - رجل دولة وديبلوماسي
بروسي والماني ممثل الهولكر البروسي وزير رئيس
بروسيا (١٨٦٢-١٨٧١) ، مستشار الامبراطورية الالمانية
(١٨٧١-١٨٩٠) . - ص ١٠

بيفان لو - رئيس مجلس التريديونيونات في مدينة سونس في
عام ١٨٨٧ ، رئيس مؤتمر التريديونيونات الذي انعقد في
هذه المدينة . - ص ٤٥

بيو اوجست ادولف ماري (١٨٠٥-١٨٦٣) - سياسي فرنسي
اورلياني ابتداءً من ١٨٤٩ بولابرتي . عضو في الجمعية
التأسيسية (١٨٤٨-١٨٤٩) . وزير الداخلية (١٨٥٤-
١٨٥٨) . - ص ٢٤٦ .

بيوس التاسع (١٧٩٢-١٨٧٨) - بابا روما (١٨٤٦-١٨٧٨)
- ص ٢٠٧

توديني بيير فرانسوا ايلزابيث (١٧٩٨-١٨٦٩) - حقوقي
فرنسي . في ١٨٢٤ ، حقق في قضية المشتركين في انتفاضة
نيسان (ابريل) بمدينة ليون بونايرتي وزير الداخلية
(١٨٥١) . - ص ٢٧٠

توكفيل الكسيس (١٨٠٥-١٨٥٩) - مؤرخ وسياسي برجوازي
فرنسي . فرمي . في عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية
التأسيسية والجمعية التشريعية . وزير الخارجية (حزيران -
يوليو - تشرين الاول - اكتوبر ١٨٤٩) . - ص ٢٥٥

ليبر ادولف (١٧٩٧-١٨٧٧) - مؤرخ ورجل دولة برجوازي
فرنسي نائب في الجمعية التأسيسية (١٨٤٩-١٨٥١)
اورلياني رئيس الجمهورية (١٨٧١-١٨٧٣) ، جلال
كومونة باريس . - ص ص ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ،
٢١٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ،
٢٧٢ ، ٢٧٤

جولفيل فرانسوا فردينان فيليب لويس ماري ، دوق اورلياني ،
امير (١٨١٨-١٩٠٠) - ابن لويس فيليب بعد انتصار
ثورة شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، هاجر الى بريطانيا
- ص ص ٢٥٤ ، ٢٦٨

جيرلودين اميل دي (١٨٠٦-١٨٨١) - كاتب وسياسي برجوازي
فرنسي محرر في جريدة « Presse » ؛ قبل ثورة ١٨٤٨ ،
عارض حكومة غنزو ابان الثورة ، جمهوري برجوازي
نائب في الجمعية التشريعية (١٨٥٠-١٨٥١) . فيما بعد
بونايرتي . - ص ٢٣٧

جيرارد دى (١٨٠٤-١٨٥٥) - كاتبة فرنسية زوجة
اميل دى جيراردين . - ص ٢٩٨

جيرود شارل جوزيف برتيليمي (١٨٠٢-١٨٨١) - حقوقي فرنسي .
ملكي . وزير التعليم (١٨٥١) - ص ٢٧٠

جيز ، دوق - راجع هنري الثاني اللوتارينغي

دالتون جورج جاك (١٧٥٩-١٧٩٤) - واحد من ابرز رجال
الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر
زعيم الجناح اليميني من اليقافة . - ص ص ١٥١ ، ١٥٢

دوبلان اندري ماري جان جاك (١٧٨٣-١٨٦٥) - حقوقي وسياسي
فرنسي اورلياني رئيس الجمعية التشريعية (١٨٤٩-
١٨٥١) فيما بعد بونايرتي . - ص ص ٢٢٧ ، ٢٢٣ ،
٢٢٤

دوبرا باسكال (١٨١٥-١٨٨٥) - صحافي فرنسي ، جمهوري
برجوازي في عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية
التأسيسية والجمعية التشريعية . وقف ضد لويس بونايرت .
- ص ص ٢٣٦ ، ٢٣٧

دوفال شارل (١٨٠٣-١٨٦٧) - رجل دولة فرنسي . اورلياني
وزير الداخلية (١٨٢٩-١٨٤٠ ، ١٨٤٠ - شباط - فبراير
١٨٤٨) . - ص ٢٥٤

دوبول الفولس هنري (١٧٨٩-١٨٦٥) - جنرال فرنسي . فرعي .
فيما بعد بونايرتي وزير الحربية (١٨٤٩-١٨٥٠)
- ص ص ٢٠٩ ، ٢١٧

دوهينغ ينفيني كارل (١٨٢٢-١٩٢١) - فيلسوف اختياري
والاقتصادي سطحي الماني . ممثل الاشتراكية البرجوازية الصغيرة

الرجعية ؛ في الفلسفة جمع بين المثالية والمادية المتبدلة
والوضعية ميتافيزيائي من ١٨٦٣ الى ١٨٧٧ استاذ
محاضر في جامعة برلين . - ص ص ٢٣ ، ٢٠

ديفلوت بول (١٨١٧-١٨٦٠) - ضابط بحري فرنسي نصير
بلانكي . مشترك نشيط في احداث ١٥ ايار (مايو) وانتفاضة
حزيران (يوليو) ١٨٤٨ في باريس نائب في الجمعية
التشريعية (١٨٥٠-١٨٥١) . - ص ٢١٦

ديمولان كميل (١٧٦٠-١٧٩٤) - كاتب سياسي فرنسي من
وجالات الثورة البرجوازية في اواخر القرن الثامن عشر . يعقوبي
يعيني . - ص ١٥٢

دافو جان بيير (١٨٠٠-١٨٨٧) - محام فرنسي في عهد
الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية
التشريعية . بولابرتي . - ص ١٨٠

دوبسبيير ماكسيميليان (١٧٥٨-١٧٩٤) - قائد بارز في الثورة
البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر زعيم
الاحتفالية رئيس الحكومة الثورية (١٧٩٢-١٧٩٤)
- ص ص ١٥١ ، ١٥٢

دوفه ارنولد (١٨٠٢-١٨٨٠) - كاتب سياسي ألماني من اعضاء
البيخالية الفتاة . راديكالي برجوازي . في ١٨٤٨ كان نائبا في
مجلس فرانكفورت الوطني والظم الى جناحه اليساري في
الخمسينيات احد زعماء المهاجرين البرجوازيين الصغار الالمان
في بريطانيا بعد ١٨٦٦ ، ليبرالي قومي . - ص ص ١٠ ،
٢١

دويمكولار بيير بول (١٧٦٣-١٨٤٥) - فيلسوف وسياسي
فرنسي . ملكي . - ص ١٥٢ .

دوييه اوجين (١٨١٤-١٨٨٤) - رجل دولة فرنسي . بونايرتي
وزير الداخلية (١٨٤٩-١٨٥٢ مع القطاعات)
- ص ص ٢٣٣ ، ٢٤٧

ريتشارد الثالث (١٤٥٢-١٤٨٥) - ملك انجليزي (١٤٨٣-
١٤٨٥) . - ص ص ٢٥١

ريكاردو دافيد (١٧٧٢-١٨٢٣) - اقتصادي انجليزي ، من ابرز
ممثلي الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ص ٣١ ،
١٠٠ ، ١٠٤

ريموذا شارل فرانسوا ماري ، كونت (١٧٩٧-١٨٧٥) - رجل
دولة فرنسي وكاتب اورلياني وزير الداخلية (١٨٤٠) ،
وزير الخارجية (١٨٧١-١٨٧٣) . - ص ص ٢٤٢

رينو دي سانجان دانجيلي اولست ميشال ايتيان ، كونت
(١٧٩٤-١٨٧٠) - جنرال فرنسي . بونايرتي . وزير الحرية
(كانون الثاني - يناير ١٨٥١) . - ص ص ٢٤٠

زاسوليتش فيرا ايفانوفنا (١٨٤٩-١٩١٩) - من البارزين الذين
اشتركوا في الحركة الثمبية ولم في الحركة الاشتراكية-
الديمقراطية في روسيا مناهلة نفيسة في فرقة وتحرير
العمل، الماركسية فيما بعد منشفية . - ص ص ٢٤

سالانغورز شارل جان (١٨٠٨-١٨٦٨) - صنامي فرنسي نائب
في الجمعية التأسيسية (١٨٤٨-١٨٤٩) بونايرتي
- ص ص ٢٧٣

سالطاني نرسيس افيل ، كونت (١٧٩٥-١٨٥٦) - كاتب ورجل
دولة فرنسي اورلياني وزير التعليم (١٨٢٧-١٨٣٩)
و (١٨٤٥-١٨٤٨) . - ص ص ٢٥٣

صان لولو ارمان جاك افييل ليروا دي (١٨٠١-١٨٥٤) - ماريشال
فرنسي يونابرتسي احد منظمي انقلاب ٢ كانون الاول
(ديسمبر) ١٨٥١ وزير الحرية (١٨٥١-١٨٥٤)
ص ١٨٢

صان بروسست عمانويل لويس ماري ، فيكوت (١٧٨٩-١٨٨١) -
جنرال وديبلوماسي فرنسي شرمي نائب في الجمعية
التشريعية (١٨٤٩-١٨٥١) . - ص ٢٥٢

صان بيف بير هنري (١٨١٩-١٨٥٥) - صنامي وملاك عقاري
فرنسي في عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية
التأسيسية والجمعية التشريعية ممثل حزب النظام
- ص ٢٦٠

صان جوست لويس الطوان (١٧٦٧-١٧٩٤) - قائد بارز في
الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر
من زعماء اليقالية - ص ١٥٢

صان صيهون هنري (١٧٦٠-١٨٢٥) - اشتراكي طوبوي فرنسي
كبير . - ص ٩٠

صلي جان باتيست (١٧٦٧-١٨٢٢) - اقتصادي برجوازي فرنسي
مثل الاقتصاد السياسي المبطل . - ص ١٥٢

صيهك آدام (١٧٢٣-١٧٩٠) - اقتصادي انجليزي من اكبر
مثل الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ٢١

صو لوجين (١٨٠٤-١٨٥٧) - كاتب فرنسي نائب في الجمعية
التشريعية (١٨٥٠-١٨٥١) - ص ٢١٨

صولوك فاوستين (حوال ١٧٨٢-١٨٦٧) - رئيس جمهورية
هايتي الرئسية في عام ١٨٤٩ نادى بنفسه امبراطورا
تحت اسم فاوستين الاول . - ص ٢٩٨ .

سيمبولدي جان شارل ليونار سيمولد دي (١٧٧٣-١٨٤٢)
- اقتصادي سويسري نالده برجوازي صغير للراسمالية
- ص ٨٢

شارلس جان باتيست ادولف (١٨١٠-١٨٦٥) - رجل سياسي
وعسكري فرنسي جمهوري برجوازي معتدل اشتراك في
قمع انتفاضة عمال باريس في حزيران (يوليو) ١٨٤٨
مارش لويس بوناپرت - نفي من فرنسا - ص ٢٧٤

شامپود هنري شارل ، كوت (١٨٢٠-١٨٨٣) - آخر ممثل
الفرع الاكبر من آل بوربون حفيد شارل العاشر طامح
بالعرش الفرنسي تحت اسم هنري الخامس - ص ١٩٣ ،
٢٢٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨

شانتافاننيه نيقولا آن بيودول (١٧٩٣-١٨٧٧) - جنرال وسياسي
برجوازي فرنسي ملكي - بعد حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ،
أمر الحامية والحرس الوطني في باريس ، اشتراك في تفريق
مظاهرة ١٣ حزيران ١٨٤٩ في باريس - ص ١٨١ -
١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ،
٢٣٤ ، ٢٣٨ - ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ،
٢٧٢ ، ٢٧٤

شرلم جان بول آدم (١٧٨٩-١٨٨٤) - جنرال وسياسي فرنسي
بوناپرتي وزير الحرية (١٨٥٠-١٨٥١) - ص ٢٢٠

شكسبيير وليام (١٥٦٤-١٦١٦) - كاتب انجليزي كبير
- ص ٢٨١

شرايوس «الاخوان غايي سمروني (١٥٣-١٢١ قبل الميلاد) وتيبيري
سمروني (١٦٣-١٣٢ قبل الميلاد) - خطيبان شعبيان في
روما القديمة ناضلا من اجل سن قوانين زراعية في مصلحة
الفلاحين - ص ١٥٣ .

فرائيه دي كاسانيك ادولف (١٨٠٦-١٨٨٠) - صحافي فرنسي
سياسي لامبدي قبل ١٨٤٨ ، اورلياني فيما بعد
بونابرتي في عهد الامبراطورية الثانية ، نائب في المجلس
التشريعي . - ص ٢٩٨

فرون كارل (١٨١٧-١٨٨٧) - كاتب سياسي برجوازي صغير
الماني في اواسط الاربعينيات ، من كبار ممثلي ما يسمى
والاشتراكية الصحيحة . - ص ٨٧
غوته يوهان وللفغانغ (١٧٤٩-١٨٣٢) - كاتب ومفكر الماني
كبير . - ص ١٥٩

غيرو فرانسوا بيير غيوم (١٧٨٧-١٨٧٤) - مؤرخ ورجل دولة
برجوازي فرنسي من عام ١٨٤٠ حتى ١٨٤٨ ، اشر
عمليا على السياسة الداخلية والخارجية في فرنسا
- ص ص ١٥٣ ، ١٧١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٨

فاليينيل الطوان (١٧٨٩-١٨٦٠) - سياسي فرنسي شرعي
نائب في الجمعية التشريعية (١٨٤٩-١٨٥١) . - ص ٢٤٦

فالو الفريد (١٨١١-١٨٨٦) - سياسي فرنسي فرنسي
واكثريكي في ١٨٤٨ ، صاحب المبادرة الى حل المشاغل
الوطنية وملهم قمع انتفاضة حزيران (يوليو) في باريس
وزير التعليم (١٨٤٨-١٨٤٩) . - ص ص ١٨٦ ، ٢٠٦
٢٠٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨

فابيس كلود ماريوس (١٧٩٩-١٨٦٤) - رجل دولة فرنسي
بونابرتي وزير الداخلية (كالون الثاني - يناير - نيسان -
ابريل ١٨٥١) - ص ص ٢٤٥ ، ٢٤٦

فودباخ لودفيغ (١٨٠٤-١٨٧٢) - فيلسوف مادي الماني كبير في
مرحلة ما قبل ماركس . - ص ص ٨ ، ٩ ، ٢٤ ، ٢٠ ،
٢٧-٤٠ .

فورييه شارل (١٧٧٢-١٨٣٧) - اشتراكي طوبوي فرنسي كبير

- ص ص ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣

فوشيه ليون (١٨٠٣-١٨٥٤) - سياسي برجوازي فرنسي

اورلياني اقتصادي من انصار مالتوس وزير الداخلية

(كالون الاول - ديسمبر ١٨٤٨ - ايار - مايو ١٨٤٩ ،

١٨٥١) فيما بعد ، بونايرتي . - ص ص ٢١٨ ، ٢٤٧ ،

٢٥٥

فولك اشيل (١٨٠٠-١٨٦٧) - صاحب مصرف فرنسي اورلياني .

فيما بعد ، بونايرتي في ١٨٤٩-١٨٦٧ ، فشل في

مرة منصب وزير المالية . - ص ص ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ،

٢٥٨

فيفال فرانسوا (١٨١٤-١٨٧٢) - اقتصادي فرنسي اشتراكي

برجوازي صغير في ١٨٤٨ ، امين لجنة اللوكسمبورغ

نائب في الجمعية التشريعية (١٨٥٠-١٨٥١) . - ص ٢١٨

فيرون لويس ديزيره (١٧٩٨-١٨٦٧) - صحفي وسياسي فرنسي .

بونايرتي . صاحب جريدة "Constitutionnel" (والدستوري) .

- ص ٢٩٨

فيليل جان باتيست سيرافان جوزيف (١٧٧٣-١٨٥٤) - رجل

دولة فرنسي حرمي رئيس وزارة (١٨٢٢-١٨٢٨)

- ص ٢٥٥

فييرا - كولونيل فرنسي بونايرتي اشتراك بنشاط في انقلاب

٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . - ص ٢٠٢

قيصر (هايمي يولي قيصر) (حوالي ١٠٠-٤٤ قبل الميلاد) - قائد

مسكري ورجل دولة روماني شهير . - ص ١٥٣

كاهيه ايتيان (١٧٨٨-١٨٥٦) - كاتب سياسي فرنسي اشترك
في حركة البروليتاريا السياسية في الثلاثينيات والاربعينيات
ممثلا بارز للشيوعية الطوبوية المسالمة واسع كتاب
ورحلة الى ايكاريا . - ص ص ٤٦ ، ٩٢

كالييه بيير (١٧٩٩-١٨٥٨) - مدير البوليس في باريس (١٨٤٩)
- (١٨٥١) بوناپرتي . - ص ص ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦
٢٧٠

كاليشاك لويس اوجين (١٨٠٢-١٨٥٧) - جنرال وسياسي
فرنسي جمهوري برجوازي معتدل من ايار (مايو)
١٨٤٨ ، وزير الحرية قمع بقساوة عارقة انتفاضة
عمال باريس في حزيران (يونيو) . رئيس السلطة التنفيذية
(حزيران - كانون الاول - ديسمبر ١٨٤٨) . - ص ص ١٦٨ ،
١٧٤-١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٧٤

كاليغولا (١٢-٤١) - امبراطور روماني (٢٧-٤١) . - ص ١٨١
كروموويل اوليفر (١٥٩٩-١٦٥٨) - زعيم البرجوازية والنبلاء
المتبرجين ابان الثورة البرجوازية الانجليزية في القرن السابع
عشر ابتداء من ١٦٥٢ ، اللورد حامي انجلترا واسكتلنده
وارلنده . - ص ص ١٥٢ ، ٢٧٤

كرويتون نيقولا جوزيف (١٧٩٨-١٨٦٤) - محام فرنسي في
عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية
لتشريعية اورلياني . - ص ٢٥١

كولون فكتور (١٧٩٢-١٨٦٧) - فيلسوف مثالي فرنسي
اختياري . - ص ١٥٢

كوسيدبيير مارك (١٨٠٨-١٨٦١) - ديموقراطي برجوازي صغير
فرنسي . مشترك في انتفاضة ١٨٢٤ في ليون . من شباط

(فراير) ال حزيران (يوليو) ١٨٤٨ ، مدير البوليس
في باريس نائب في الجمعية التأسيسية في حزيران
١٨٤٨ ، هاجر الى بريطانيا .- ص ١٥١

كونستان بنيامين (١٧٦٧-١٨٢٠) - كاتب فرنسي ، سياسي
ليبيرالي .- ص ١٥٢

لاروشجاكلين هنري اوغست جورج ، مركز (١٨٠٥-١٨٦٧)
- سياسي فرنسي احد زعماء الحزب الشري في عهد
الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية
التشريعية .- ص ٢٥٥

لامال فرديناند (١٨٢٥-١٨٦٤) - كاتب سياسي برجوازي صغير
المانى محام في ١٨٤٨ و ١٨٤٩ اشترك في الحركة
الديموقراطية في اقليم الراين في مستهل الستينيات ،
التحق بالحركة العمالية احد مؤسسي اتحاد العمال الالمان
العام (١٨٦٢) دعم سياسة توحيد ألمانيا ومن فوقه
بوحامة بروسيا ارسى بداية الاتجاه الانتهازي في الحركة
العمالية الالمانية .- ص ص ١٢ ، ٤٤

لافارغ لورا (١٨٤٥-١٩١١) - من العاملين في الحركة العمالية
الفرنسية ، زوجة بول لافارغ وابنة ماركس .- ص ١٤

لاماوتلين الفونس (١٧٩٠-١٨٦٩) - شاعر ومؤرخ وسياسي
فرنسي . في ١٨٤٨ وزير الخارجية ورئيس الحكومة المؤقتة
عليها .- ص ٢٤٦

لاموريسبير كريستوف لويس ليون (١٨٠٦-١٨٦٥) - جنرال
فرنسي جمهوري برجوازي معتدل في ١٨٤٨ اشترك
بنشاط في جمع اتفاقية حزيران (يوليو) . فيما بعد وزير
الحربية في حكومة كافينياك (حزيران - يوليو) - كانون
الاول - ديسمبر) .- ص ص ١٨٧ ، ٢٧٤ .

لاهيت جان ارنست (١٧٨٩-١٨٧٨) - جنرال فرنسي . بوناپرتي
نائب في الجمعية التأسيسية (١٨٥٠-١٨٥١) وزير
الخارجية (١٨٤٩-١٨٥١) . - ص ٢١٦

لوتز مارتن (١٤٨٣-١٥٤٦) - من رجال الاصلاح البارزين
مؤسس البروتستانتية (اللوترية) في ألمانيا ايدولوجي
البرجوازية الألمانية . - ص ١٥٢

لوك جون (١٦٣٢-١٧٠٤) - فيلسوف ثنائي انجليزي بارز
حاسي . - ص ١٥٢

لوفنه جان (١٨٧٦-١٩٣٨) - حفيظ ماركس وابن جيني ماركس
من القراء الاصلاحيين في الحزب الاشتراكي الفرنسي والاسمية
الثانية . - ص ١٤

لوفنه جيني (١٨٤٤-١٨٨٣) - ابنة ماركس الكبرى زوجة
الاشتراكي الفرنسي شارل لوفنه . - ص ١٤

لويس الثامن عشر (١٧٥٥-١٨٢٤) - ملك فرنسا (١٨١٤-١٨١٥)
و (١٨١٥-١٨٢٤) . - ص ١٥٣

لويس الخامس عشر (١٧١٠-١٧٧٤) - ملك فرنسا (١٧١٥-
١٧٧٤) . - ص ٢٩٨

لويس الرابع عشر (١٦٣٨-١٧١٥) - ملك فرنسا (١٦٤٣-
١٧١٥) . - ص ٢٨٥

لويس بوناپرت - راجع نابليون الثالث

لويس فيليب (١٧٧٣-١٨٥٠) - دوق اورليان ملك فرنسا
(١٨٣٠-١٨٤٨) . - ص ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٥٢ ،
٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٣ .

لويس فيليب البر دوق اورليان ، كونت باريس (١٨٢٨-١٨٩٤) .
 حفيد الملك لويس فيليب طامح بالعرش الفرنسي
 - ص ٢٥٢

لويس نابليون - راجع نابليون الثالث

ليفيور رولان الكسندر اوجست (١٨٠٧-١٨٧٤) - كاتب سياسي
 فرنسي من زعماء الديمقراطيين البرجوازيين الصغار
 محرر في جريدة "Réforme" . نائب في الجمعية التأسيسية
 والجمعية التشريعية حيث ترأس حزب اليمين ، فيما
 بعد مهاجر . - ص ص ٩٤ ، ١٦٨ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ،
 ٢٠٠

ليفلو ادولف عمانوئيل شارل (١٨٠٤-١٨٨٧) - جنرال وسياسي
 فرنسي ممثل حزب النظام في عهد الجمهورية الثانية ،
 نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية . - ص ص
 ١٨٢ ، ٢٧٤

ماركس ارمان (١٨٠١-١٨٥٢) - صحفي فرنسي من زعماء
 الجمهوريين البرجوازيين المعتدلين محرر جريدة
 "National" في ١٨٤٨ عضو الحكومة المؤقتة ورئيس
 بلدية باريس . رئيس الجمعية التأسيسية (١٨٤٨-١٨٤٩) .
 - ص ص ١٥٤ ، ١٦٨ ، ١٨٢

ماتيلو (لقب توماسو اليللو) (١٦٢٠-١٦٤٧) - صياد
 سلك زعيم الانتفاضة الشعبية في نابولي عام ١٦٤٧
 ضد السيطرة الاسبانية . - ص ٢٧٢

ماتيني جوزيه (١٨٠٥-١٨٧٢) - ثوري ايطالي ديمقراطي
 برجوازي احد زعماء حركة التحرر الوطني في ايطاليا
 في ١٨٤٩ ، رئيس الحكومة المؤقتة لجمهورية روما ؛
 في ١٨٥٠ احد منظمي اللجنة المركزية للديمقراطية

الأوروبية في لندن عند تأسيس الاممية الأولى ، حاول
اخصاعها لتأثيره ، وهرقل تطور الحركة العمالية المستقلة
في إيطاليا . - ص ١٣

ملوكس جيني ، متحدرة من عائلة فون ويستفالن (١٨٨١-١٨٩٤)
- زوجة كارل ماركس وصديقه ومعاملته المخلصة . -
ص ص ١٠ ، ١٤

ملوكس كارل (١٨٨٣-١٨١٨) . - ص ص ٨-٢٥ ، ٤٤-٤٧
١٩٧-١٠٠ ، ١٠٤-١٠٥ ؛ ١٤٨-١٥٠

ماد فلورن ميلين - في ١٨٤٩ و ١٨٥٠ ، معاونة نشيطة في الجرائد
الفارسية . ترجمت «بيان الحزب الشيوعي» الى الانجليزية
- ص ٤١

ماتيفيل ليون (١٨٠٣-١٨٧٩) - سياسي فرنسي اورلياني في
عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية
التشريعية . وزير الداخلية (النصف الثاني من كانون الاول -
ديسمبر ١٨٤٨) . - ص ٢٤٦

ماتيهان برنار بيير (١٨٦٥-١٧٩١) - ماريشال فرنسي
بونابرتي من منظمي انقلاب ٢ كانون الاول (ديسمبر)
١٨٥١ . - ص ص ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤

موبا شارلمان اميل (١٨٨٨-١٨١٨) - محام فرنسي . بونابرتي
مدير البوليس في باريس (١٨٥١) من منظمي انقلاب
٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . وزير البوليس (١٨٥٢-
١٨٥٣) . - ص ١٧٠

مورغان لويس هنري (١٨٨١-١٨١٨) - عالم اميركي بارز . مؤرخ
المجتمع البدائي . مادي علمي . - ص ٤٩ .

مودني شارل اوغست لويس جوزيف ، كوت دي (١٨١١-١٨٦٥)

- سياسي فرنسي بوناپرتي نائب في الجمعية التشريعية
(١٨٤٩-١٨٥١) من منظمي انقلاب ٢ كانون الاول

١٨٥١ وزير الداخلية (كانون الاول- ديسمبر ١٨٥١ -

كانون الثاني- يناير ١٨٥٢) .- ص ٢٩٧

مودير غيورغ لودفيغ (١٧٩٠-١٨٧٢) - مؤرخ برجوازي الماني

بارز درس النظام الاجتماعي في المانيا في الأزمنة القديمة

والقرون الوسطى .- ص ٤٩

موغين فرانسوا (١٧٨٥-١٨٥٤) - حقوقي فرنسي . قبل ١٨٤٨ ،

احد زعماء المعارضة الاسرية الليبرالية في عهد الجمهورية

الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية

- ص ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

موليه لويس ماتييه ، كوت (١٧٨١-١٨٥٥) - رجل دولة

فرنسي اورلياني رئيس وزارة (١٨٣٦-١٨٣٧ ،

١٨٣٧-١٨٣٩) في عهد الجمهورية الثانية ، نائب في

الجمعية التأسيسية والجمعية التشريعية .- ص ص ٢١٧ ،

٢٥٥

موفتالهيير شارل (١٨١٠-١٨٧٠) - صحفي فرنسي في عهد

الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية والجمعية

التشريعية اورلياني ترأس الحزب الكاثوليكي .- ص ص

٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٩٢

موله جورج (١٦٠٨-١٦٧٠) - جنرال انجليزي اشترك بنشاط

في بث الملكية في إنجلترا عام ١٦٦٠ .- ص ٢٢٨

نابليون الاول بوناپرت (١٧٦٩-١٨٢١) - امبراطور فرنسا

(١٨٠٤-١٨١٤ و ١٨١٥) .- ص ص ١٥١-١٥٥ ، ١٧٤ ،

٢٢٦-٢٢٩ ، ٢٧٢-٢٧٥ ، ٢٩٢-٢٩٩ .

نابليون الثالث (لويس نابليون بونابرت) (١٨٠٨-١٨٧٢) -
ابن اخي نابليون الاول . رئيس الجمهورية الثانية (١٨٤٨ -
١٨٥١) امپراطور فرنسا (١٨٥٢-١٨٧٠) . - مرص
١٥١ ، ١٥٤-١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٧٦-١٨٢ ، ١٨٦
١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٢-٢١٠ ، ٢١٦-٢١٨
٢٢٢-٢٣٢ ، ٢٣٤-٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦-٢٦٣ ، ٢٦٨ -
٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧-٢٨٨ ، ٢٩٠-٢٩٩

نيمبور مكسيميليان جورج جوزيف (١٧٨٩-١٨٦٦) - جنرال
فرنسي نصير حزب النظام . - ص ٢٢٩

نبي ادغار (١٨١٢-١٨٨٢) - ضابط فرنسي بونابرتي مرافق
الرئيس لويس بونابرت . - ص ٢٠٧

هاكستهاوزن اوغت (١٧٩٢-١٨٦٦) - موظف بروسي كاتب
وضع مؤلفاً وصف فيه بقايا النظام المعاشي في العلاقات
الزراعية في روسيا . - ص ٤٩

هنري الثاني اللوتارينغسي ، اللوق جنر (١٦١٤-١٦٦٤) - احد
رجال الفروند . - ص ٢٩٦

هنري الثامن - راجع هامبور هنري شارل

هنري السادس (١٤٢١-١٤٧١) - ملك انجلترا (١٤٤٢-١٤٦١) .
- ص ٢٥١

هوفو فكتور (١٨٠٢-١٨٨٥) - كاتب وقاصر فرنسي كبير
في عهد الجمهورية الثانية ، نائب في الجمعية التأسيسية
والجمعية التشريعية . - ص ٢٠٧

هيفل غيورغ وللم فريدريك (١٧٧٠-١٨٢١) - اكبر ممثلي
الفلسفة الكلاسيكية الالمانية . مثالي موضوعي . - ص ص ٨ ،
١٨ ، ٣٠ ، ١٥١ .

ويتلينغ وللم (١٨٠٨-١٨٧١) - مناضل بارز في الحركة العمالية
الالمانية خلال ثورتها احد نظريي الشيوعية السوالية
الطوبوية . - ص ٤٦

٥٥٤ - مفوض شرطة فرنسي ، اشرف في عام ١٨٥٠ على حماية
الجمعية التشريعية . - من ص ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤

الشخصيات الأدبية والأسطورية

أخيل - في الميثولوجيا الإغريقية ، أصبح الأبطال اليونانيين الذين حاصروا طروادة أحد الأبطال الرئيسيين في القيادة ، هوميروس تقول الأسطورة ان أخيل أصيب بجرح مميت في قلبه ، المكان الوحيد الذي تمكن أصابته من جسده
- ص ١٧٠ ، ١٧٢

بأخوس - إله الخمر والمرح عند قدماء الرومان . - ص ٢٢٨

بولس - الرسول بولس من رسل المسيح . - ص ١٥٢

جبلوق - نبي في التوراة . - ص ١٥٢

داموكليس - تقول اسطورة يونانية قديمة ان داموكليس كان من بطالة الطاغية ديونيسيوس (القرن الرابع قبل الميلاد) من سيراكوس دعاه ديونيسيوس يوما الى وليمة ورغبة في التنازع داموكليس الذي كان يحسده بوهن الازدهار البشري ، اجلسه على مركبه ، وطلق بشفرة فوق رأسه سيفاً قاطعاً واصبح تعبير وسيف داموكليس ، رمزاً للخطر الرهيب الدائم ، القريب . - ص ٢١٥

صهرصيا (كيركا) - حسب الاساطير اليونانية القديمة ، ساحرة من جزيرة إيا ؛ حولت رفاق لوليس الى خنازير ، وابقتة هو سنة كاملة في جزيرتها . رمز الحسناء الفاتنة .
- ص ٢٧٨ .

فليميل بيتز - بطل قصة شاميسو وقصة بيتز فليميل المدهشة ، الذي
باع ظله مقابل صرة سحرية من النقود . - ص ١٨٦

فولتير له وفيليفليرغ - شخصيتان من مسرحية فيلر وقطاع الطرق ،
نموذجان من اللصوص والقتلة الخالين من كل ذرة من
الاخلاق . - ص ٢٢٧

صموئيل - نبي في التوراة . - ص ٢٠٢

فيثيلا - حسب الاساطير اليونانية ، الهة البحر ووالدة اخيل ؛
حذره من الا يكون اول النازلين على ساحل طروادة (لان
الموت ينتظر النازل الاول) . - ص ١٧٢

كراپولنسكي - بطل قصيدة هينه والفارسان ، نبيل بولوني مبدع .
واسم عائلة كراپولنسكي مركب من الكلمة الفرنسية "crapule"
ويعني الانهماك في الخلاعة والاكل والسكر كما تعني ايضا
السفلاق . باسم كراپولنسكي يقصد ماركس لويس بوناپرت .
- ص ١٦٥

كرومفل - شخصية من رواية بلزاك وابنة العم بيتا ؛ نموذج الحشري
والفاسق والطماع . - ص ٢٩٨

لوك بولوم - شخصية من مسرحية شكسبير الهولية وحلم ليلة
صيف . - ص ٢٢٥

محتويات

٧-٥	•	من الدار.
١٤-٨		لينين • كارل ماركس (مقتطف)
٢٧-١٥		لينين فريدريك النجل
٢٥-٢٨		لينين مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة
٤٠-٣٧		ماركس موضوعات من فوريباخ
١٦-٤١		ماركس والنجل بيان الحزب الشيوعي
٤٣-٤١		مقدمة الطبعة الألمانية عام ١٨٧٢.
٤٧-٤٣		من مقدمة النجل للطبعة الألمانية عام ١٨٩٠
٤٨		بيان الحزب الشيوعي.
٦٦-٤٩		١ - البرجوازيون والبروليتاريون
٧٩-٦٧		٢ - البروليتاريون والشيوعيون
٩٣-٧٩		٣ - الأدب الاشتراكي والشيوعي
٨٧-٧٩		١ - الاشتراكية الرجعية
٨١-٧٩		١ - الاشتراكية الاقطاعية.
٨٢-٨١		ب - الاشتراكية البرجوازية الصغيرة.
		ج - الاشتراكية الألمانية أو الاشتراكية
٨٧-٨٣		والصحيحة
٨٩-٨٨		٢ - الاشتراكية المحافظة أو البرجوازية.
٩٣-٨٩		٣ - الاشتراكية والشيوعية الانتقاديان الطوبويان

١٦-١٢	٤ - موقف الشيوعيين من مختلف احزاب المعارضة
١٤٧-١٧	ماركس . العمل المأجور والراسمال .
١٠٩-١٧	مقدمة فريدريك انجلس لطبعة عام ١٨٩١
١٤٧-١١٠	العمل المأجور والراسمال . .
٢١٩-١٤٨	ماركس . الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت .
	مقدمة فريدريك انجلس للطبعة الالمانية الثالثة
١٥٠-١٤٨	عام ١٨٨٥ .
٢١٩-١٥١	الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت .
١٦٥-١٥١	١
١٨٢-١٦٥	٢
٢٠٦-١٨٤	٣
٢٢٢-٢٠٦	٤
٢٤٨-٢٢٢	٥
٢٧٧-٢٤٨	٦
٢١٩-٢٧٧	٧
٢٢٢-٢٠١	ملاحظات
٢٤٢-٢٢٢	دليل الاسماء
٢٤٥-٢٤٤	الشخصيات الادبية والاسطورية

Подписано к печати 11/II 1974. Формат 84×108/16. Бум. л. 5 1/2.
Печ. л. 18,48+0,21 п. л. вклеек. Уч.-изд. л. 20,86. Изд. № 18382.
Заказ 1230. Цена 98 коп. Тираж 15 000.

Издательство «Прогресс» Государственного комитета
Совета Министров СССР по делам издательства, полиграфии
и книжной торговли
Москва Г-21, Зубовский бульвар, 21

Ордена Трудового Красного Знамени Калининский
полиграфический комбинат Союзполиграфпрома при
Государственном комитете Совета Министров СССР по делам
издательства, полиграфии и книжной торговли,
г. Калинин, пр. Ленина, 5.

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا
تفضلتم وابدئتم لها ملاحظاتكم حول
ترجمة الكتاب ، وفنكل عرضه ، وطباعته ،
واحرثتم لها من رغباتكم

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو - الاتحاد السوفييتي

HX 39

.5

.A212

1975

vol. 1

Orien

Arab